القسم الأوّل

البحوث

- الفكر العربي والقضية الفلسطينية
- في صلة الكاتب العربي بالهم الفلسطيني الكبير
- الجانب النضالي من ثقافة القضية
- هل حقاً فشلت المقاومة العربية في فلسطين
- المثقفون العرب أمام قضية فلسطين

الفكر العربي

والقضية الفلسطينية

انطون المقدسي

ان الموضوع الذي تطرحه على بساط البحث هذه المجلة ، والذي طرحته ندوة : (المثقفون العرب امام القضية الفلسطينية) متعدد الجوانب ، نقتصر منه في بحثنا هذا على جانب واحد ، هو تعيين دور الفكر في القضية الفلسطينية ، وموقفه منها ، مع نظرة سريعة وعامة على الفكر العربي في وضعه الراهن وفي منطلقاته الاساسية .

ربما كان الاصح ابدال كلمة (مثقف) بكلمة (مفكر) في بحث مثل هذا ، لأن الاولى مدعاة للالتباس . فاذا اعتبرناها من حيث المضمون نرى ان العامل — المختص على الأقل — يتمتع بحصيلة ثقافية قدلا تقل عن حصيلة المدرس اوالصحفي او الكاتب اوغير هؤلاء ممن يطلق عليهم اعتيادياً اسم مثقفين . واذا اعتبرناها منحيث النتيجة — ونقصد بها عندئذ : القدرة على وعي الوضع العام للمجتمع في مرحلة ما وعلى اتخاذ موقف منه — فقد يكون الفلاح والعامل وابن الشعب احياناً بمستوى من الوعي لا يقل عن مستوى المثقف بالمعنى الضيق للكلمة . اما المفكر فمن اختصاصه ومن صلاحيته تحليل الاوضاع الاجتماعية تحليلا علمياً صارماً لتحديد المشكلة ورسم الخطوط الكبرى لحلها . وهو بهذا لا ينوب مناب السياسي ، بل ينير امامه السبيل اذ يبين له الطرق التي يستطيع ان يسلكها ، تاركاً له مهمة اختيار اصلحها على مسؤوليته . ففي مجال التنفيذ يبقى القول الفصل للسياسي .

مستويات المشكلة :

المشكلة الفلسطينية كلية ، اي انها تتناول الوجود العربي بمجموعه وفي كل ابعاده ، الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، او ، كما يقول الفلاسفة «بما هو موجود » ، وتضعه امام الاختيار الحاسم : وجود او لا وجود ، حياة او موت . ذلك انها ليست مشكلة جماعة مشردة «على المجتمع الانساني المتحضر ان يجد لها وطناً » ، كما يزعمون فيما يزعمون . فاليهودي الروسي مثلا مواطن في روسيا وعليه أن يقبني هذا الوطن ويعيش فيه ، وكذلك اليهودي الفرنسي واليهودي العربي ، الخ .. وانما هي مشكلة جسم حي يزرع ، صنعياً ، على جسم حي آخر ، فاما ان يرفضه هذا أو ينهار .

ويبدو لنا شخصياً أن المشكلة ، من الوجهة السياسية ، ثلاثة مستويات مرتبط كل منها بالآخر فهي بآن واحد ، قطرية (تتعلق بأبناء القطر الفلسطيني) ، وعربية او قومية، ودولية. فأي حادثة تقع في فلسطين ـ كبيرة كانت ام صغيرة ـ ينتقل اثرها فوراً وعبر العالم العربي الى كافة اطراف العالم وتثير اهتمام الدول كلها.

ولهـا من الوجهة التي تعنينا ، اي الثقافية ، ثلاثة مستويات هي ايضاً مترابطة ديالكتيكياً (وبأدق معاني هذه الكلمة) : المستوى الشعبي والمستوى الفكري والمستوى السياسي . فالفكر اذن يتوسط بين الشعب وقيادته ، يأخذ عن الأول ويعطيه ، ويأخذ عن الثاني ويعطيه .

منجزات الفكر العربي :

ان الفكر بحث وحوار وتأمل . الفكر تحليل وتخطيط . الفكر كشف عن المبادىء والاهداف .

واذا كان الشعب دون حاسم في المشاكل العامة ، اذا كان الشعب مصدر الهام المفكر والسياسي ، فابن الشعب ، مهما كان وعيه ، يعجز عن تحليل مواقفه تحليلاً علمياً كما يعجز عن استجلاء اهدافه المضمرة والتخطيط لتحقيقها (ربط الوسائل بالغايات) وذلك لسبب بسيط هو ان الجماهير الشعبية ، في كل زمان وفي كل مكان ، تتخذ من القضية المطروحة موقفاً عفوياً يسبق المفكر ويمهد امامه السبيل دون ان ينوب منابه . فلقد قامت الجماهير العربية بين الحربين وبعدهما بحركات تمردية وثورات دامية حددت فيها موقفها من الاحتلال الاجنبي بمختلف اشكاله وألوانه لبلادها ، فرفضت الاستعمار القديم والجديد رفضاً قاطعاً . وبهذا فتحت امام الفكر آفاقاً وامكانات التحليل والتأمل كان ذاهلاً عنها ، ومكنته من تحديد اهداف الامة في الوحدة والحرية والاشتراكية تحديداً رفضه الاجنبي وقبله العرب

في مختلف اقطارهم وعلى مختلف نزعاتهم وطبقاتهم لأنه يعبر عن معنى وجودهم .

كان ذلك بعيد الحرب العالمية الثانية والعالم المتخلف اقتصادياً ما يزال يغط في سباته .

ولكن هل تمكن الفكر العربي بعدها من تحليل واقعه تحليلا علمياً على ضوء هذه الاهداف ؟ هل تمكن من رسم الخطط لتحقيقها ؟ يرى الدكتور بديع الكسم انالفكر العربي حدد الغاية وقصر عند تحديد الوسائل . ولكن أنستطيع الفصل بين الاثنين ؟ . ان من لايضع وسائله بمستوى اهدافه تتشوه نظرته فيصبح شبيهاً بـ (دون كيشوت) يرى عملاقاً في عجلة الطاحونة . والافكار الكبيرة تتردى اذا لم يكن حاملها بمقاسها عقلاً وعزيمة فتصبح (كاريكاتوراً) لمـــا هي عليه نبواتها .

لقد حدد الفكر العربي الثورة ، طريقة لتحقيق اهداف الامة . والعالم المتخلف اقتصاديا كله الآن في وضع ثوري، وسيستمر هذا الوضع طويلا . ولكن هل تمكن الفكر العربي من التخطيط لثورته ؟

بينما كان الفكر العربي ، وهو في بدء يقظته ، يستجلي اهدافه فوجيء بغزو استعماري قد لايكون له مثيل في تاريخ العالم ، ألا وهو اصطناع دولة أسرائيل قلعة حربية تهدد وجوده باستمرار وهو ما يزال اعزل ، او شبه اعزل من السلاح مادياً ومعنوياً ، حتى لكأن المستعمر — وهذا ما حصل فعلاً — أحس باليقظة فهب ليخنقها وهي بعد في المهد . وها نحن الآن ، وبعد أن مضى مايقرب من عشرين عاماً على النكبة الاولى نتساءل ما اذا كان الفكر العربي قد لعب حقاً دوره في الكشف عن ابعاد المؤامرةوالتخطيط للقضاءعليها . لقد بين الدكتور برهان الدجاني بأمثلة صارخة على ان الفكر العربي مايزال يجهل حتى المعطيات

الاولى للمؤامرة الصهيونية — الاستعمارية [1] .

هذا من جهة ؛ واذا نظرنا من جهة اخرى الى تعاقب الاحداث منذ بعيد الحرب العالمية الثانية الى ايامنا، نلاحظ انها تسارعت بشكل مذهل — سواء على المسرح العالمي او على المسرح القومي — بحيث لم تترك مجالاً للفكر العربي كي يلحق بها ؛ بله توقعها والتخطيط لدرء مخاطرها . وهذا مـــا افسح المجال امام الارتجال السياسي ؛ فتجاوز السياسي المفكر ، لابل علق الفكر احياناً ، وبذلك حذف مستوى من مستويات المشكلة ، فاصبحت هذه مبتورة وكأنها فقدت عقلها .

لقد خاضت الامة العربية في هذه الفترة معارك ضارية نكتفي بالاشارة الى اهمها لأنها معروفة لدى الجميع (١٩٤٨ — ١٩٥٦ — تحرر المغرب كله — ثورة الجزائر — النكبة الاخيرة) . اضف الى ما تقدم التهديدات تتوالى دون انقطاع على جمهوريات ناشئة لمّا تستكمل بعد شروط وجودها ؛ تهديدات تحلل الوطن العربي وتعيد تركيبه حتى لكأنه دمية بيد الاستعمار . وبكلمة مختصرة فقد تسارعت معركة التحرر وتسارعت معها ضراوة المستعمر .

الفكر يستلزم ، كي يعيش ويثمر ، فسحة من الهدوء والتفرغ يبدولنا ترفاً نعجز عن دفع ثمنه .

نجد ، في كل ماتقدم عذراً للفكر العربي . ولكنه ليس كافياً . فالمعارك التحررية والثورات ، ضراوة المستعمر وتسلط السياسة على الفكر ، كل هذه العوامل ومايشبهها يجب أن تكون بمثابة تحديات تزيد في يقظته فتستفزه وتدفعه الى التعمق في واقعه والى شتى طرق مبتكرة لحل مشكلاته . ان العقل السليم يفيد من الهزات العنيفة التي قد تقضي على العقل المريض .

---

(١) راجع كلمته في وقائع اليوم الثالث من ندوة المثقفين العرب في هذا العدد من مجلة المعرفة .

نحن والفكر الغربي :

قيل في ندوة المثقفين العرب وفي غيرها من المناسبات إن الفكر العربي قصّر في لقائه مع الفكر الغربي . كما قيل ايضاً ان الفكر الغربي سمته البرجوازية فلا مجال لاقامة حوار معه . ان اثارة المشكلة على هذا الشكل خطأ . لا بل انه يدل على اننا ما نزال نتلمس طريقنا الى التفكير الصحيح الذي يبدأ ، اول مايبدأ ، بطرح المشكلات طرحاً منزهاً عن الهوى .

ليست مهمة الفكر الدعاوة ، ولا استثارة الحوار او اللقاء . ان الفكر يلتقي اذا ما استكمل مقومات وجوده ، مع الفكر أين وأنى كان . ثم ان الفكر لا يتسمم (فقولنا فكر مسمم فيه من التناقض ما في قولنا عقل مجنون) بل المفكر هو الذي يتسمم عندما يستسلم لنزواته فلا يكلف نفسه عناء البحث عن الحقيقة . كان المفكرون الغربيون بأكثريتهم الساحقة ضدنا في النكبة الأخيرة ، وفيما سبقها من معارك مع اسرائيل . ولو تعمقنا في الموضوع لوجدنا أن أوربا تقاوم بالدرجة الأولى فكرة العروبة ، وذلك لأسباب اقتصادية واستراتيجية وسياسية وتاريخية معروفة . ومع ذلك فقد وجدت في الغرب قلة قليلة – نزاهتها لاتقل عن شجاعتها – وقفت الى جانبنا . وها هي الآن تتسع ويزداد فهمها للقضية العربية شمولاً وعمقاً ، مما يدل أن الفكر يجد الحقيقة اذا سعى اليها . فهل استطعنا اللقاء مع هذه الفئة الخيرة واقامة حوار معها ؟.

عندما يستكمل الفكر العربي شروط وجوده ، عندما تصبح الأمة العربية قوة سياسية وفكرية (والإثنان متلازمان) فاللقاء مع الفكر ، في شرق الأرض وغربها ، يأتي تلقائياً وبدون أن نستثيره أو نستجديه .

الفكر لاشرق له ولاغرب . فثمة فكر أو لا فكر . صحيح أن

الفكر ينبثق من الواقع ليجيب على أسئلته ، ولكن سرعان مايتخطاه ليفتح أمام مشكلاته آفاقاً جديدة ويشق للعمل طرقاً غير معبدة . ولولا هذا لما كان علينا اليوم وفي النصف الثاني من القرن العشرين أن نقيم حواراً مع ماضينا ومع ماضي الأمم الأخرى، فنطلب من أرسطو وابن خلدون ،من أفلاطون وابن رشد الجواب على تساؤلاتنا . لو لا هذا لما كان علينا ، بعـد الثورة الصناعية الثانية وقيام الامبريالية ، أن نستلهم في إشادة الإشتراكية ما كتبه عنها منذ قرن ونيف كارل ماركس وغيره .

ان نقطة الضعف الاساسية في الفكر العربي ليست في تقليد الفكر الغربي أو الشرقي ، بل في التقليد ذاته . والأدهى من هذا هو أن فكرنا آني مفاهيمه ردود فعل إنفعالية على الأحداث الراهنة . أما الفكر الصحيح فيستبق الأحداث ويستثيرها ليخضعها لإرادته عوضاً عن أن يخضع لها . وأخيراً فلأننا حريصون على أن يكون فكرنا عملاً نكاد نخسر الفكر والعمل معاً .

المرحلة التاريخية وسماتها

كي نفهم مواطن الضعف في الفكر العربي علينا أن نلاحظ المرحلة التاريخية الراهنة في سماتها وفي تحدياتها ، ومن سماتها الأساسية :

١ — التقنية : ولا نقصد بها المنجزات الصناعية التي تكاد تشبه الأساطير (وهي معروفة لدى الجميع) ،بل طغيان الاسلوب التقني . ولا نبالغ إذا قلنا : طغياناً ، فضمناً أو صراحة أصبح من بيده الحل والربط وفي أي مكان وجد ، يعتقد أن الإنسان يمكن أن يصطنع كما تصطنع السلعة . فالجماعات — شعوباً وقوميات ودولاً — يخطط لها مسبقاً وبقرار يجب أن تقسم وتكون تبعاً للمخطط ، و كذلك الرأي العام والإيديولوجيات والأفكار والإنسان ذاته (غسل الأدمغة الحرب النفسية ، الخ) .

٢ ـ « العلمية » : ولا نقصد بها أيضاً منجزات العلم (ونموذجها الفيزياء الرياضية) ، بل تحويل الظواهر الى مفاهيم ومن ثم الى دساتير ومعادلات يجب أن ينصاع لسلطانها الواقع ، إنسانياً كان أم مادياً . فالذرة (في جسيماتها وحيباتها وحركاتها) الذرة التي لاترى حتى ولا بالمجهر الإلكتروني ، ليست الا مجموعة معادلات فرضها العقل الرياضي وأجبر المادة على الإنتظام ضمنها . لايوجد عصر من عصور التاريخ أعطى للفكر النظري المجرد من المكانة ما أعطاه عصرنا . فمنذ أن اكتشف الإنسان القاطرة البخارية أدرك بالتجربة أن السبيل الوحيد لزيادة المردود هو الإمعان في التجريد ، اذ ان الآلة هي أيضاً معادلة رياضية حولت الى حديد وصلب فأصبحت قادرة على استقطاب القوى الطبيعية وتسخيرها لخدمة الإنسان . ويقابلها في العالم الإنساني الإيديولوجية . فهذه « منظومة مفاهيم » تستخدم لادارة الانسان وتوجيهه كما تستخدم الآلة لإدارة الواقع الطبيعي .

وقد دفع الانسان ثمن هذه الخطوة الجبارة غالياً ، اذ ان التقدم العلمي ـ التقني يكاد يفقده عفويته .

٣ ـ العالمية : ان الخاصتين السابقتين متلازمتان ، وربما كانتا بالنتيجة خاصة واحدة ، وهما تلخصان الحضارة الحديثة كلها . فالتجريد والتطبيق هما جوهر « الحديث » وفيهما تبدو حضارة القرن العشرين مختلفة جذرياً عن كل الحضارات الماضية . ولما كان التجريد ، تعريفاً ، مستقلاً عن الزمان والمكان . فالحضارة الحديثة عالمية في طبيعتها حتى لتكاد تصبح الخصائص القومية فيها فولكلوراً .

٤ ـ يقظة الشعوب والقوميات : وهي رد فعل طبيعي على السمات السابقة التي اذا ماسيطرت سيطرة تامة افقدت الانسان ـ فرداً وجماعة ـ

خصائصه الذاتية وأدت الى نتيجتين بمنتهى الخطورة هما : إلحاق الانسان بالآلة و « التسطيح » . ولهذا نرى الشعوب اليوم ، في شرق الأرض وغربها ، بحرص كل منها ، على أن يكون صنواً في إنشاء الحضارة العالمية دون أن يفقد أصالته المتمثلة في ماضيه وفي إبداعه الأدبي .

ولكل من هذه السمات وجهان : الواحد ايجابي والآخر سلبي ، فهي تعطي الانسان أكبر فرصة ممكنة لتحقيق انسانيته كما أنها بذات الوقت تهدده بالإنسحاق اذا لم يكن على مستواها .

تحديات الحضارة الحديثة للعالم الثالث والعرب

أولها : كلمة (عالم ثالث) أو (عالم متخلف) أو (وفي الكلمة مافيها من سخرية : عالم نام) فهذه النعوت ، هذه المترادفات هي وحدها بمثابة استعمار فكري كامل ، اذ انها (وهي من ابتكار العالم المصنع ، قبلها العالم غير المصنع وكأنها حقيقته العميقة) تحشر أكثر من ثلثي سكان المعمورة في مقولة واحدة ، أوبالأحرى تصهرهم في بوتقة موحدة ، وفي أحسن الحالات تضعهم تحت الوصاية . وبالفعل فليس هذا العالم هو الذي يخطط لتقدمه بل يخطط له ، وعليه أن يتكيف تبعــاً للمخطط ويندمج في أطره . وهذا هو جوهر الاستعمار وحقيقته العميقة .

لايوجد تخلف مطلق . ولو صح ووجد لكان الانسان الذي يتسم به كمن حكم عليه بالهلاك الأبدي . ان التخلف وضع طارىء وجدت نفسها فيه أمم عاشت في القرون الأخيرة معزولة عن التقدم الصناعي الاقتصادي فلم تتنبه للحدث الجديد الهام الحاسم . وهو يختلف في مواصفاته وفي طرق معالجته من أمة لأخرى ومن شعب لآخر .

ان مايختبىء وراء هذه النعوت (الاستعمارية) هو الصراع في كل أقطار العالم بين المترف والمحروم ، بين الظالم والمظلوم ، أوقل انه الصراع ، ولأول مرة في تاريخ الانسان ، في سبيــــل تحقيق العدالة على مستوى الانسانية كلها .

ثانيها : الحضارة الحديثة ذاتها ، لافي منجزاتها الصناعية (فهذه مجموعة سلع تباع في الأسواق) وانما في نقطة انطلاقها التي هي الفكر النظري المجرد . ان الخطأ الكبير الذي يرتكبه سياسيو (العالم الثالث) ومفكروه هو اعتقادهم – الضمني او الصريح – أن اقتناء الآلة أو انتاجها جزئياً (ولا يمكن أن يكون الا جزئياً) هو السير في طريق الحضارة الحديثة . فالحضارة ليست في الآلةوانما في العقل الذي يبدع الآلة وما يزال يغنيها بالمزيد من الفكر النظري.

ان من يطلع على النتاج الفكري والأدبي في العالم المصنع تعتريه الدهشة عندما يطلع على مايقابل هذا النتاج في العالم غير المصنع . لقد أشار الأستاذ جاك بيرك خلال اقامته الأخيرة القصيرة في دمشق الى مسألة أعتبرها بمنتهى الخطورة الا وهي هزال الفكر التحليلي في النتاج العربي الحديث بكل الوانه . وهو محق كل الحق فيما يقول ، فتحويل الواقع – طبيعياً كان ام انسانياً – الى مفاهيم وربط هذه المفاهيم بعضها الى بعض في مقدمات تلزم عنها نتائج ، ومن ثم نقد هـــذه المفاهيم في أسسها للكشف عن حدودها ، هذه العمليات العقلية التي يعرفها طلابنا من المرحلة الثانوية ، والـــتي كان أرسطو أول من كشف عنها ، هي الأساس الذي انطلقت منه الحضارة الحديثة وهي الـــتي تعرف باسم المنهج التحليلي الإنتقادي أو باسم المنهج العلمي ، ناهيك عما طرأ على هذا المنهج من تعديلات أساسية ، منها بشكل خاص النهج الديالكتيكي بأشكاله المختلفة ، بما لامجال لذكره الآن .

ولهذا فمن المؤكد أن الثورة الحقيقية يجب أن تبدأ من هنا والا فكل عمل ، مهما كانت التضحيات التي تبذل في سبيله ، قليل الجدوى .

ثالثها : موجه نحو العرب بشكل خاص ألا وهو الغزو الصهيوني ، وهو نتيجة لما تقدم . اننا نعيش في عالم ماتزال ستة الصراع على البقاء ، عالم لم يشف من عقده وغرائزه المكبوتة ولم ينتصر بعد على رواسب التاريخ . لابل يبدو أن الصراع على البقاء قد بلغ الآن من الضراوة مالم يبلغه في أي عصر آخر ، لأن الآلة اعطت لمن يبدعها قوة هجومية لاحد لها . ولسوف يعاني الانسان ، ولزمن طويل على مايظهر ، كثيراً من الآلام والنكبات قبل ان يشفى من مرض التسلط والانتقام ، وحتى تنتصر النزعات الخيرة فيه على النزعات الشريرة .

ما الذي قمنا به لدرء مخاطر هذه التحديات والانتصار عليها ؟

لقد ربحنا الجولة الاولى من المعركة الا وهي التحرر فأصبحنا سادة في بلادنا ، ولكن هل وفرنا لانفسنا أسباب ممارسة هذه السيادة ؟

عندما نطرح هذا السؤال يبدو لنا بوضوح قصورنا في المجال الفكري .

ان اكثر من نصف العالم معنا في المعركة – وهذا كسب كبير – ولكنه معنا سياسياً ، وهذا غير كاف ، فقد تتبدل السياسة ويختل ميزان القوى . ان الصراع بين الكتلتين الكبيرتين لم يعد له من الوضوح ما كان له منذ سنوات قليلة . ومن ثم فان الواقع الانساني – وهو على ماهو عليه من التعقيد – لايمكن ، ولا في وقت من الاوقات ان يأخذ هذا الشكل المانوي : هنا النور وهناك الظلمة ، هنا الخير وهناك الشر . ولنفرض انه كذلك ، فتحرر العالم الثالث بمساعدة الكتلة الشرقية لايفيد العرب الا بمقدار ما يتمكنون من تحـــرير انفسهم واوضاعهم الاجتماعية على كل المستويات ومنها بالدرجة الاولى المستوى الفكري . فالقاصر ، بين الاخوة ، يبقى دوماً تحت الوصاية .

قد تضطرنا المعركة في حال تأزمها للأخـــذ بالتصنيف المانوي فنميز على شكل قاطع بين الصديق والعدو . اذ كلما ازدادت المعركة حدة يجب ان يحدد هدفها على كل المستويات . ولكن كلما التزم الفكر باتجاه عليه ان يزداد انفتاحاً. فالفكر عندئذ كالجندي في المعركة . ان الجندي الذي لايرى أبعد من أنفه يخسر المعركة . والفكر الحقيقي كالنور ، كلما اشتد وسلط نحو نقطة ازدادت الفسحة التي يضيء ، واصبح اشد قدرة على التمييز بين الممكن وغير الممكن .

ان الفكر هو الذي يحرر لا السياسة ، لالاننا نميز بين الاثنين ، فالمستويات الثلاثة التي اشرنا اليها مترابطة دياليكتيكياً كما قلنا ولايمكن الفصل بينها ، ولكن الشعب قوة نزوعية والسياسة قرار وتنفيذ ، ولا يمكن للقوة ولا للقرارات ان تصبح فعالة الا اذا اقترنت بالفكر النير . وعندما يحرر الفكر ذاته يحرر معه الشعب وقادته .

قيل في (ندوة المثقفين العرب) ان آلاف الكتب لاتفيد في معركة كالتي نخوضها مع اسرائيل والصهيونية لأن دولة هؤلاء قاعدة استعمارية موجهة ضد قارتين ، وهذا صحيح اذا كانت الثقافة كتباً وحسب . وقيل ايضاً ان الشعب وحده هـــو الذي يستطيع ان يقاوم الاستعمار وفي المعركة الشعبية تتكون القيادات وثقافة القادة الشعبيين . وهذا صحيح ايضاً . ولكن ايمكننا ان نتصور معركة بدون تخطيط فكري يسبقها ويتكون معها ويستمر بعدها . ان طرح المسألة على هذا الشكل يفقدها بعداً أساسياً من ابعادها .

إن السؤال الحقيقي الذي يجب على الفكر العربي ان يطرحـــه على ذاته هو التالي :

ما الذي فعله الفكر العربي في سبيل المعركة التي نخوضها جميعاً شعبـــاً ومفكرين وسياسيين ؟ وبالمقابل :

ماالذي فعله السياسيون ليمكنوا الفكر من القيام بدوره .

لنأخذ على سبيل المثال الفكرة الاشتراكيـــة . نحن مع المعسكر الاشتراكي في معركة واحدة . ولكن ماالذي فعلناه لنكوّن لأنفسنا فكراً اشتراكياً ؟ لابل هل تمثلنا الفكر الاشتراكي وهو تراث ضخم يغـذي الفكر العالمي في شرق الارض وغربها ؟ لانعتقد ، فما كُتب في هذا المجال حتى الآن على مانعلم شخصياً تبسيط يبلغ احياناً حد الابتذال والتشويه لأفكار ونظريات اقل مايقال فيها انها في أعلى المستويات الفكرية . وماترجم عن الاشتراكية حتى الآن لايسمن ولايغني من جوع ، وهو في اكثريته الساحقة (على مانعلم أيضاً شخصياً) مشحون بالاخطاء . وكله ــ المؤلف والمترجم على حد سواء ــ يشوه التفكير السليم ويضلل المفكر المبتدىء .

لقد اصبحت الفكرة الاشتراكية ــ وكذلك الفكرة القومية وفكرة الحرية ، شعارات (وهذا فيه مافيه من الفائدة) ولكنها لم تصبح نقطة انطلاق لدراسة الواقع العربي دراسة علمية . ان النقطة الاساسية في الاشتراكية ــ وهي ان العمل الجماعي مصدر الحقوق والواجبات ــ لم تطرح يوماً على بساط البحث ، في حدود ماقرأنا ، على شكل جـــدي يبرز مضمونها ويجعل منها أساساً للتشريع والتخطيط والتفكير .

ولهذا فقضيتنا ليست واضحة لا في الشرق ولا في الغرب ، وانما هناك ايمان بعدالتها في الشرق وانكار مغرض لعدالتها عند الاكثرية الساحقة من مفكري الغرب وسياسيه . والايمان بدون العقل لاشيء .

ذلك ان الفكر العربي ، الى جانب ضعفه في التحليل الانتقادي وربما لهذا السبب ، آني كما قلنا تستثيره الحوادث فيجيب عليها دون أن تكون له القدرة

على المبادهة والتطلع ، تعوزه دوماً (الفسحة) التي يتسم بها الفكر العلمي أي، فسحة التأمل والروية حيث يرى الانسان العاقل الحادثة في كل ملابساتها المحلية والقومية والأممية وفي معناها القريب والبعيد . فهو كالنقد بدون تغطية (لا يقبضه احد) ان الفكر في رصيده النظري فاذا مافقده ذاب في الحادثة وفقد المبرر لوجوده.

قد يكون للسياسي العذر عند اتخاذ قرارات فورية في تسارع الاحداث الذي اشرنا اليه ، وهو مع ذلك عذر غير كاف فهل من عذر للمفكر ؟ سنجيب على هذا السؤال فيما يلي . نستطيع ان نقول الآن ، نتيجة لما تقدم ، انا ربحنا في معركتنا (جولة التحرر) على الصعيد السياسي ، ولكننا لم نربحها على الصعيد الفكري لأن الفكر العربي لم يتكون بعد ، او اننا قمنا بثورة سياسية ولم نقم بثورة فكرية .

حرية الفكر

أثيرت في (ندوة المثقفين) اكثر من مرة مسألة حرية المثقف ، فرأى بعضهم ان المفكر معذور في قصوره لان الحاكم ، لسبب او لآخر ، علق الحريات. ورأى البعض الآخر في هذا الزعم تخلفاً عن ركب حركة التحرر وبالنتيجــة ، ارتباطاً عن قصد او غير قصد ، بنمط من التفكير يعطل عمل الثورة ، ألا وهو التفكير البورجوازي . فالمثقفون في (البلدان المتخلفة) من طبقة مترفة او شبه مترفة وهم ، لهذا ، مرتبطون بمصالح طبقتهم وبالتالي بمصالح الاستعمار . ولن يلعبوا دورهم الا اذا انضموا للثورة التي تستطيع وحدها ان تحررهم اذ تدمجهم بالطبقات الشعبية وفي حركتها المتجددة باستمرار .

والواقع انا لو عدنا الى تاريخ القطر العربي السوري الأخير لوجدنا ان المثقفين في اكثريتهم كانوا من الطبقة الوسطى فما دون ، وانهم ، هم ، الذين كانوا

اول من تمرد على الوضع (العائلي – الاقطاعي) وبعده على الوضع (شبه الرأسمالي) في هذا القطر . ومايصح في سورية يصح ، لحد بعيد ، في البلدان المتخلفة اقتصادياً . فالثورات تبدو على شكل نزوع غامض عند الشعب ، ويحدد معالمها ويخطط لها المثقفون . ان كل ثورة ينقصها البعد الفكري تصبح مجرد حركة تمرد فوضوية سرعان ماتقمعها السلطات الرجعية .

ان المرض المزمن الذي يعاني منه مثقفو (البلدان المتخلفة) هو انهم كلهم من الموظفين ، والموظف مرتبط بالحكم الذي يدفع له مرتبه . وفي ذلك بعض العذر لهم . ولكنه ليس عذراً كافياً . فالفكر أكّد وجوده في أظلم العهود ، لابل ان الفكر الحر يجد في الطغيان حافزاً يدفعه الى التمرد والثورة .

وهذا مافعله الفكر العربي ايام الاستعمار القديم اذ صمد في وجهه ، ودحره عندما دقت ساعة اندحاره . ولكنه – وهذه حقيقة يجب ان نؤكد عليها – وقف عند هذا الحد . فلم وقف ؟ لايمكننا ان نضع المسؤولية على الحاكم وحده ، ولا على الفكر وحده فكلاهما مسؤول . لو تفحصنا التاريخ العربي الحديث لوجدنا ان حاكم اليوم نشأ وترعرع مثقفاً مع المثقفين ، سواء منهم الذين يعملون معه او يعارضونه . لقد كان الحاكم زميلا للصحفي والمدرّس والمحامي والطبيب والكاتب ، الخ .. على مقاعد الدراسة ، ثم رافقهم وتبادل معهم الآراء في الحلقات السرية والعلنية التي كانت تعقد لتخطط للثورة .

ان المفكر الذي يتنازل عن حريته لسبب او لآخر (والاسباب عندنا معروفة) يخسرها ، ولاعذر له في ذلك لأن الحرية هي الانسان . وكذلك الحاكم الذي يعلق الحريات فهو يصبح أسير افكار جامدة تفقده ، هو ايضاً ، حريته ، اذ ان الحرية تنشأ وتنمو في الفسحة التي يفتحها للفكر أمام العمل لتفجر امكانات المستقبل .

الحرية ، كـكل الاشياء الثمينة ، آخر مايكتسب الانسان وأول مايفقد ، فليست إذا وضعاً ثابتاً نستقر فيه ، بل نضالاً مستمراً في سبيل التحرر ، متى ضعف أو خبا ضعفت الحرية وزالت تدريجياً .

وكذلك الحقيقة ، لانحصل عليها كما نحصل على الاشياء فتملكها الى الابد ، بل هي هدف نسعى نحوه باستمرار دون أن نصل اليه . والحرية والحقيقة أمر واحد . ولهذا فأخطر محنة يتعرض لها الانسان تأتيه عن ذلك الذي ـ جماعة او فرداً ـ يعتقدان حقيقته هي الحقيقة وما عداها ضلال . اذعندئذ وباسم الحقيقة يطعن الانسان في انسانيته وهي اقدس مقدساته . كنا ـ سياسيين كنا أم مفكرين ام ابناء شعب ـ في الطريق الى الحقيقة . فعلينا ان نفتح صدورنا لها . والحق وحده وهو الذي يحرر .

الحل ... ومنطلقاته :

لا يمكن ولا يحق لانسان ، كائناً من كان ، ان يمنح لنفسه حق الانفراد ، لا نظرياً ولا عملياً ، بوضع حل لمشكلة يترتب على حلها مصير مائة مليون من البشر . ثم ان المعركة طويلة الأمد متعددة الجوانب والمستويات والأبعاد ، كل يوم تبدو لنا في وجه لم يكن بالحسبان ، وتطلع علينا بمفاجاءات تؤثر في معطياتها . وأخيراً فهي جزء من معركة اوسع بكثير من معركتنا القومية : انها معركة (العالم الثالث) مع استعمار يزداد ضراوة كلما اشتدت ، وبشكل أعم ، فهي معركة الشعب مع مستغلّيه . ولهذا يجب أن يكون الحل على الصعيد الفكري (وعلى غيره ايضاً) نتيجة لمناقشات يشترك فيها ، وفي حوار مستمر ، كل من تمسه المعركة من قريب او من بعيد ، افراداً وجماعات ، عمالاً ومثقفين وقادة . وتفترض المناقشة الفكرية (او الحوار) ثلاثة شروط متلازمة كل منها يستدعي الآخر : الأول ، الأخذ بالمنهج العلمي التحليلي ؛ الثاني ، انفتاح كل طرف في

الحوار على الآخر ، الثالث ، حرية المناقشة . وقد برهنت تجربة ربع القرن الأخير ان هذه الشروط غير متوفرة لدينا وخصوصاً الثاني . فالمثقف العربي اجمالاً آحادي النظرة ، منطو على ذاته ، يعتقد ان الحق بجانبه وحده . ولهذا فما ان يبدأ النقاش حتى يتحول الى اتهام ضمني او صريح وتأخذ الافكار شكلاً انفعالياً يزيّفها ويخرجها من حقيقتها .

الحل كلّي كالمشكلة منطلقاته على ما نرى أربعة :

الأول قومي . أصبح واضحاً لدى العالم أجمع ، أصبح واضحاً لدى أعداء العروبة أنفسهم (وما أكثرهم !) أن العرب يؤلفون في المجتمع الانساني جماعة قومية متضامنة في مصير واحد . ولقد برهن الشعب عفوياً على هذا التضامن في معاركنا القومية الأخيرة (تحرير الجزائر — العدوان الثلاثي — النكبة الأخيرة) . ولكن عجزنا حتى الآن عن إنشاء مؤسسات اقتصادية وثقافية وسياسية ، الخ ... تحوّل التضامن التاريخي العفوي الى حقيقة فعلية تقيم لهـا السياسة الدولية وزناً يتناسب مع ما يجب ان يكون لنـا من مكانة . وهذا ما نلمسه في واقعنا اليومي ، فما أن ينحسر ظل العدوان حتى نعود الى خصوماتنا الداخلية وتستهين بنا الأجنبي . يحق لنـا أن نختصم في كل الأمور وعلى كل المستويات ، ولكن من الجريمة والعار أن نختصم حول مسألة كالمسألة الفلسطينية تهددنا في وجودنا .

الثاني شعبي . ان التعبئة الشعبية التي نكثر الآن من الحديث عنها ، ليست شعارات وبيانات واجتماعات قومية ، فحسب ، وانما هي بالدرجة الأولى عمل جماعي له مردود فعلي في الزراعة والصناعة ، كما في الحرب والثورة ، عمل تخطط له كل فئة من فئات الشعب تبعاً لحاجاتها وتنفذه ثم تنقده بحرية مطلقة .

لتعرف ثغراته قبل أن تتغنى بانتصاراته . ان الشعب في عقله لا في انفعالاته ، في تنظيمه لا في مسيراته .

الثالث فكري : يجب ان نكون صريحين مع انفسنا فنقول ان الفكر العربي في أول يقظته ولما يتكون بعد . فكل ما كتب عن القومية ، مثلاً ، تقليد نزعم انه علمي مع ان الابحاث الاجتماعية تخطته منذ زمن طويل . وما كتب ويكتب عن الثورة صالح لاستثارة الجماهير لا لتربية عقلها . وما كتب عن الاشتراكية قد يكون نقيض الفكر الاشتراكي ، فهذا تحليل دقيق لواقع معين على ضوء علم يتكامل باستمرار هو علم الاقتصاد وعلى ضوء منهج ينمو دون انقطاع هو الديالكتيك . ونحن نقتصر على بيانات ان صحت فهي تعبر عن وجه واحد من وجوه الواقع ، وفي كل الأحوال لا تحدد الخط الذي يجب ان يسير على هديه هذا الفلاح او ذاك العامل ليحقق الاشتراكية عملياً .

وبكلمة فان ادبنا ادب شعارات لم يرق بعد الى مرحلة التحليل الانتقادي الذي اشرنا اليه مع ان هـــذا الاسلوب هو الذي اعتمده الذين وضعوا اسس الاشتراكية او طبقوها عملياً .

الرابع الانفتاح الفكري بالتجاوب مع الفكر العالمي من جهة ومع الشعب وقادته من جهة أخرى . ان الفكر العربي مصاب، الى جانب امراضه الكثيرة ، بعقدة الخوف ، خوف متبادل بين الحاكم والمفكر ، تنتج عنه قطيعة متبادلة بين الشعب والمفكر والحاكم ؛ مع ان الحاكم هو بالنتيجة أنا وأنت وكل إنسان ، وكذلك الشعب والمفكر . ولا يمكن التمييز بين الثلاثة الا بالتحليل النظري ؛ فكلنا ، بنسبة موقعنا من المعركة ، حاكم ومفكر وشعب . فعلى المفكر ان ينتصر على عقدة الخوف من الحاكم ، وعلى الحاكم ان ينتصر على عقدة الخوف من الانفتاح . وعلى الاثنين ان يعرفا ان الانفتاح على الشعب

معناه تحرير عقل الشعب لا استثارة غرائزه . ليس الحاكم هو الذي يحررك ويحررني . وانما نحن الذين نحرر انفسنا ، كل منا بنسبة انتصاره على غرائزه وانانيته ، وكذلك الحاكم ينفتح عليك وعلي عندما ينتصر على كبريائه ليصغي الى صوتي وصوتك .

وبالنتيجة فاذا لم يتكون الفكر العربي على أسس علمية فلن يتكون الشعب ولا الحاكم ، ولن تتكون الأمة التي بيدها وحدها حل مشكلة هي، في المرحلة التاريخية الراهنة ، مفتاح مشاكلنا كلها .

في صلة الكاتب العربي

بالهم الفلسطيني الكبير

يوسف الخطيب

يبدو أن صلة الكاتب العربي بوجه عام ، سواء بأصل القضية الفلسطينية ، أو بما تفرع عنها عبر عشرين سنة ، يصح اعتبارها احدى فضائح النفس العربية ، أو أمراضها ، في هذا الجيل من الزمن ..

ولكن ، هناك من ينصح عادة بأن على الكاتب الجاد ألا يتسرع في اطلاق مثل هـذه الأحكام المتطرفة ، حتى لا يعاب عليه الارتجال والعاطفية والجموح .. والحقيقة أن نصف المشكلة تماماً انما هو مع هؤلاء السادة الحكماء المتبحرين ..

لقد حدث ببساطة في أواسط هذا القرن، أن أصيبت الأمة العربية بتلك الضربة المحكمة في جماع أعصابها عام ١٩٤٨. ولقد كان مفروضاً، على نحو ما يتكرر في التاريخ، ألا تؤدي ضربة كهذه، مهما بلغت من الشدة، الى فقدان الذاكرة، وانفصام الشخصية، الا اذا كانت أمة بعينها قد آلت بصورة طبيعية — أي بهذه الضربة أو بدونها — الى مرحلة التفسخ النهائي، والاضمحلال والخروج من التاريخ.. وهذا في الحقيقة هو عكس اتجاه الأمة العربية منذ ان بدأت تتفتح مشاعرها القومية في أواسط القرن المنصرم.. ففي أمة كهذه، مقبلة على العصر، لامدبرة عنه، يترتب على عقلها ووجدانها — كتاباً، ومفكرين، وشعراء — عبء السيطرة على استجاباتها المادية والنفسية، في كل تصادم لها مع تحديات هذا العصر، سياسية كانت او اجتماعية، او عسكرية، أو من أي قبيل..

فأي تصادم نحن بصدده الآن؟!.. اننا بصدد ذلك التصادم التاريخي الذي تم على أرض فلسطين مع الحركتين الصهيونية والاستعمارية، في صورة من التحالف المصيري بينهما لم يسبق لها مثال في التاريخ.. فمن هنا يفرض السؤال نفسه: الى أي مدى تمكن عقل الأمة العربية، ووجدانها، من أن ينحاها الاستجابة السليمة والفورية لهذا التحدي الرئيسي الكبير؟!..

أولاً وأخيراً، كان على الكاتب العربي، اكثر من أي خليفة أو امام او ملوك، أن يتجاوز الحجم البشري والجغرافي الراهن للقضية الفلسطينية، الى تحديد الأبعاد الحقيقية لهذه القضية، عمقاً وأفقاً، في غور المجتمع العربي، وعلى سعة الوطن الكبير.. ولعل أمامنا الآن مفازة عظمى من الجهل والغباوة والغطرسة الاقليمية، يجب ان نجتازها بشقة الأنبياء، وعذابهم، قبل أن نعانق الحقيقة البسيطة التالية: وهي أن فلسطين لم تكن يوماً مجرد فلسطين.. انما كانت على مر

العصور ، ومـــا تزال الى اليوم ، التسمية الأخرى المختصرة للوطن العربي . هي تلخيصه العام ، وهو تفريدها المتعدد الأسماء . . ولأن أي جدل قد نفتتحه حول هذه الحقيقة ، الأعجوبة ، سيكون معادلا تماماً لرواية مجمل التاريخ البشري المتعلق بهذا الجزء من العالم ، فان خير مانفعله الان هو أن نتجاوز هذه المسألة بسلام . . ذلك كي تركز اهتمامنا الحالي على نقطة بعينها ، هي غياب الكاتب العربي ، بصورة مخجلة ، عن قضيته الانسانية الخاصة ، التي نسميها قضية فلسطين . الا أنتا في كل مرة نذكر فيها « الكاتب العربي » ، يجب أن نقصد بذلك الغالبية العظمى من الكتاب العرب ، لاجميع هؤلاء الكتاب بطبيعة الحال . .

بهذا المعنى ، خرج الكاتب العربي من غبار هزيمة ١٩٤٨ على هيئة مزرية مشوهة ، لم يفقد معها الارض وحسب ، وانما فقد ايضاً ذاته وذاكرته . .

لقد عصب عينيه بصورة عمدية ارادية عن معـالم الهزيمة الفاجعة خشية أن ينتسب اليها أو أن تنتسب اليه . . فلئن كانت الهزيمة عربية قومية حقاً ، فليس ثمة مايقيه عارها الا أن يبدل انتماءه القومي من الأصل ، الى أي انتماء ديني ، أو عالمي ، او أثري منقرض . . الا أن هنالك ، بطبيعة الحال ، من يتشبثون بانتمائهم القومي العربي ، فهؤلاء استطاعوا ان يجدوا لأنفسهم مهرباً آخر من العار ، اتخذت معه الهزيمة حجمها الفلسطيني الجغرافي المحدود . . ان هؤلاء الهاربين جميعاً ، سواء من جذورهم القومية ، أو من طابع الهزيمة القومي ، كان لابد أن تجمعهم عشرون سنة من الفرار على تيه اغتراب واحد غير ذي حدود . . لقد أصبح يخيل اليهم تدريجياً ، مع الحاح الرمل والسراب والظمـأ والجنون ، أنهم انبياء الصحارى المرسلون حديثاً من أجل خلاص هذا العالم المعذب الفسيح . . انه لم يبق شيء من أجسادهم ، وقد أصبحوا الان مجرد أرواح شفافة ، يحملون صليب العالم ، ويناون صوفية القرن العشرين . .

ثم يجب أن نميز جيداً بين الكتاب ، والكتبة .. فان هؤلاء الأخيرين ، باعتبارهم يشغلون وظائف عادية في مختلف مشاريع الصحافة ، والنقد ، والفن ، فانه يجب استثناؤهم من محور اهتمامنا الحالي .. اننا نقف وجهاً لوجه أمام الأسماء الكبرى ، ذات الطنين والرنين في حياتنا الثقافية المزيفة .. من هؤلاء من لامس أحيانا ذلك الجرح الانساني الفلسطيني ، ولكنها تلك الملامسة السطحية مع قضية خارجة عنهم ، وواقعة في الطبيعة والأشياء ، ربما على نحو ما يرثي الرومانتيكيون عصفوراً محتضراً ، أو على نحو ما تعودهم كآبة أمامي الخريف .. لقد وضع بعضهم — لأسباب اجتماعية في غالب الأحيان — تلك القصة القصيرة ، او تلك القصيدة اليتيمة ، حول بؤس « اخواننا اللاجئين » ، وليالي الشتاء التي يسلخونها مع الجوع ، والسل ، والزمهرير .. بينما الأقطاب الفكريون منهم كان أشجع ما انتهوا اليه هو الدفاع عن حق هؤلاء اللاجئين في العودة الى « وطنهم » فلسطين .. لكننا مع ذلك قد ننقب في عشرات الأسماء الأدبية والفكرية الأخرى ، فلانعثر على أية صلة لها بالموضوع .. سنكتشف لقاء ذلك ، أن اتصال هؤلاء قائم فعلامع القضايا العالمية ، الشاملة ، الراقية .. مع قضية انسان القرن العشرين في صيغته المطلقة .. مع ضياعه ، وتمزقه وانتحاره .. أو اذا كان الأديب أو المفكر ذا نزعة سياسية ، فانه سيتعهد مثلا قضية من مثل الحركة الثورية في اقطار امريكا اللاتينية ، أو من مثل التمييز العنصري في افريقيا ، أو من مثل هــذا النظام الاجتماعي أو ذاك على سعة الكرة الأرضية .. الا ان اية قضية يتعهدها كاتب من هذا الطراز ، يجب ألا تقل ألف ميل على الأقل ، عن تلك الرقعة من الأرض التي تقوم عليها قضية « الشعب الفلسطيني » .

ان هذا الشعب موجود في « محطات الساحة السياسية — اي في المخيمات »

قدر ما هو موجود ايضاً داخل الارض المحتلة ، تحت الحكم الصهيوني .. شعب ، أحد شطريه في المنفى وشطره الآخر في المعتقل .. ولئن كانت تلك الندرة النادرة من الكتاب العرب قد وضعت بعض الآثار الهزيلة عن « فلسطيني المنفى » ، فان أحداً منهم لم يتصل ، الا مؤخراً ، بمأساة « فلسطيني المعتقل » ، أولئك الذين يمكن من خلال قضيتهم ان يتناول الكاتب العربي قضايا : الانسان ، والحرية ، والثورة ، والتمييز العنصري ، وسائر اهتماماته العالمية الأخرى ..

وعلى اعتبار أن « الكلمة » عادة ، هي التي تبرز « القضية التحررية » ، في طورها الأول ، بعد بضع رصاصات افتتاحية ، فان الملاحظ بمرارة أن « الكلمة العربية » لم تقم بهذا الدور ، رغم مئات المحاولات الفردية الانتحارية داخل الارض المحتلة ، لإشعار الرأي العام العربي اولاً ، فالرأي العام العالمي ثانيا ، أن ثمة قضية دامية حقيقية لهؤلاء العرب الموجودين في « اسرائيل » .. بل اننا نلاحظ ايضاً أن مجزرة بشرية تامة كمجزرة « كفر قاسم » عام ١٩٥٦ ، لم تتصل جيداً بعلم الرأي العام العربي الا في صيف عام ١٩٦٥ ، مع تأسيس « اذاعة فلسطين » في دمشق ..

خلال تلك السنوات التسع التي مرت على المذبحة الرهيبة ، لم يبق شاعر عربي لم ينظم قصيدة في « جميلة بو حيرد » ، وأخرى في « بور سعيد » .. وقياساً على هذا ، فان تلك المجزرة النموذجية قد تتصل بعلم الرأي العام العالمي ، واهتمامه في اوائل القرن الحادي والعشرين .. ان شاء الله ..

لهذا السبب نلاحظ أن مرتبة الانسان الزنجي في جنوب افريقيا ، تظل ، دون شك ، أعلى من مرتبة الانسان العربي في « اسرائيل » .. ذلك إن نحن قسنا مرتبة كل منها ، بقدر ما لقضيته الخاصة من دوي في ضمير العالم المتمدن

الراهن .. ان زنجياً يسقط قتيلا برصاص الرجل الابيض في روديسيا ، انما يسقط في الوقت نفسه شهيداً ضمن معركة الانسان الهائجة في سبيل الحرية - نحن هنا ، بجرأة ، امام التقييم العالمي للمأساة - .. واما حين يذبح العربي ذبحاً في فلسطين ، ولمجرد اللذة الوحشية في استعمال مدية في عنق بشري ، فالقضية هنا ، في صورتها العالمية الغالبة ، لا تعدو قضية هندي احمر يقتل في رواية اميركية .. انه لامجـــال ابداً للرفق بسلالة متوحشة تعترض مجرى التاريخ !! .. ثمة دولة متحضرة ، هنا ، تحمل مشعل الحضارة في بحر من الجهل والعبودية والكراهية متلاطم الأمواج .. اذ هكذا اوصلت الصهيونية قضيتها الى العالم ، فكراً ، وفناً ، وأدباً ، ولم يقم على عكس ذلك ، عربياً ، الا رطانة المماليك ، وصور الخلفاء الملونة ..

لكن .. هل الكاتب الزنجي هو الذي عمم قضيته الخاصة على العالم المتحضر على نحو ما نفترض ذلك في الكاتب العربي ؟ .. كلا طبعاً .. كلا ، لأن ذلك الكاتب الزنجي غير متوفر أصلاً ، وغير متصل كالكاتب العربي بأغوار التاريخ .. انما الذي تعهـــد قضية الانسان الزنجي هو الكاتب الأبيض نفسه ، ذو المتعة الحضارية الخاصة في نشر مفاهيم الحرية ، والعدل ، والسلام .. راسل ومحكمته الدولية .. سارتر وشركاه .. الا ان هذا أو ذاك هما في الحقيقة أعمق البيض فهما وادراكاً لجدل التاريخ الحضاري ، لا المادي .. بل ، وعلى هذا الأساس عينه ، اكثر البيض رعباً وتقززاً من استعادة « السراسنة Saracens » دورهم في التاريخ .. ان مدينة القدس ، وفلسطين التي حولها ، لا الجزائر ، ولا حتى مكة المكرمة ، هي مركز الثقل ، وهي نقطة التصادم التقليدية مع « السراسنة المتوحشين » ، مروراً بالصليبيات ، ومنذ ما قبل السيد المسيح .

وهكذا ، ضمن غبار الغوغائية العالمية الذي أثارته الصهيونية حول قضيتها العدوانية الصراح ، ألفى الكاتب العربي نفسه — وقد فقد الآن ذاته وذاكرته — مجرد ببغاء صغيرة ، وجميلة ، تردد أقوال السيد الأبيض ، حرفياً ، في دفاعه المجيد عن الحرية ، وضد الظلم والاستغلال والتمييز العنصري ..

ثمة من بين الكتاب العرب ، من يحكي لنا الآن قصة « بوبيتو » الافريقي ، على نحو من الأداء الملحمي المثير .. وقد يعتقد ذلك الراوية العربي الحديث — ولكنه في الوقت نفسه ذو العباءة ، والربابة ، والأدوات الأخرى — انه قد استوفى بذلك جميع عناصر المأساة الانسانية المعاصرة ، لأنه قد غرف من رأس النبع تماماً ما يريد أن يقدمه للقراء ..

الا ان هناك حكاية أخرى ، ليس « بوبيتو » بطلها ، وانما تجري حوادثها ببساطة في الجليل الشمالي من فلسطين ، أو في مضارب بئر السبع .. أي على مرمى مدافعنا غير المرتدة ، على طول الحدود .. وقد يكون بطل هذه الحكاية أو انسانها احمد ، أو جريس ، أو عبد القديم .. أو قد يكون أبطالها ستة أولاد ، عرباً ، محصورين في الزمهرير . فها هي السلطة الصهيونية تقتحم عليهم تلك اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت تحت حمى « الحصبة » — وهذا ماحدث فعلا ، نقلا عن جريدة « الاتحاد » — وتقتلعهم في الصباح اقتلاعاً من منزلهم وحيد الحجرة ، قاذفة بهم في العراء الجبلي ، اثناء مايقوم أعضاء فرقة التدمير بنسف المنزل من أركانه الأربعة .. لماذا ؟!.. لأنه تقرر تهويد المنطقة ، تهويداً صافياً ، في تل أبيب ..

هذه الحكاية ، والألوف غيرها ، قد يمكن القول حقا انها لم تصل أبداً الى علم الكاتب العربي ، لكنه يمكن القول أيضاً ، ان الكاتب العربي نفسه لم يسع وراء علمها وتحصيلها ، وان هذا في الحقيقة هو مايميز كتّاب الأمة ، عن كتبة الدواوين ..

ان «بويتو» الانسان ، ليطل علينا يوماً من معظم الاذاعات والمطبوعات العربية ، على اعتقاد ممن يضعون مأساته العنصرية — مكان مأساة الأطفال العرب الستة المحصورين — أنهم بذلك يوفون ماعليهم من التزامات فكرية راقية .. لكن « بويتو » في الحقيقة يلعنهم بقسوة ، وقد ينساهم أن يغربوا عنه الى الجحيم .. وأما ماقد ينبهرهم به ثائر فيتنامي مثلا ، أو ثائر كوبي مثلا ، فمن غير المعقول أن يقبله القارىء ، أو أن يجيزه الرقيب .. ان جميع هذه النماذج الانسانية العالمية ، تطالب الكاتب العربي ، أولاً ، أن ينجز عبئه الذاتي من معركة الانسان الشاملة .. ليستطيع بعد ذلك أن يتصدى ، بجدارة ، للمساهمة في تحمل أعباء الآخرين ..

ان وجه اساءة الكاتب العربي الى هذه النماذج الانسانية ، وقضاياها العالمية ، هو أنه يود أن يلغ في مأساة الانسان الزنجي ، مثلا ، من نقطة مساوية تماماً للكاتب الأبيض ، الحر ، في اكمل حالاته الحضارية .. انه يود أن يخوض في القضية ذاتها من موقع جان بول سارتر ، وليس من موقع فرانز فانون .. ولهذا السبب ، على الأغلب ، يرفض الكاتب العربي عمدا أن يغوص في اعماق المأساة الفلسطينية — كبرى مآسي العصر — لأنه عند ذلك سيكتشف انه يتكلم من غير الموقع الذي يصبو اليه .. سيكتشف أنه ، هو ، موضوع المأساة ، لانصيرها العالمي في تمام عافيته الانسانية .. ولعل مثل هذا الادراك الباطني هو مايزيده هربا من ذاته ، وانسلاخا من جلده ، وحلولاً في الهموم العالمية التي هي ، قطعاً ، في غير ما حاجة اليه في دوامته الراهنة ..

ومع ذلك ، فان العالميين منا سيصرون على أن جوهر القضية اعمق من ذلك بكثير . ان ذلك الاصرار في الحقيقة هو درع النسيان العمدي الذي

يصطنعونه حول ادمغتهم الطرية ، كي لاتعجنها مسائل الواقع العربي ، الصعبة ، البالغة التعقيد ..

ان بين أيدينا الآن حصيلة التأليف والنشر العربيين ، اعتباراً من وقوع النكبة الأولى عام ١٩٤٨ حتى عام النكبة الثانية عام ١٩٦٧ .. وان كل مايمكن أن يكون عالمي القيمة من هذه الحصيلة ، لايمكن في الوقت نفسه أن يكون فلسطيني الموضوع !!.. يتساءل المرء ، أين هو الأثر العربي الواحد ، ذو المستوى العالمي، الذي وضعناه في المأساة الفلسطينية خلال جيل كامل من الزمن؟. ولقد يرى البعض أن عقم الفكر والأدب العربيين ، خلال هذه الفترة من الزمن كان عاماً شاملاً ، وليس قاصراً على الجانب الفلسطيني وحسب .. الا أننا في الوقت نفسه لم ينقطع وحامنا العربي التقليدي على جائزة « نوبل » .. فمن عجب ان نكون على تلك الدرجة من العقم ، وفي الوقت نفسه على تلك الدرجة من الوحام !!.. اننا الآن وجها لوجه امام فريق العمالقة ، وانصاف الآلهة ، وأساتذة الأجيال .. هؤلاء الذين نبحنا الغرب طويلاً أن يمنحنا ، من خلالهم ، جائزته السويدية ، أي بركته الحضارية المقدسة .. الا ان فرساننا المتسابقين وراء جائزة نوبل — وهي تجري امامهم كأرنب كهربائي منذ عشرين سنة — لم يضع احد منهم ، حرفاً اسود ، في حيز ابيض ، في أيما موضوع يلامس جرحنا « القومي — الانساني » في فلسطين .. حتى ، لئن قدر لأحدهم ان يظفر بالجائزة يوماً ، ويوماً سيظفر بها احدهم على وجه اليقين ، فعلى الأغلب لن يكون ذلك لأنه « قام بفعل ادبي معين » ، بل « لأنه امتنع عن فعل ادبي معين » .. وان هذا لما يميز « العمالقة » عن غيرهم ، بأن انفصالهم عن المأساة الفلسطينية ، ليس مجرد اتقاء لابصار دمامة اعماقهم في مرائيهم الذاتية ، قدر ماهو امعان واع في

حفر تلك الدمامة ، وتفصيلها ، وايضاح ملامحها على العالم كله ، سعيا على طريق الخلود الأدبي الذي ينشدون . . ان من هؤلاء الآن من احدى رجليه غائصة في القبر ، والأخرى تتثبت بظهر الأرض ، لاتريد ان تبارح هذا العالم الدنيوي قبل ان تتزود زادها الأخروي . . السويدي . فحتى آخر لحظة من العمر ستظل ابصارهم مشدودة الى « ستوكهولم » . . ويبدو لنا الآن ، على نحو من القواعد الكلية في الشريعة ، انك كي تتطلع جيدا الى « ستوكهولم » ، فليس ينبغي لك ان تتطلع مطلقا نحو « القدس » . . احداهما ، او الأخرى ، ولا توسط بين الحالين . والحقيقة انه ، على هيئة هؤلاء الرواد ، وصورتهم ، يظهر ان هنالك جيلا ثانياً ، وثالثاً ، من الكتاب العرب ، يضعون انفسهم من هذه الجبلة ، ويضعون اقدامهم ، منذ الخطوة الأولى ، على الطريق المؤدي الى «ستوكهولم» ، الى التوهج في سماء الثقافة العالمية . ليس هربا من دمامة الذات هذه المرة ، بل على العكس ، توكيداً على تلك الدمامة عن قصد وتصميم . .

ذات يوم من عام ١٩٦٥ ، أعلنت جامعة الدول العربية عن تخصيصها قدراً كبيراً من المال ، من أجل أن تستكتب به بعضاً من أدباء العالم اللامعين في حقل المأساة الفلسطينية . .

أية رشوة تلك ؟! . .

ان من المشكوك فيه أصلا أن يكون هناك أديب عالمي شريف يمكن أن يحرك قلمه بنقود الجامعة العربية ، او بنقود غيرها على حد سواء . . الا أننا لابد أن نفترض ، جدلاً ، أن ذلك الأديب موجود بالفعل ، لنستطيع أن نضع على لسانه الأسئلة الصغيرة التالية : « وماذا أكتب عن فلسطين ؟ ! . . من هم أدباؤكم الكبار الذين أسترشد بآثارهم في هذا الموضوع ؟! . . رواية ؟! . . اريد

اولاً ان اقرأ نجيب محفوظ !!.. مسرحية ؟!.. اريد اولاً ان أطلع على توفيق الحكيم .. جورج شحادة .. يوسف ادريس !!.. قصة للسينا ؟!.. يوسف السباعي ، والآخرون !!.. ولكن ، لا !!.. السينا العربية ، لا !!.. ان ارقى ما انتهى اليه المخرجون من فهم للقضية الفلسطينية ، أو حدب على اوجاع الانسان الفلسطيني ، هو أنهم شغلوا « البت » التي من يافا ، خدامة في قصر البطل !!.. كأني بكيت دماً ذلك المساء !!..

ثم مـاذا ؟!..

الكتاب العرب الآن كسكان الصحارى الذين ظهر النفط فجأة تحت أوتاد خيامهم ، فها قد دخلوا حياة القرن العشرين.. انما دخلوها على ظهور أحصنة بشرية ، اذا هي علفت ذهباً قامت عنهم بعبء الحياة نفسها ، اثناء ماهم يشهقون أنفاس نرا جيلهم بين احضان الحريم .. وهكذا .. فان على كتاب الأمـم الاخرى ان يأخذو نقوداً ، وان يكتبوا عن فلسطين ، اثناء ما نأخذ نحن قسطاً من الثرثرة على النيل !!..

ثم ، ذات يوم من عام ١٩٥٨ ، اجتمع شمـل ادباء الامة العربية في « القطر الكويتي » الحبيب !!.. كان الدجاج المشوي الذي أكلناه — من نوع المقبلات فقط — كفيلا ان يسدد نفقات كتاب في القضية ، من مئة الف نسخة على الاقل ، تهدى اهداء الى كتاب العالم ومفكريه .. ولقد بحثنا « البطولة في الأدب العربي » ايضاً ، واتخذ بحثنا شكل حلبة الملاكمة ، تقريباً ، بين بعض الديكة العقائدية الممتعة .. واما عن فلسطين ، فلقد شغلتنا اقلام الحـبر ، والساعات الذهبية ، التي دست في جيوبنا كأولاد عاقلين . شغلتنا ايضاً ، عن تلك القضية ، عامها ، افراح تموز العراقي ، وافراح شباط المصري السوري ..

الا أن ما تم الوطن العربي ايضاً ، كأفراحه تماماً ، كان من شأنها بصفة تقليدية ان تستهلك اهتمام الكاتب العربي ، وان تضع السؤال الفلسطيني ، المصيري ، في المحل الأخير ..

أثناء ذلك الجيل الكامل ، حافلاً بمآتم الوطن العربي وافراحه ، ظل الانسان الفلسطيني — قلب الانسان العربي المريض — في منتصف الطريق تماماً بين الحياة والموت .. فان فرحه في الحقيقة نصف فرح ، وان حزنه نصف حزن، لأنه في الوضع الذي هو فيه نصف انسان .. وما لم ينطلق الكاتب العربي عن وعي من انه هو هذا الانسان الفلسطيني بالضبط ، مهما اختلفت التسميات .. وما لم يوسم ارادته ان يكون الانسان التام ، فسيظل فاقداً لذاته وذاكرته ، هائماً على وجهه في براري الظمأ والسراب والجنون ..

ان تلك هي القضية كلها ، وحسب ..

الجانب النضالي
من ثقافة القضية

هيثم كيلاني

المجد للشهداء والأحياء من شعبي ،
وللمتمزقين الصامدين .
المجد للأطفال في ليل العذاب
وفي الخيام .
المجد للزيتون في أرض السلام ،
وللعصافير الصغيرة وهي تبحث في تراب
حقلي ، وللجيش المرابط في حدود
وطني الكبير ،
— جيش العروبة والخلاص —
المجد للشعراء والكتاب أحباب الحياة
الخائضين اليوم معركة المصير
والضاربين يد الطغاة . (١)

١) من ديوان « المجد للاطفال والزيتون » لعبد الوهاب البياتي .

واليوم ، يخوض الشعراء والكتاب العرب معركة المصير ، يواجهون خلالها نكسة مؤلمة ، بكل ما في النكسة من معاني المأساة والقلق ، ويتعرضون لحملة مسعورة تسيطر على القسم الأعظم من الرأي العام العالمي والضمير الانساني.

فبعد أن هدأ هدير الدبابات وقصف المدافع في ذلك المساء الحزين ، مساء اليوم العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، انقشع غبار المعركة في الميدان ، وعاد السيف الى قرابه ، وانتضى بعض المفكرين عبر حدود الوطن العربي ، وبخاصة اوربا واميركا ، اقلامهم يغرزونها في الجراح العربية ، ويمتصون منها الدماء ، ويقتعون بأفكارهم بني قومهم ، ويبررون العدوان ويمجدون الاستعمار . وما زال معظم هؤلاء المفكرين ، يحملون القلم سلاحاً ، ويدبجون الكتاب تلو المقالة ، والحديث اثر المحاضرة حتى تركوا وراءهم تراثاً غزيراً يصل الى يد كل انسان ، ويتغلغل في عقله وسمعه . وفي خضم هذه المعركة الفكرية الجديدة ، وقف الفكر العربي مشدوها ، جريح القلب مهيض الجناح . فشرايينه عبر حدود وطنه ضعيفة ان لم تكن مقطوعة ، وفروعه في بعض حواضر الفكر العالمي صفراء يابسة كأوراق الخريف ، وأجنحته التي يعبر عليها الأثير مهيضة مكسورة .

ووجد الفكر العربي نفسه في ميدان النضال ، يقاتل في جبهات داخلية وخارجية ، وهو يكاد يكون مجرداً من الأسلحة ، سوى سلاح الحق والايمان . وافتقد الفكر في صراعه ميزان الحركة والاستجابة والعمق والشمول ، فمن طبيعة الفكر النضالي ، أن يتفاعل مع الأحداث ، ويتأثر بها ويؤثر فيها ، ويوجهها صوب الهدف المحدد ، ويتحرك في مختلف الاتجاهات وفي جميع المجالات ، ويحطم الجدران التي تبنيها القيم والمفاهيم والاحداث المعادية حوله ، لتحد من حريته وتمنع عليه الرؤية والكشف . ولقد حدث في اليوم الخامس من حزيران (يونيو) من العام الماضي ،

أن كان الحد الفاصل بين النصر والهزيمة ، يتمثل في الطلقة الأولى . فالجانب الذي يضغط على الزناد قبل خصمه يربح المعركة . ولقـــد ندر في الحروب القديمة والحديثـة أن كانت الطلقة الاولى هي القول الفصل في معركة ذات أبعاد كبيرة ومضاعفات ونتائج خطيرة كمعركة حزيران . وعند هذا الحد الفاصل ، أصيبت الكرامة والعزة العربية بضربة قوية ، وتضعضع البنيان المعنوي للمجتمع العربي كله ، وانهارت آمال وتطلعات سامية ، واهتزت القيم والمفاهيم على اختلاف أشكالها وتناقضاتها ، حتى التبس الأمر على الناس ، وسيطرت روح المأساة وعقلية النكبة . وعند هذا الحد الفاصل القاسي المرير ، تتعلق أفئدة النـــاس وعقولهم بالكلمة المنيرة ، والحجة الهادية ، والفكرة الصادقة المخلصة ، يبحثون عنها لتشد العزيمة ، وتذكي الايمان . ولاننكر ان الفكر العربي النضالي بذل الجهد في هذا الميدان، سوى أنه لم يكن الجهد الكافي الذي يوازي قساوة المرحلة ومرارة المأساة.

وقد يقول بعض المفكرين أن تراث القضية أصبح ضخماً ثرياً ، حتى أصبحت نموذجاً للتناقض البارز بين القول والفعل . سوى أنه مهما يكتب عن قضيـــة فلسطين — بالرغم من قلة مانشر عنهـــا باعتبارها قضية مصير — فان مثل هذه القضية ، تستدعي اليوم مزيداً لاينقطع من الجهد الفكري ، لالنقنع أنفسنا بعدالة قضيتنا ، بل لتستمر هذه القضية حية في ضمائرنا ، وليستمر عملنا من أجلها من جيل الى جيل ، وليدرك كل مواطن عربي المسؤولية التي يجب ان يتحملها في سبيل نصرة القضية .

واذا كانت نكسة حزيران قـــد تركت آثارها الجارحة على الضمير والفكر العربيين ، فانها — الى جانب هذه النتيجة السلبية — قد أيقظت القضية الفلسطينية في ضمير العالم ، مرة اخرى بعد عشرين عاماً من الغفوة ، وربطت بين الكفاح العربي وبين حركة التحرر في العالم كله .

سوى اننا لا نستطيع ان ننكر ان الفكر العربي — في بعض تراثه — قد اضر من حيث اراد أن ينفع. لهذا فاننا ندون حقيقة واقعة — على مرارتها — هي ان الوعي بطبيعة المعركة مع اسرائيل لم يكن ناقصاً فحسب ، وانما كان مشوهاً ، ان لم نقل مقلوباً في بعض نواحيه . اذ أن معظم ما كتب عن طبيعة المعركة — ولا اقول كله — كان يصور اسرائيل للقارىء العربي ، على انها كيان هزيل ، يهترىء من داخله ، وتتقوض دعائمه ، وما هي الا مدة وجيزة ، حتى تنهار اسرائيل كدولة ، ويزول الصهاينة كمجتمع . وقد ظل المواطن العربي يتلقف هذه الصورة ، حتى اقتنع بأن يوكل واجب الدفاع الى الجيش النظامي ، ويتخلى عن ارادة التحرير الى السلطة . وحينما وقعت نكسة حزيران ، وظهرت اسرائيل كقوة غازية ، وقف هذا المواطن مشدوهاً جريحاً امام هذا التناقض المأساوي بين صورة الامس وصورة اليوم. ولكي يتجنب الفكر العربي المنزلقات والانحرافات التي انحدر اليها في بعض تراثه قبل نكسة حزيران ، فلا بد له من رؤية واضحة في كل جوانب الميدان الذي يتحرك فيه ، حتى يستطيع ان ينير للجماهير الدرب ويضع الضوى على جانبيه . سوى ان كل استشراف على المستقبل وتخطيط له ، ينبغي ان ينطلقا من المعطيات الراهنة والاوضاع القائمة . ويتطلب ذلك التحليل العميق والتتبع الدقيق لتلك المعطيات والاوضاع . وليس سوى المفكر من هو قادر على أداء هذا الواجب العلمي ، الذي يجب ان تتوفر له عوامل الاخلاص القومية ، والنزاهة في التفكير ، والحرية في الدراسة ، والموضوعية في البحث ، والدقة في التقصي ، حتى يأتي التحليل علمياً ، والرؤية قومية سليمة .

ان المشكلة الاولى التي يواجهها الفكر في نضاله هي مشكلة المواطن العربي ذاته ، الذي لايزال واقعاً تحت تأثير مئات الاعوام ، من الاسترخاء والتغني

بالأمجاد العربية القديمة ، والشعور الخادع بالطمأنينة والراحة ، حتى خلقت منه انساناً خاملاً غير مكترث ، وغيبت روح القتال فيه . كما علمته سنوات الاتكال على الحكومات والقيادات أن يعتمد على الجيوش النظامية . فاذا ما انهزمت تلك الجيوش ، فمعنى ذلك ان كل شيء قد انتهى في نظره ، وأن عليه ان يتدبر أمره بنفسه ، منفصلاً عن مجتمعه ومبادئه . ان الفكر العربي اذ يواجه مثل هذه المشكلة فانه يتصدى لتركة رهيبة واسعة من التخلف والجمود والانفصال عن روح العصر ومفاهيمه وقيمه .

وفي هذا العصر ذاته ، ينهزم الاستعمار ويحتضر في بلاد الحضارة والوفرة والاستهلاك ، وتزدهر البطولة في بلاد التحرر ، حيث تتوالد عقيدة النضـــال وأهدافه من ارادة الشعب . وهنا تبرز المهمة العظمى للفكر العربي ، حين يعبر عن تلك العقيدة ، ويغذيها وينشرها بين الجماهير ويدعو الى الالتفاف حولها ، والى تحويلها من فكرة في العقل وومضة في القلب الى تطبيق عملي وواقع محسوس . ان مهمة الفكر العربي هذه هي احدى منطلقات الحضارة العربية المنشودة ، التي ستصنعها الجماهير بكدحها وتضامنها .

ان النضال في سبيل التحرر ، أصبح روح هـذا العصر ، وكنه رسالة الانسان الذي سحق الاستعمار ارادته مئات السنين ، واستثمر ثرواته واستغل طاقاته . ولا يزال الانسان العربي يواجه الاستعمار بجميع اشكاله واغراضـــه القديمة والحديثة . وقد بلغ التحدي في نكسة حزيران مرحلة وُضعت فيها الأمة العربية امام هذا السؤال : وجود أو لا وجود — امة أو مستودع للعبيد والثروات والغلال . وفي مقابل هذا التحدي ، تتحلق فلسفة حياة جيلنا اليوم حول هـذا المفهوم : نحن نتحرر ، اذن نحن موجودون . تلك هي حقيقة حياتنا . فوجودنا

اليوم يتقرر عبر طريق التحرير، لا عبر تاريخنـــا وماضينا وتراثنا وواقعنا المجزأ المتخلف.

وليس واجب النضال الذي سيعيش عليه الفكر العربي امراً سهلاً. ذلك انه يتصدى لعدو ذي طبيعة مزدوجة. فاسرائيل وجود استعماري تقليدي، احتل ارضاً وطرد شعباً، واسكن غزاة، واضطهد من بقي من ذلك الشعب مرتبطاً بوطنه. واسرائيل – ايضاً – امتداد طبيعي لقوى الامبريالية واداة للاستعمار الجديد بغية الضغط على الدول العربية وتهديدها واشعارها بالعجز وامتصاص خيراتها وجهدها وشل طاقاتها ومنع شعبها – بعد تجريده من ارادته – من الوحدة ومن تملك وطنه وبناء حضارته. وتتمثل هذه الطبيعة المزدوجة بالواقع المؤلم الذي نعيشه. فالعربي انسان مضطهد في اسرائيل. والعربي – في هذا اليوم – عاجز عن تحرير اخيه في فلسطين المحتلة. وبين الاضطهاد والعجز، تمتد سيول اللاجئين، الذين يعبرون عن مأساة الامة العربية في القرن العشرين.

واذا كان العنف منعطفاً في تاريخ حياة امتنا، فلا بد ان يرافقه فكر جديد، ومفاهيم وقيم جديدة، اساسها العنف في سبيل التحرر، وروحها النضال الذي لا تخبو جذوته، لأن المعركة ستطحن المناضلين، وسيسقط وراءهم مناضلون آخرون، وسيحل محلهم مقاتلون جدد وقادة جدد، يولدون في لهيب المعركة، لأن الشعب المناضل يخلق مقاتليه وقادته عبر المعارك.

واذا كانت معظم حركات التحرر في العالم، انطلقت بعد توفر العوامل اللازمة لنشوئها واندلاعها، فان حركة الفداء في فلسطين قد سبقت الفكر العربي، وجعلته يتأثر بها اكثر مما تتأثر به، سوى بعض الارتعاشات الفكرية والوجدانية تنبعث من مختلف ربوع الوطن العربي، ويطلقها بعض الكتاب والشعراء الذين

تركت النكبة في ضمائرهم جراحاً تنزف دائماً ، والذين يعبرون عن ضمير الأمة العربية في صبوته الى التحرر . واذا كان الفداء العربي قد سبق الفكر ، فلا أقل من أن يجهد هذا الفكر اليوم ، في تجسيم البعد الحقيقي للأعمال البطولية التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ، في قلب الأرض المحتلة . لأن هذه الاعمال ،وماتولده من آثار في الرأي العام العالمي والضمير الانساني ، تسهم في فضح الطابع الاستعماري والامبريالي للوجود الصهيوني .

واذا كانت الورقة هي الوسيلة التي تحمل الكلمة المكتوبة ، واذا كان الأثير هو الوسط الذي تحلق فيه الكلمة الملفوظة ، فان الفداء هو الجناح الذي ينقل الفكر العربي عليه نضاله الى الرأي العالمي والضمير الانساني . ولقد أعطى الفداء الى الفكر العربي الزخم والروح والمادة ، ليكون نضالاً معبراً عن ارادة الفداء ، وتصميم الأمة ، وهادياً ينير الدرب الى الهدف ويكشف المخاطر ومواضع الزلل والانحراف ، وليتفاعل مع الفداء تفاعلاً جذرياً متكاملا ، بحيث يغـدو السلاح والقلم كالروح والجسد .

لقد ظلت القضية الفلسطينية تعيش في مستنقع السياسة والمساومة عشرين عاماً ، في مختلف المستويات الدولية والعربية والقطرية . ففقدت بذلك حدودها وأبعادها ، حتى اذا بدأ الفدائيون أعمالهم ضمن الارض المحتلة ، ظهرت ملامح البعد الحقيقي المفقود ، ذلك البعد الذي يتمثل بحرب التحرير الشعبية . فقد كان لا بد لهذا البعد من أن يظهر . لأن اسرائيل نشأت بالعنف وعاشت على العنف . شأنها في ذلك شأن كل احتلال اجنبي او استعمار استيطاني . والتاريخ مليء باشكال الاحتلال والاستعمار وبالحلول التي سلكت طريق النضال المسلح لازالة ذلك الظلم . ولقد تميزت بعض تلك الاشكال بيقاء الاحتلال أطول مدة ممكنة ، لاستثمار خيرات البلد المحتل

او الاستفادة من موقعه الجغرافي ، كما تميز بعضها الآخر بالاستيطان حتى تغلب ارادة المستوطنين ارادة أهل البلاد ، وتبيدهم كمجتمع وكيان ، أو تطردهم من ديارهم وتجعلهم مشردين لا هدف لهم في الحياة سوى عدم الموت جوعاً . ان هذا الشكل من الاستعمار الاستيطاني ، عاناه شعبنا العربي في الجزائر ، طوال مائة وثلاثين عاما،ونعانيه اليوم في فلسطين،أشد ضراوة وأعنف ردة وأكثر وحشية . وهكذا نشأت علاقة تناقض بين وجودنا كشعب عربي ووجود الصهاينة كغزاة مستعمرين . انها علاقة تنتهي بنا - بطبيعة عناصرها ومقوماتها - الى قبول الحقيقة التالية : لابقاء للشعب والغزاة معاً . ولا بد من أن يقضي أحدهما على الآخر . ويسوقنا هذا الى القناعة - حتى الايمان - بأن وجودنا أصبح مرتبطاً ارتباطاً جذريا بغريزة الدفاع عن النفس . ومن هذه الغريزة تستمد معنى وجودنا وقيمته وثراءه الخصب الخلاق . وليست البذور الثورية النابتة في ارض فلسطين اليوم غير تعبير عن غريزة البقاء وارادة الدفاع ، سوى أن هذه البذور لا تعبر فقط عن ارادة العرب الساكنين في الأرض المحتلة ، وانما تعبر عن ارادة الأمة العربية بأسرها .

ولذا كان العبء الذي تتحمله الانتفاضة المسلحة في فلسطين ، ثقيـلاً وعظيماً في الوقت نفسه . انه عبء الوجدان العربي كله . وهذا ما ينبغي على المفكر العربي ان يغذيه بالكلمة ويمنحه بوميض الحرف ، ليدفع الجهد الشعبي الى التحرك والانتظام في عمل موحد ، بعد ان يعبر له عن اهدافه ويعبد له الطريق العقلاني والنفساني اليها .

وحينما يعكف الفكر العربي على تحليل عوامل القضية ووقائعها ، فانه لاينظر اليها على انهـا قضية ارض ذات حدود جغرافية هي فلسطين ، وسكان يحملون جنسية قطرية معينة ، انما ينظر اليها على انها قضية الأمة العربية بأسرها ،

في مصيرها وحضارتها ورسالتها ومستقبل اجيالها وثرواتها الظاهرة والباطنة . ولذا فان الفكر العربي سيواجه مشكلة الوحدة كجزء لا يتجزأ من ارادة التحرر ، سواء ضد الاستيطان الاستعماري والهجمة الامبريالية ، او ضد النزعات والفئات التي تدعم التجزئة وتدافع عن مبدأ « الوحدة عن طريق التطور » . وسيواجه الفكر العربي امامه عدواً لدوداً غنياً بماله ووسائله ومرتكزاته ، ذلك هو الفكر الاقليمي ، الذي يتشبث بالحدود واختلاف الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتوزع السكان وما الى ذلك من اسباب ومبررات . وهو فكر يعتمد الحجة والبرهان ، ويساند اغراض الصهيونية والاستعمار في باطنه .

ان المشكلات التي تتحدى الفكر العربي النضالي ، بعد نكسة حزيران ، عديدة ومعقدة ، ولا مناص له من مواجهتها . فهروبه منها علامة فنائه ، وتصديه لها برهان على وجوده وايمانه ونضاله . لقد قال كيركجورد « ان مسألة المسائل ان أجد الفكرة التي من اجلها اريد ان أحيا وأموت » . ان الفكر العربي النضالي ، قد وجد الآن الغاية التي من اجلها يوجد ويناضل .

هل حقاً فشلت

المقاومة العربية في فلسطين

محمد عزة دروزة

قرأت في جريدة الأحد الاسبوعية العدد ٧٤٧ والتاريخ ١٠ ايلول ١٩٦٧ تلخيصاً لكتاب كتبه الاستاذ ناجي علوش بعنوان (المقاومة العربية في فلسطين)[١] وقد عنون التلخيص بعنوان (لماذا فشلت المقاومة العربية) والعنوان يفيد ان فشل المقاومة في نظر الملخص قضية مسلم بها. وقد عزا هذا الفشل الى الزعامات التقليدية التي تولت قيادة المقاومة.

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ١٩٦٧

وقد بحثت عن الكتاب وقرأته ، وهو من سلسلة الكتب التي اصدرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولقد وجـدت فيه سرداً لاحداث فلسطين كثيره منه مستقى من أجزاء كتابي (حول الحركة العربية) وكتابي (قضية فلسطين) في مختلف مراحلها الذي هو طبعة جديدة لاجزاء الكتاب المذكور ٣ و ٤ و ٥ . وفي السرد كثير من الثغرات . وفي الاستنتاجات المبنية عليه كثير من التعسف والتجني واغفال الحقائق ووقائع ونتائج كنت أظن انها لم تعد خافية على أحد ممن يلمون بقضية فلسطين وسير المقاومة فيها . وظهر لي أن الملخص بنى ماجاء في عنوانه ونسبته الفشل الى الزعماء على ما جاء في هذه الاستنتاجات.

ولقد جرى كاتب الكتاب على مابدا لي على طريقة اخذ يسير عليها فريق من كتاب الجيل الجديد فيما يكتبونه عن اعمـال ومواقف الجيل السابق من استخفاف بهذه الأعمال وغمزها ومحاولة تفسيرها بنظرة الحاضر ومفاهيمه وثقافته وصوره متجاهلين الظروف والبيئة ، والمفاهيم والامكانيات التي كان يعيش ويتحرك خلالها ابناء الجيل السابق ، ويقعون نتيجة لذلك في اخطاء واوهام ، ويصدرون احكاماً فيها كثير من التعسف ، وينقلبون وعاظاً وحكاماً ويستخرجون عبراً ودروساً بعيدة عن الحدود والمنطق والظروف السابقة . ويتناسون أنه برغم ما يمكن ان يكون في اخلاق وصفات ومواقف وقيادة الجيل السابق من هنات ومآخذ منبثقة من تلك الظروف ، فانهم هم الذين مهدوا الطريق القومي امام الجيل الحديث .

من اجل ذلك رأيت أن اكتب هذا المقال لا للرد والتفنيد فقط وانما للتنبيه ايضاً حتى لا يظل كتـاب الجيل الحديث يجرون على ذلك الاسلوب الخاطىء المتجني . ومن جهة اخرى فان هناك حقائق مغفلة او مشوهة في سير مقاومـة واحداث قضية فلسطين ونتائجها يحسن توضيحهـا بما فيه الحق لخدمة التاريخ

والحقيقة ولتصحيح ماقد يكون لذلك من اثر في أذهان الناشئة الحديثة . لاسيما ان قضية فلسطين ستظل حية وستكون المقاومة هي الوسيلة المثلى لتطهير ارضنا من رجس المغتصبين .

وبعد فاني أبعد الناس عن الزعم بأن الذين قادوا المقاومة الفلسطينية من الزعماء التقليديين — مع التنبيه انهم لم يكونوا وحدهم في القيادة — كانوا مبرأين من الهنات والمآخذ في المواقف والتصرفات . واعترف بالإضافة الى ذلك أنه كان ينقص المقاومة احكام في التنظيم والتخطيط . ولكني اقرر للحق والتاريخ انهم لم يكونوا شاذين في كل ذلك عن أمثالهم الذين قادوا حركة المقاومة في مصر وسورية والعراق منذ ان وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بحيث يمكن القول بصدق ان ذلك إنما كان نتيجة للتكوين الثقافي والسياسي والاجتماعي وظروف البيئة التي كانت متشابهة كل التشابه في الأقطار العربية .

ومع كل ذلك فاننا اذا درسنا كل مرحلة من مراحل المقاومة في مصر والعراق وسورية نجد انها كانت تؤدي الى نتيجة ايجابية ما ما كان يرافقها من تلك الصور والهنات .

ولقد كان هذا شأن المقاومة في فلسطين برغم ما كان يتخللها من العثرات والهنات . وسيرة هذه المقاومة ونتائجها الايجابيـــة معروفة مدونة . ومازال آلاف الاحياء يذكرونها . واستنتاج الكاتب ووصفه لها بالفشل هما تقديران شخصيان ليس من شأنهما أن يغير الحقائق والوقائع .

فاولى الثورات الدامية الكبيرة كانت ثورة يافا وضواحيها سنة ١٩٢٠ وكان تقرير هاي كرافت الذي قرر انها نتيجة قلق العرب ونقمتهم من جراء وعد بلفور والهجرة اليهودية ونشاط اليهود وهذه نتيجة ايجابية لها .

واستمرت المقاومة. فكان الكتاب الأبيض لسنة ١٩٢٢ الذي طمأن العرب على وضعهم وحقوقهم ومركزهم ونفى اي احتمال لشمول الوطن القومي وإضراره بهم . وهذه نتيجة ايجابية كذلك .

واستمرت المقاومة التي هدفت كمرحلة عاجلة الى احباط اعتراف العرب بالدستور القائم على وعد بلفور والانتداب والى احباط انتخابات المجلس التشريعي وقد احبط المشروعان معاً وكان ذلك نتيجة ايجابية ايضاً .

واستمرت المقاومة مع تعثرها بسبب الاصابع الانكليزية واليهودية الى ان كانت ثورة البراق الدامية الكبيرة سنة ١٩٢٩ ومن الانصاف ان نذكر أنه كان لهذه الثورة دور تنبيهي مهم . ولقد كان من نتيجتها قدوم اللجنة البرلمانية وتحقيقها وتقريرها الذي قرر ما قرره تقرير هاي كرافت من أن أسباب الثورة العميقة هي شعور العرب بالخطر والغبن والقلق وخيبة الأمل من العدل واشتداد رغبتهم في حكم وطني نيابي ينجيهم من الخطر الذي كان يتمثل إذ ذاك في الحكم الانكليزي المباشر واستمرار السماح ببيوع الاراضي والهجرة والمطامع اليهودية .

واصدرت الحكومة الانكليزية كتابها الابيض لسنة ١٩٣٠ اعترفت فيه بكل ذلك ووعدت بتحديد بيوع الاراضي والهجرة ومنح البلاد حكماً وطنياً نيابياً . وهذه ولا شك نتيجة ايجابية .

وقد كان في كل هذه المراحل للزعماء التقليديين الذين شاركهم غيرهم من طبقات الشعب والمثقفين اثر لا يصح المراء فيه مهما تخلل ذلك هنات وعثرات .

واستمرت المقاومة فكانت مظاهرات القدس ويافا الدموية غير الشرعية التي كانت تمرداً مباشراً على الحكم الانكليزي والتي مشى فيها معظم الزعماء التقليديين مع غيرهم . وكان هذا الأول والفريد من نوعه في جميع الحركات العربية الأخرى .

ولقد كان من نتيجة ذلك اشتداد التوتر في البلاد وظهور الحركات الفدائية التي توجتها حركة القسام ورفاقه الابرار . وكان من نتيجة ذلك جنوح الحكومة الى تنفيذ الكتاب الابيض واقامة مجلس تشريعي . وكان من نتيجة ذلك كذلك الاضراب الطويل نيسان ـ ايلول سنة ١٩٣٦ الذي كان فريداً في نوعه في جميع الحركات العربية الاخرى . والذي انبثقت منه المرحلة الأولى للثورة العربية الكبرى . وكان من نتيجتها توسيط الانكليز لملوك العرب للتدخل مع اهل فلسطين لوقف الثورة والاضراب ووعدهم بالحل العادل المرضي .

ولقد اوقف الاضراب والثورة موقتاً ولكن مع شعور العرب انهم في موقف العزيز المنتصر المترقب، العائد الى الثورة اذا اخفقت الوساطة واخلف الوعد.

وقد احتفظوا بسلاحهم دون محاولة من الانكليز بمضايقتهم من اجله بما فيه دلالة على ذلك وعلى ما كان من اثر الثورة وشدة نكايتها في الانكليز واليهود معاً . وهذه نتيجة ايجابية من دون ريب ولا يصح ان يقال انها اجهضت .

ولقد كان الاضراب عفوياً في بدئه ونتيجة للتوتر المستمر كأثر من اثار حركات المقاومة التي سبقته . غير أن الثورة لم تكن عفوية مثله . والانصاف يقتضي ان نقرر أنه كان لبعض الزعماء يد طولى في اشعالها وتأجيجها وفي حملة القاوقجي التي اسبغت عليها صبغة مثيرة . وكل هذا مما اغفله كاتب الكتاب . ولقد حشد الانكليز قوات كبيرة بقيادة قواد عظام ولكنهم لم يستطيعوا ان يقمعوا الثورة ،واستطاع المجاهدون بكرهم وفرهم ان يصمدوا الى ان اعلن الوقف نتيجة للتدخل والوعد .

ولما اعلن قرار اللجنة الملكية بالتقسيم في اواسط عام ١٩٣٧ عاد التوتر وصار استئناف الثورة امراً متوقعاً .ولم تلبث أن انفجرت مرحلتها الثانية التي

امتدت نحو عامين . ولقد غدت ثورة عارمة كبرى وشملت جميع فلسطين . وكبدت اليهود والانكليز خسائر فادحة رغم ما حشدوه من حشود وجنحوا اليه من قسوة في التعقب والمطاردة والاعتقالات والتدمير والمحاكمات والاعدامات مما اضطر الانكليز الى اعلان الغاء التقسيم ودعوة العرب الى مؤتمر لندن للبحث عن حل غيره متساوق مع شعارات الثورة (وقف الهجرة ـ وقف بيوع الاراضي ـ إقامة حكم وطني استقلالي نيابي) .وقد أشرك الانكليز معظم الحكومات العربية في المؤتمر وقدموا مشاريع عديدة في نطاق غير التقسيم . وكان فيها بعض الثغرات التي حاول ممثلو العرب الرسميون والفلسطينيون حمل الانكليز على تعديلها فاخفقوا فرفضوها، فأصدر الانكليز كتابهم الابيض الذي وعدوا فيه بوقف الهجرة وبيوع الاراضي واقامة حكم وطني يقوم على اكثرية عربية بنسبة الثلثين ويتطور حتى يصبح استقلالاً تاماً .

والانصاف يقضي ان يذكر انه كان للزعماء مع شركائهم جهد عظيم في الاعداد للثورة وتهيئة أسباب نجاحها وتأجيجها حتى بلغت الى غايتها .

ولقد رفضت اللجنة العربية العليا الكتاب الابيض بسبب ما فيه من ثغرات لاتدعو الى الطمأنينة بالتنفيذ الصادق . وحاولت ان تشدد في وقدة الثورة . غير ان الجو الدولي الذي أخذ يتوتر وينذر بالحرب العالمية الثانية منذ اواسط عام ١٩٣٩ أدى الى تضامن الانكليز والافرنسيين في قمع الثورة ومنع ما كان يصل الى الثوار من سورية ولبنان من مدد . ثم اعتقل الافرنسيون الزعماء الذين كانوا يتولون التمويل والتجهيز في سورية . واشتدوا في مطاردة قواد الثورة الذين كانوا يتوافدون من حين لآخر على دمشق للتمول والتمون والتجهز ، ثم في تشريد الزعماء الآخرين عن لبنان فأدى ذلك الى عرقلة القصد . ثم انفجرت الحرب

العالمية الثانية فازداد تشرد الزعماء والقادة ومطاردة الثوار في فلسطين وسورية ولبنان حتى توقفت الثورة . وعلى كل حال فان ماتم من جانب الانكليز يصح أن يعد نتيجة ايجابية هامة، من التجني ان يستهان بها كما فعل الاستاذ علوش . ومهما كان في سير الثورة الكبرى من مآخذ وثغرات فان الانصاف يقتضي تقرير حقيقة هامة وهي انه كان الزعماء التقليديين معشر كاثهم يد طولى في الاعداد لها وتمويلها وتأجيجها .

وعدم وصول النتائج الايجابية التي كانت تنتج من مراحل المقاومة وبخاصة مرحلة الثورة الكبرى الى نصر، لا يمكن ان يقلل من اهمية وحقيقة ايجابية هذه النتائج التي كان من شأنها أن تحقق ماحققته مراحل المقاومة في البلاد العربية الأخرى بدون ريب .

ذلك لأن قضية فلسطين كانت فريدة بين قضايا البلاد العربية . فالبلاء عليها كان مزدوجاً . استعمار وحكم انكليزي مباشر لا يد ولا وجود للعرب فيه . ولليهود من انكليز وغيرهم يد طولى فيه حتى كان يوم كان الحكم الاجرائي الرسمي النافذ في يدهم . وكان التلاحم في الغايات شديداً بين الانكليز والصهيونية العالمية التي كان لها تشكيلات واسعة في بريطانيا وفرنسة وايطاليا والولايات المتحدة، بل في معظم دول الارض. وكان اليهود غربيين في ثقافتهم وعلمهم وفنهم وتنظيمهم، بل أشد عناصر الغرب نشاطاً في كل ذلك . في حين كانت فلسطين وحيدة في الميدان، لأن اكثر البلاد العربية بل كلها كانت عاجزة وتحت الهيمنة الاستعمارية . ولم يكن من الممكن ان يتيسر لها واحد من الألف مما كان يتيسر لليهود من رفد وعون . فكان هذا هو السبب الحقيقي لعدم وصول تلك النتائج الى نهاية مماثلة لما وصلت اليه نتائج المقاومة في البلاد العربية الاخرى . ولقد كانت الصهيونية العالمية تبرز بكل عنفها وضغطها في كل ظرف كانت الحكومة الانكليزية

تتراخى او تجنح الى مراجعة موقفها وسياستها نحو العرب ،والكف عن التطرف في محاباة اهواء اليهود ومطامعهم ،او تعد العرب ببعض الوعود نتيجة لمقاومتهم حتى ترغمها على النكوص . ولقد امطرت عصبة الامم بسيل من البرقيات والعرائض الاحتجاجية حينما اصدرت الحكومة الانكليزية كتابها الابيض لعام ١٩٣٠ الذي وعدت فيه بتحديد بيوع الاراضي والهجرة واقامة حكم وطني مما حمل بعض اعضاء العصبة على القول ان العصبة أمام مؤامرة عالمية رهيبة . وكان نتيجة ذلك ان تراجعت الحكومة الانكليزية ، واصدرت تفسيراً للكتاب الابيض نسفته به حتى سماه الفلسطينيون بالكتاب الأسود . وانه لمن التجني الشديد ان يحمل زعماء فلسطين او قادة مقاومتها منهم مسؤولية ذلك ، برغم مايمكن ان يوجه اليهم من مآخذ لم تكن على كل حال هي السبب ، بدليل وصول المقاومة في البلاد الاخرى الى النتائج التي وصلت اليها ، مع ان قيادتها ليست أفضل ومآخذهم ليست اخف ومقاومتهم ليست أشد . وانه لمن السذاجة والغفلة عن الظروف المعقدة القاهرة الداخلية والخارجية ان يقال ان فشل المقاومة العربية في فلسطين فشل قيادة (ص ٦٤) بحيث تكون النتيجة انه لولا ذلك لنجحت ،ولما كان للصهيونية ذلك النجاح الذي احرزته . هذا بقطع النظر عما في زعم فشل المقاومة ولو من وجهة نظرية من مجانبة للحقيقة . ولقد أخذت الحكومات العربية تتدخل في القضية منذ سنة ١٩٣٢ في عصبة الامم ، ثم في اثناء الثورة الكبرى ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ثم في مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ ثم في اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها والى الآن ، فكانت تفشل بسبب تلك القوى الهائلة . وهذا يجعل تحميل المسؤولية على زعماء فلسطين الذين قادوا المقاومة ابرز في التجني والغفلة .

ولقد كانت فترة الحرب العالمية الثانية فترة ركود حقا . ولكنها لم تخل

من محاولات عربية فلسطينية وغير فلسطينية بسبيل حمل الانكليز على تنفيذ وعدهم . واذا كانت هذه المحاولات أخفقت ولم ترافقها مقاومة دموية وعاد الانكليز الى مشاريع تقسيمية أخرى منكرين كتابهم الأبيض، فمرد ذلك الى التطورات الدولية التي لم يكن في قدرة العرب التغلب عليها وبخاصة تدخل الولايات المتحدة العنيف الطاغي . ولقد كان قواد الحركة الوطنية والجهادية من زعماء وغير زعماء مشردين أيدي سبأ أثناء الحرب ،منهم من كان في السجون والمعتقلات ومنهم من كان في المنافي الجبرية الأفريقية،ومنهم من كان في المهاجر النائية ،فكان ذلك من أسباب الركود أيضاً . ومنذ أخذوا يعودون في سنتي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ أخذوا يستعدون للمعركة التي كان لابد منها بسبب نقض الانكليز لوعدهم وفتحهم باب الهجرة ودعوتهم الى مشاريع التقسيم بضغط من أميركا والصهيونية العالمية ويشترون السلاح وينظمون خلايا الجهاد . ولقد دعا الانكليز الى مؤتمر جديد في لندن عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ وشهده ممثلون عن الحكومات العربية وفلسطين، فأخفق بسبب ذلك الضغط والمشاريع . فنقلوا القضية الى هيأة الأمم . ولم تكد الجمعية العامة لهذه الهيأة تقرر التقسيم الجائر الذي تم بضغط الولايات المتحدة حتى اشتعلت الثورة التي كان للزعماء التقليديين مع شركائهم من قادة الحركة والجهاد يد طولى في ذلك . ولقد استطاع الثوار أن يذيقوا اليهود بأس الجوع والعطش والرعب وأن يضيقوا عليهم الخناق وأن لايمكنوهم من شبر من الأرض العربية طيلة المدة يوم التي أعقبت قرار التقسيم . حتى لقد فزع اليهود الى مجلس الأمن مستغيثين وطلبوا مساعدته الاجرائية على تنفيذ التقسيم . وقرر المجلس ان التنفيذ يحتاج الى استعمال القوة وأنه لايرى ذلك . وعرض بسط الوصاية على فلسطين بدلاً من التقسيم ،فأبى ذلك العرب واليهود :الأولون لأنهم اعتقدوا أنهم احبطوا

التقسيم بكفاحهم ، والآخرون رأوا في الوصاية قضاء على حلمهم الذي كاد ان يتحقق بقيام دولتهم بالتقسيم . ومن ثم قرر المجلس اعادة القضية الى الجمعية العامة لإعادة النظر فيها ، وقررت هذه تعيين وسيط دولي لبحث الوسيلة المثلى لتسوية ما . وبمعنى آخر ان قرار التقسيم قد جمد أو الغي نتيجة للمقاومة العربية . ومن العجيب أن الأستاذ علوش أغفل هذه المرحلة المشرقة من المقاومة ونتيجتها الباهرة اغفالاً تاماً . ولو استطاع المجاهدون الاستمرار في جهادهم والاحتفاظ بمراكزهم لما قامت الدولة اليهودية . ولكن السلاح والعتاد كان قد شح في ايديهم واخذوا يوالون استغاثاتهم للحكومات طالبين المدد فذهبت هباء . وأمد الانكليز اليهود بمساعدات عظيمة متنوعة وبمقادير كبيرة من مخزون السلاح المتنوع ، واستطاعوا بالمساعدات المذكورة ان يجلبوا مقادير كبيرة من السلاح المتنوع ، والضباط والجنود المدربين . وتمكنوا نتيجة لذلك من قلب ميزان القوة لجانبهم ثم من الانتقال من الدفاع الى الهجوم ، ثم من دحر العرب عن المدن والقرى واحدة بعد أخرى . ثم أوقعوا مذابح دير ياسين وناصر الدين وغيرها فأثاروا الرعب والتخوّل في جهود العرب وجعلوهم يفرون من مدنهم وقراهم للنجاة بدمائهم وأعراضهم ، تاركين كل شيء ولا يلوون على شيء . فما جاء يوم ١٥ مايس حتى كان اليهود قد اكتسحوا كل ماخصص لهم من قرار التقسيم – باستثناء النقب – وبعض ماخصص للعرب أيضاً فأعلنوا قيام دولتهم . وهكذا كانت جريمة الحكومات العربية ، اوخيانتها الكبرى في التقصير الذي أضعف مقاومة المجاهدين وأجهض نتائجها الباهرة وجعلها بدءاً على الصورة الأليمة الحزينة التي كانت نكبة العرب الكبرى ...

ولقد كان مما برّرت الحكومات تقصيرها في المدد بأن جيوشها ستدخل

فلسطين وتحررها وتخبط التقسيم . ولقد دخلت جيوشها فعلاً ولكن التقصير الفادح والخيانة معاً قد رافقت هذا الدخول، فأدى ذلك الى اتساع نطاق النكبة وتمكين اليهود من الاستيلاء على النقب وعلى مدن وقرى كثيرة أخرى ، بما كان مخصصاً للعرب في قرار التقسيم وازدياد عدد النازحين فراراً بدمائهم وأعراضهم .

ولم يكن هذا الاجهاض بسبب قادة حركة فلسطين وقادة الجهاد قط . بل كان لهم الدور القوي الايجابي في النتائج الباهرة التي نتجت عن مقاومة المائة يوم والتي ذكرناها قبل . ولعل هذا هو الذي جعل الأستاذ علوش يغفل هذه المرحلة ونتائجها ذلك الاغفال التام العجيب ، لأنه على ما يبدو من مختلف فصول كتابه ترسم إلصاق ما زعمه من فشل المقاومة واجهاضها بهم .

هذا . وهناك نقاط جانبية ألم بها الأستاذ علوش إلماماً فيه تجن وخطأ وغير منطبق على الواقع والحقيقة . من المفيد ان نلم بالمهم منها لوضع الأمر في نصابه الحق فيها .

١ — من ذلك القول ان القيادة السياسية جنحت الى المساومة عندما كانت الثورة في عنفوانها، وكان ذلك من أسباب فشلها . وبما سردناه من قبل يبدو أن كلمة الفشل في غير محلها . وجملة الكاتب جاءت غامضة مبهمة . ونحن ممن كان يمارس العمل الوطني والجهادي وفي الصف الأول منه . وكنا أعضاء في اللجنة العربية العليا . ولا نذكر أنه كان مساومة ما على مطالب وأهداف العرب ابان الثورة . وكان ينبغي أن يذكر شيء معين حتى يمكن بحثه ووضع الأمر في نصابه فيه .

٢ — ومن ذلك وقفة طويلة وقفها الاستاذ علوش أمام الالفاظ في سياق عرضه لحادث المفاوضات التي جرت بين بعض القياديين وسكرتير الحكومة .

ولقد حاول أن يعصر الالفاظ ويستخرج منها تناقضاً وتراجعـــاً من المفاوضين العرب عن رفض وعد بلفور والانتداب والهجرة اليهودية . وكان المأمول في الاستاذ ان يكون أوسع أفقـــاً ونظراً ونفوذاً ليرى أن الحوار الذي دار بين الطرفين كان يستهدف أو يدور حول :(١) عدم اعتبار التعاون الذي يمكن ان يقع بين العرب والانكليز في حال قبول التعديلات الدستورية التي اقترحوها اعترافاً منهم بالتزامات بريطانية وتسجيل كونهم مبدئياً غير ملتزمين بها من قبل ومن بعد . (٢) ضمان عدم السير في خطة من شأنها أن تؤثر بالحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذا وذاك كانا يعنيان تسجيل عدم اعترافهم بالانتداب ووعد بلفور ، وضمان عدم الهجرة وبيوع الأراضي لأن ذلك سيؤدي الى الاخلال بحقوق العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومركزهم ووجودهم.
(٣) ضمان اشتراك العرب في الحكم التنفيذي لضمان البند السابق والسير في خطة تنمية لمصالح العرب المختلفة وضمان حقوقهم السياسية والاقتصـــادية والمدنية .
(٤) ضمان ان يكون التشريع في أيديهم لأجل ضمان البندين السابقين .
(٥) ضمان تطوير الوجود الانكليزي من حكم مباشر متآمر مع اليهود ومسخر لتحقيق خططهم ومطامعهم الى الاستشارة التي كانت تعنيها كلمة الانتداب في اصلها ،حتى تصبح فلسطين دولة عربية مستقلة بأكثرية عربية ساحقة مرتبطة مع الانكليز بمعاهدة؛ وبكلمة اخرى جعل فلسطين في حالتها ومصيرها مثل ما كانت حالة ومصير العراق وسورية ولبنان ومصر . وكل هذا بارز بروزاً لاخفاء فيه من خلال الحوار الذي اوردناه في الجزء الأول من كتابنا القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها والذي استقى المؤلف منه .وكان المأمول من سعة نظر وافق الاستاذ ان لايغيب عنه ان من المفاوضين من كانوا ذا اثر وجهد في وضع ميثاق المؤتمر الاول

وقرارات المؤتمر السوري في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ التي رفض فيها الانتداب ووعد بلفور والهجرة وطالب فيها بحكم عربي مستقل في نطاق الوحدة السورية ثم الوحدة العربية.

وان اربعة منهم كانوا ممن اسس حزب الاستقلال الفلسطيني سنه ١٩٣٢ الذي نص نظامه على رفض الانتداب ووعد بلفور والهجرة وعلى وجوب قيام حكم عربي مستقل في نطاق الوحدة السورية ثم الوحدة العربية . أي انهم كانوا وظلوا ملتزمين بهذه المبادىء . بحيث يكون الظن بأنهم تراجعوا عنها ظناً آثماً .

٣ – والاستاذ علوش يبالغ كثيراً في قوله ان الطبقة المالكة الثرية التي كان الفلاحون والعمال وغيرهم من الكادحين يقبلون بقيادتها السياسية يعمل القسم الأكبر منها لخدمة الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، وانهم كانوا يرفعون الشعارات الوطنية في حين انهم كانوا عملياً يتهافتون على التعاون مع الانتداب ويعملون في السمسرة لليهود ويتخاصمون على المصالح والمنافع الذاتية. ومما شرحناه في الفقرة الاولى يبدو ان في هذه الأقوال غلواً مخالفاً للوقائع والحقائق . وانه لمن الممكن ان يعد المرء آلاف الأشخاص والأسر المالكة الوجيهة في المدن والقرى التي ظلت مستقيمة على الخط الوطني دون ان ترتكس في خدمة الاستعمار والحركة الصهيونية في حين لا يستطيع ان يعد الا عشرات قليلة من العاملين لخدمـــة الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونيـة . وكان هؤلاء مدموغين من قبل الاكثرية الكبرى .

٤ – ان كلام الاستاذ علوش عن طريقة تملك اليهود الأراضي الزراعية التي تملكوها غير واضح بحيث يجعل القارىء يظن أنهم اشتروها من عرب فلسطين. والحقيقة أنهم لم يشتروا من عرب فلسطين الا ربـع ما كانوا يملكون ، اي نحو نصف مليون دونم . وأن جل او كل هذا المقدار قد باعه الملاكون الكبار منهم،

وأن الملاكين المتوسطين والصغار لم يكادوا يبيعون شيئاً . وقد كانوا يملكون مثل هذا المقدار قبل الاحتلال وكانوا اشتروه من ملاك لبنانيين واشتروا مثله من ملاك لبنانيين وسوريين اثناء الاحتلال . اما الباقي اي نحو نصف مليون دونم فقد منحته لهم الحكومة الانكليزية من اراضي الدولة . والحقيقة والتاريخ يجب أن يسجل أنه كان للمقاومة الوطنية أثر كبير في ضآلة الكمية التي باعها ملاك عرب فلسطين . وقد كانت هذه المقاومة تتمثل في الأعمال الفدائيـــة ضد الباعة والسماسرة . وفي ما كان يوسم به هؤلاء من خيانة ويتعرضون له من حقارة ونبذ من الجمهور ، وفيما كانت تصدره الهيئات الاسلامية من فتاوى وتحريم للبيع والسمسرة ، وفيما بذله المجلس الاسلامي الأعلى من اموال غير يسيرة في شراء اراض كبيرة كانت معرضة للضياع ، وما بذله الوطنيون من جهودمتنوعة .

٥ – ويلوم الأستاذ علوش الجماهير على النزوح حينما اشتد الضغط والذبح عليهم بعد انقلاب ميزان القوى في شهري نيسان ومايس ، ثم في نكبة اللد والرملة والناصرة والنقب بعد استئناف الحرب بعد الهدنة الأولى . وأظن أن هذه المسألة أصبحت من الوضوح بما لا تتحمل كلاماً فضلاً عن اللوم . وهي ظاهرة نفسية يذهل الناس بها عن كل شيء الا النجاة بأرواحهم وأعراضهم وأطفالهم . وتتكرر في كل حالة مماثلة وفي كل ظرف وفي كل زمان ومكان . وأحداث الحرب العالمية الثانية في أوروبا مليئة بالأمثلة . ولقد تكررت في ظروف العدوان الغادر الأخير .

المثقفون العرب

أمام قضية فلسطين

أديب اللجمي

مسؤولية المثقفين العرب تجاه فلسطين كبيرة جداً ، وقد تكون ، من بعض وجوهها ، أكبر من مسؤولية جميع الساسة ورجال الحكم العرب الذين تعاقبوا على مسرح الأحـداث العربية طوال الخمسين سنة الماضية . ذلك بأن « الموضوع » الفلسطيني لايمكن فصله عن القضية العربية ككل ، فهو منها وفيهـا . والقضية العربية كانت وما تزال تتلخص في السعي الى تكوين الدولة العربيـة الحرة التي يصنع فيها أبناؤها بأنفسهم مصيرهم ومصير دولتهـم ،

ويوفرون لها أسباب التقدم والرخاء ، ولأهلها ظروف الحياة الكريمة والثقافة والعلم . فالتحرر العربي هو أول الطريق لاستجماع شخصيتنا القومية ، وتفتحها حضارياً ، لتصبح قادرة على أن تعطي وتأخذ بآن واحد ، وأن تفعل في العالم مثلما يفعل العالم فيها .

فكيف أدرك المثقفون العرب المجتمع العربي ؟ وكيف فهموا إسهامهم في تكوينه ؟ وكيف تفاعلوا مع الواقع الحضاري الانساني ، لكي يحددوا نوع الصلات بين الحضارة العربية وسائر الحضارات الحديثة ؟

وحين نتحدث عن **المثقفين العرب** ، فانما نعني **مجموعة الطلائع العربية التي تعاقبت طوال هـــذا القرن العشرين** ، وفي **مختلف الأقطار العربية** ، **وأسهمت بشكل** أو بآخر في **تكوين ضمير الأمة** وعقلها **ومؤسساتها** ، وفي **رسم الخطوط الأساسية** لأمانيها وأهدافها بمختلف الوسائل . فليس يخطر في بالنا أن نقصر التحليل على موقف المثقفين المعاصرين الأحياء ، ولا أن نخصّ به المثقفين في هذا القطر العربي بعينه أو ذاك ، ولا أن ننسى وجود الحالات « الخاصة » والنماذج « الاستثنائية » التي تخرج عادة على المألوف الشائع ، والتي لا نستطيع مع ذلك أن نضعها في حسابنا اثناء معالجتنا **للاتجاه العام للمثقفين العرب في قضية فلسطين** خلال هذه الحقبة من القرن العشرين .

وليس يخطر ببال أحد أن يلقي المسؤولية المباشرة في ضياع فلسطين وتسليمها للصهيونية العالمية ، على رأس المثقفين العرب . وقد لا يكون ممكناً أصلا تحديد هذه المسؤولية ولصقها كلياً بمجموعة أشخاص بعينهم او بفئة دون أخرى . إلا أنه لا يجوز لأحد أن ينسى بأن المثقفين العرب – بوصفهم الطلائع في المجتمع العربي ، يستوون في ذلك مع الطلائع في أيّ مجتمع آخر من مجتمعات

العالم — هم الذين يسهمون ، اكثر من غيرهم ، في صنع النموذج العربي ، والقيم العربية ، كالحرية ، والاشتراكية ، والقومية ، والوحدة ، وسواها ، وينشئون الجماعات والأفراد عليها . وقد صنعوا هم المناخ الفكري او الثقافي (والتعبيران مترادفان في اعتباري) الذي ترعرعت في داخله الأجيـال العربية ، وانطلقت في ادارة شؤون المجتمع العربي ، سياسة ، وحكماً ، واقتصاداً ، ومدرسة . والمثقفون العرب هم الذين أنضجوا لشعوبهم ايديولوجية عربية ، تتحدد فيها ملامح الشخصية الحضارية للأمة العربية .

وما من شك في أن الصورة التي قدمها المثقفون عن هذه الشخصية الحضارية العربية ، في القرن العشرين ، كان لها تأثير ، أيّ تأثير ، على موقف العالم منا ، الاستعماري والصديق معاً . وشمل التأثير ، في جملة ما شمل ، موقف العالم من الحق العربي في فلسطين .

ورب قائل يقول ان ما جرى لفلسطين لم يكن من اختصاص « الثقافة » ولا من مهمات المثقفين ، بل يقع على عاتق الساسة ورجال الحكم في الوطن العربي . فهم الذين فرطوا في الحق العربي ، وتركوا الدخيل يسطو على البيت ، لأنهم كانوا يتمرغون فوق كرسي السلطة المحلي ، وهم الذين فشلوا في إعداد معركة « استرداد الوطن السليب » ، وهم الذين كانوا يمسكون بزمام السلطان بأيديهم ويتصرفون بحصيلة قوى المجتمع العربي الاقتصادية والبشرية والعسكرية . ومثل هذا القول صحيح جزئياً فقط . فليس الحاكم العربي شخصاً من خارج المجتمع العربي . وحتى في أيام الاستعمار الأجنبي ، لم يكن هذا الاستعمار يمارس مهماته على شعبنا إلا عن طريق الوسطاء العرب ، ومن خلال « الأطر » العربية . واذا صح أن ضياع فلسطين يرتد الى استهتار الحاكم العربي بحق الشعب في أرضه ووطنه ومستقبله ،

فقد كان على المثقفين العرب ألا يقفوا من هذا الحاكم موقفاً إمّعه ، أو موقف الساكت عن السوء . ان شجب الخيانة للمقدسات القومية واجب لا يقبل المساومة ، أولاً على عاتق الواعين من أبناء الشعب ، ومن ثم على عاتق مجموع المواطنين. فاذا كان ثمة تفريط واستهتار بالقيم العربية من جانب أو آخر ، فالمثقفون العرب أول من يحمل مسؤولية السكوت عن فضحه . والواقع أن مايصيب المثقفين من تبعات في النطاق القومي أو الانساني يتجاوز بكثير مايصيب أي فرد آخر من أبناء الشعب .

ولا بدّ ان نلاحظ ان المثقف ليس صانع قيم للأمة وحسب ، بل حافظاً لها في الوقت ذاته . ان الشعب ليس مكلفاً بأن يدرك كل ما تدركه الطلائع المسؤولة عن ادارة شؤونه ، وان يكن من حقه ان يعرف كل الحقائق عن مصيره وواقعه ، وان يكون مشاركاً في توجيه الاحداث لا معانياً اياها . وكشف الانحراف او الزيغ الذي قد يقع فيه الحكم العربي ، هو من مهمات المثقفين انفسهم ، إذ يتوجب عليهم ان يفتحوا اعين مواطنيهم الى ما يخطط لهم ولوطنهم من خير أو شرّ .

مهما يكن من امر ، فلسنا نبتغي هنا توزيع المسؤوليات العربية في قضية فلسطين ، على مثقفين وحكام وسواهم ولا يخطر ببالنا ان نخول انفسنا مثل هذا الادعاء . ان مانهدف اليه هو استجلاء بعض ظاهرات « التخلف » او التقصير التي تجلت عند المثقفين العرب في قضية يتعلق بها وجودنا او انهيارنا .

* * *

لم تكن نوايا الصهيونية العالمية وخططها في اقامة « دولة يهودية » في فلسطين ، خافية على الأوساط المطلعة في الغرب ، بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧ .

بل ان هذه النوايا كانت مسجلة في كتب وتقارير ومؤتمرات، نشرت على الناس منذ مطلع القرن العشرين . ان كتاب هرتزل وعنوانه « الدولة اليهودية » كان قد صدر منذ سنة ١٨٩٦ . وربما ظلّت هذه الخطط والنوايا خافية على الرأي العام العربي حتى بعد وعد بلفور ، والأرجح انها ظلت كذلك . إلا انه لم يكن مقبولاً من المثقفين العرب في ذاك الحين أن يكونوا جاهلين بالصهيونية وأبعادها واغراضها . كان عليهم ان يركزوا على دراستها والكشف عن الصلة بينها وبين الاستعمار من جهة ، وعن مشاريعها لاحتلال الارض العربية وإقامتها المؤسسات ومصارف ووسائل اعلامية خاصة بها لتحقيق أطماعها من جهة اخرى .

وإنه لمن المؤسف والمحزن بآن واحد ألا يرى مكتب كمكتب « الدراسات الفلسطينية » النور قبل سنة ١٩٦٤ . لقد كان مفروضاً بمكتب كهذا ، أعني مؤسسة ثقافية عربية تنصرف الى نشر البحوث والدراسات والتحقيقات الجدية العميقة عن كل ما يتصل بالصهيونية وأبعادها وفروعها وارتباطاتها ، واطلاع الشعب العربي عليها بجميع الوسائل ، أقول كان مفروضاً بمكتب كهذا ان يكون موجوداً منذ وطئت سنابك المستعمر البريطاني الأرض المقدسة ، واخذت افواج اليهود تغزو الارض العربية كالجراد ، بدءاً من سنة ١٩٢٠ . لم ينهض المثقفون آنذاك بهذه المهمة، وتركوا القضية الفلسطينية اجمالاً ، في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، الى رجال السياسة ومثيري الشارع ، يتصرفون بالمصير العربي على هواهم ، او حسب اجتهاداتهم وآفاقهم وانتماءاتهم . كما تركوا لأولئك الساسة كامل المهمة في تعريف الشعب العربي بالخطر الصهيوني ، وفي مواجهته بردود أفعال سياسية من جهة ، وبهبّات شعبية ضخمة ، ولكنها غير منظمة ، من جهة أخرى ، آلت الى الفشل من حيث النتيجة ، وإن تكن قد تجلت فيها الوان

من البطولة في الدفاع عن عروبة فلسطين ، تثير كل اعجاب وتقدير (١) .

كان مفروضاً بالعقل العربي المثقف أن يكتشف بأن الخطر الصهيوني لا يقتصر على اغتصاب فلسطين وحدها ، وإن الحلف القائم بين الصهيونية والاستعمار لم يكن ينشـد مجرد « توطين » يهود مشردين ، في وطن ما ، وأن الغرب الاستعماري ، كالصهيونية العالمية ، ينشدان استمرار التسلط على الشعب العربي ونهب طاقات ابنائه وخيرات بلادهم ، وأن كل ما يؤدي الى هذه الأغراض ، من تمزيق الشعب الواحد ، واصطناع الدول والحدود واثارة المعارك والخلافات بين أبناء الأمة الواحدة وادخال اليهود بتئات الألوف الى فلسطين خلسة ، وتسليحهم بأحدث أنواع الأسلحة ، يعتبر عملاً مرغوباً فيه بل ضرورياً لاجهاض بذور الثورة العربية ، وخنق التحرر العربي في المهد . كان مفروضاً بالعقل العربي المثقف أن يدرك بأن الخطر الصهيوني ، كالخطر الاستعماري ، هما خطر قومي يشمل العرب جميعهم كعرب ، ويتطلب مواجهة على مستوى قومي شامل ، تحشد فيها جميع طاقات الأمة العربية ، ويعد أبناؤها ليقفوا صفاً واحداً في دحر الغزو المزدوج . وبكلمة مختصرة ، كان مفروضاً بالعقل العربي المثقف ،

---

(١) يحسن الرجوع بهذه المناسبة الى الكتاب القيم الذي الفه المقدم محمد الشاعر (من قيادة جيش التحرير الفلسطيني) وعنوانه : الحرب الفدائية في فلسطين ـ بيروت ١٩٦٧ .

وقد عرض المؤلف في هذا الكتاب نماذج من الثورات العربية التي قامت في فلسطين ضد اليهود والاستعمار البريطاني معاً بين ١٩٢٠ - ١٩٣٩ .

كما يحسن الرجوع الى كتاب الاستاذ ناجي علوش وعنوانه : المقاومة العربية في فلسطين ـ منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة ـ التحرير الفلسطينيه ـ بيروت ١٩٦٧ .
وقد عقب الباحث الكبير الاستاذ محمد عزة دروزة على هذا الكتاب بمقال نشرناه في هذا العدد من المجلة . وغني عن البيان أن كتب الاستاذ دروزة عن القضية الفلسطينية تعتبر حجة في بابها .

أن يلتقط منذ أن صدر وعد بلفور ، وتقاسم الاستعمار البريطاني ـ الفرنسي المشرق العربي ،حقيقة بسيطة بدهية ، هي **ان المواجهة العربية يجب أن تتم في نطاق وحدوي** ، وأن تكوين الوعي الوحدوي لدى الجماهير العربية هو المطلب الأول ،أو المفتاح الذي لابد منه للبدء في التحرر . ان التقاط هذه البديهية لم يحدث بكل أسف . ومن كان أجدر بالتقاطها وإشاعتها بين الناس من المثقفين العرب أنفسهم ؟ تلك كانت من صميم مهامهم . وتلك ما زالت أيضاً من صميم رسالتهم حتى في هذه الأيام ، بل في هذه الايام اكثر من أي يوم مضى . لقد آن الوقت لتحول الوحدة العربية من شعار الى واقع . ان عدوان الخامس من حزيران لن يكون آخر عدوان يقع على الأمة العربية ، ما دامت اسرائيل موجودة في قلب فلسطين ، كما أن ازالة اثار العدوان ، بل « ومصدر العدوان » ، على حد تعبير الدكتور محمد أنيس ، يجب أن تتم في اطار جدي من توحيد الطاقات العربية في مختلف المجالات .

ولكن من يصنع الوحدة العربية ؟ لئن قام دور المثقفين العرب في هذا المجال على تكوين الوجدان الوحدوي لدى الأجيال العربية ، فان تحقيق الارادة الوحدوية تقع على عاتق الشعب العربي نفسه . وفي تقديرنا أن الوحدة العربية لن تصبح واقعاً فعلياً قبل أن يبلغ الوعي الوحدوي او الحرص الوحدوي لدى ابناء الشعب العربي ، مستوى عالياً ، ومتقاربا بين مختلف الأقطار العربية . كان بعض المثقفين العرب يظنون أن ثمة ضرورة للتمهيد للوحدة العربية ، بالتقريب في مستويات الدخل والانتاج والاقتصاد والنقد ، بين الاقطار العربية المستعدة للدخول في الوحدة . وفي اعتقادي ان كل ذلك ثانوي لا أهميـة له حين تكون الجماهير العربية ذاتها قد بلغت مرتبة من النضج الوحدوي . وتقع هذه

المهمة على عاتق المثقفين، قبل الساسة ورجال الحكم الذين يتجلى لدى أكثرهم الحرص على مكافحة الوحدة العربية بدلاً من الدعوة اليها؛ إذ لكل منهم امبراطوريته الصغيرة، وفي ذلك الكفاية. ان الشعب العربي وحده هو القادر على تحقيق الوحدة، وعلى ازاحة كل مايعترض سبيلها، وعلى المثقفين أن يُعدوه لها. ويبدو أن فريقاً منهم مازالوا يشكّون في مشروعية نهوضهم بهذا الواجب. بل ان كثيرين منهم، في أرجاء الوطن العربي، مازال يبهرهم الحكم والسلطان والجاه، فهم يلتمسون الزلفى اليها، أو يسعون الى نيل شيء منها ولو على حساب تنازلهم كلياً عن القيم التي هيأهم مجتمعهم للذود عنها. انهم يعيبون على هذا الحكم العربي أو ذاك مصادرته لمايسمونه «حرية الفكر»؛ ولكنهم لايتساءلون ماذا قدموا هم انفسهم للدفاع عن هذه الحرية. فأية حرية، سواء كانت حرية الفكر أو حرية الشعب أو الفرد، تتطلب حداً أدنى من الايمان بالذود عنها من عبث العابثين، أو لاستردادها ممن يصادرونها. وما لم يكن المثقف العربي مؤمناً بأن عليه مسؤولية حماية قيم أمته، وحقوق مجتمعه من أي عبث داخلي أو خارجي، فانه لن يتمكن من الوقوف في الصف الأمامي من المعركة ليكون قدوة في الرجولة، وقدوة في الفداء ايضاً.

ومن هنـــا يبدو أن تحقيق الوحدة العربية في سبيل ازالة التسلط الصهيوني الاستعماري على الامة العربية يتطلب ثورة فعلية وجذرية. ان مواجهة اسرائيل لاتكون بتفوق عسكري وحسب، ولا تتم بتفوق اعلامي فقط، كما أن تدمير القواعد الاستعمارية من أرض الوطن لاتكون ابداً بالتحرر السياسي والاقتصادي وحدهما؛ **ان المواجهة يجب أن تكون كلية، وأن تتجلى بتغيير جذري في المفاهيم والأساليب، في بنية المجتمع وطرق التفكير والتعبير والادارة والقيادة. فالثورة هي هذا التغيير بالذات، والتحرر يصبح نتيجة حتمية له؛**

والوحدة العربية لايمكن أن تفهم الا في هذا الاطار ؛ وكذلك الاشتراكية . كلتاهما وسيلة ، لاغاية بذاتها ؛ الغاية هي المجتمع العربي ، هي المواطن العربي ، ومن ثم الانسان . فالتحرر من الاستعمار ، والتحرر من الصهيونية العالمية ،وعودة الحق العربي والوجه العربي الى فلسطين ، كلها مرهونة بقيام المجتمع العربي الجديد، الذي يجب أن يؤدي فيه الفكر والثقافة والعقل العلمي دوراً اساسياً ، بل الدور الأول .

* * *

في هذا المستوى من ادراكنا للقضية العربية ، ومن خلالها قضية فلسطين، يجب أن ندرك الصلة بيننا وبين العالم الخارجي . ان الرأي العام الغربي لم ينتصر لحقنا في فلسطين . بل ان الرأي العام في كثير من البلاد الاشتراكية قد ظل — حتى امد قريب — متحفظاً من حقوقنا المشروعة في وطننا السليب . حقاً ان شعوب البلاد الاشتراكية وحكوماتها قد شجبت العدوان الاسرائيلي ، كما شجبت استسلام اسرائيل والصهيونية العالمية للامبريالية والاستعمار . ولكن هذا موضوع آخر . المهم هو موقف الرأي العام الخارجي من قضيتنا نحن ، من وجهة نظرنا الخاصة . لايكفي ان نقول إن الغرب مازال واقعاً تحت هيمنة الدعاوة الصهيونية التي تتحكم بأكثر وسائل الاعلام وتنفذ منها الى عقول الناس فتضللها ، ولا يكفي ان نزعم بأن قدراتنا المادية في ايصال وجهة نظرنا الى الآخرين أضعف من قدرات الصهيونية التي تدعمها رساميل ضخمة قوية ، صهيونية واستعمارية بآن واحد . ان هذه الوقائع — على صحتها — لاتحدد مسؤوليتنا في الصيغة السطحية ، وأحياناً المبتذلة ، التي نعرض بها ذواتنا ، وقضيتنا الى الاخرين . ولا يكفي أبداً أن نعتقد بأننا أصحاب حق ، حتى يكون الآخرون بجانبنا ،

بل يجب أن نعرف كيف نقنع الآخرين بأننا نحن ، لاسوانا ، أصحاب الحق في فلسطين ، وفي وطننا العربي الكبير ، وفي بترولنا ، وثرواتنا ، ومصيرنا. ولكنّ الإقناع هنا لايكون بالكلام المزوق ، ولا بالمقالة أو الخطبة أو المظاهرة ، بل بتقديم البرهان العملي على قدرتنا في أن نكون في مستوى الشعوب المتقدمة . هنا أيضاً يستطيع المثقفون العرب ان يؤدوا دور الناطقين بلسان الشعب العربي اكثر مما يقوم بذلك السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية . ولكننا لم ننهض بالمهمة الا جزئياً ، وفي أحياناً كثيرة ننهض بها سلبياً . فطريقتنا في عرض حضارتنا، وثقافتنا، وتفكيرنا ، ومؤسساتنا الاجتماعية الى الاخرين تؤذينا اكثر مما تفيدنا . وعلينا ألا نعتب على الاخرين حين يصوروننا على أننا « متخلفون » قبل أن نعتب على أنفسنا حين نعرض نحن ذواتنا وأبناءنا ووطننا بأبشع الصور . ان الفيلم العربي الذي تنتجه السينما العربية منذ ثلاثين سنة حتى اليوم شاهد على مانقول ، وكذلك الحال في جامعاتنـــا ، ومؤسساتنا العامة والتربوية والفنية ، ومستويات المنتمين اليها والمتخرجين منها .

* * *

هذا يصل بنا الى القول ان الثورة العربية ــ التي نتوقع منها تصفية الصهيونية في فلسطين ، وتصفية الوجود الامبريالي ، بمختلف أشكاله ، من الوطن العربي ــ لايمكن أن تتم إلا بمصاحبة ثورة فكرية ، والمثقفون العرب هم وحدهم القادرون على إطلاقها، **ولكنّ عليهم أن يبدأوا بتفجير الثورة في ذواتهم قبل ان يفجروها في المؤسسات والبنى والعقليات المهترئة الآسنة** . ان الثورة الثقافية تبدأ بمراجعة عميقة مع الذات ومع المواقف التي اتخذها الفرد طوال ماضيه ، سعياً وراء نقدها وتقييمها وغربلتها ، لإزاحة الفاسد منها ، وإطلاقها ثانية من أسس فكرية اكثر جدية وأقلّ شعوذة .

ان قضية فلسطين ، واسترداد الحق العربي في فلسطين ، مرهونان كما قلنا بانطلاق الثورة العربية قدماً حتى تعمّ الوطن العربي كله . والجانب من هذه الثورة الذي يستطيع ان يسهم به المثقفون العرب واسع عريض ومتعدد الوجوه يكفي أن نمرّ سريعاً على بعضها :

آ — ان جميع المؤسسات الثقافية والتربوية في الوطن العربي ، تفتقر الى إعادة نظر اساسية . وفي طليعة هذه المؤسسات توجد الجامعة ، بوصفها تعدّ الطلائع والأطر العلمية والتقنية والتخطيطية التي تحرّك المجتمع . وجامعات الوطن العربي تتردى كل يوم ، حتى أصبحت استمراراً ممجوجاً للتعليم الثانوي . إنها ليست مقصرة عن جامعات العالم الحديث بقرن من الزمان أو اكثر ، وحسب ، بل ان تقصيرها كيفي ، ولا بدّ من اجراء قلب كامل لكل أشكال التعليم الجامعي : النظم ، المناهج ، طرق التدريس ، اختيار الأساتذة ، انواع الكليات والفروع ، أساليب البحث العلمي ، الخ ... وإذا لم نعمل وبسرعة على احداث هذه الثورة الثقافية في جامعاتنا ، فمن المحقق المؤكد أننا لن نظفر منها إلا بتخريج الأفواج تلو الأفواج من المثقفين البائسين الذين يثقلون مجتمعهم بدلاً من ان ينهضوا به .

ب — لابد من ايجاد الوسائل الكفيلة بإبقاء قضية فلسطين حية متيقظة في نفوس وعقول الأجيال الناشئة — وخاصة المثقفة — . ان الطريقة الاعلامية والخطابية الراهنة التي تعرض من خلالها القضية ، والصهيونية ، واسرائيل ، هي طريقة ذات فائدة مؤقتة . انها بنت ساعتها، وهي على أية حال ذات صفة جماهيرية . ان المثقفين الجامعيين العرب يفتقرون الى **ثقافة خاصة عن فلسطين** . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان الغالبية العظمى منهم — على نطاق الوطن العربي — يجهلون ماذا يعني الخامس عشر من أيار (مايو) أو التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني

(نوفمبر) في تاريخ فلسطين أو تاريخ الغزو الصهيوني للأرض العربية . ان ثقافتهم عن « فلسطين » تكاد تكون ثقافة عاطفية سدمية صرفة . ومن الضروري أن نعمل على تحويلها الى ثقافة عقلية ، الى معلومات ووثائق وأرقام . ونقترح ، لذلك ، احداث مادة دراسية ، اسمها « فلسطين » ، توزع معلوماتها ، مثلما توزع معلومات مادة الكيمياء او الفيزياء أو اية مادة علمية اخرى ، على سنوات الدراسة الثانوية والجامعية في جميع مدارس وجامعات الوطن العربي . تكون لهذه المادة حصص اسبوعية ثابتة ، وتخصص لتدريس مختلف جوانب القضية الفلسطينية : تاريخها — العرب في فلسطين قبل الغزو الصهيوني وبعده — العمران العربي في فلسطين — الصهيونية ، تاريخها ، اصولها ، منظماتها ، اللغة العبرية والآثار التي كتبت بها منذ القديم حتى الآن — بدء الغزو الصهيوني لفلسطين ، اشكاله ، تدرجه — النشاط الذي تبذله الصهيونية العالمية لتأليب الغرب على العرب — التحالف بين الصهيونية والاستعمار — الثورات العربية في وجه الغزو الصهيوني — قيام اسرائيل — اللاجئون العرب — العرب في الأرض المحتلة — استمرار العدوان الصهيوني على الوطن العربي .. الخ .

لقد كتبت والفت عن هذه الموضوعات باللغات المختلفة ألوف الكتب والدراسات الموثقة المليئة بالمعلومات الهامة ، والاستنتاجات القيمة . وقد أضحت المكتبة الخاصة بفلسطين كبيرة جداً ، في اللغات الأجنبية ، وهي ماتزال ضعيفة جداً باللغة العربية . ومن المؤسف الا يكون المثقفون العرب على معرفة الا بالقليل الزهيد من هذه المؤلفات والمراجع . ان انتصارنا على الصهيونية يتطلب منا ان نعرفها بمختلف وجوهها وألوانها وقواها . وتلك مهمة المثقفين قبل غيرهم .

ج — ان انشاء مؤسسات للبحث والدراسات تتناول القضية الفلسطينية

بجميع أبعادها ، ويتفرغ لها باحثون عرب ، أمر على غاية من الأهمية . ان « مكتب الابحاث » التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبر بداية مشجعة في هذا الميدان . ولكن مجالاته مازالت ضعيفة بسبب عوامل كثيرة ، منها قلة المخصصات المالية ، وقلة أو فقدان المتفرغين للعمل فيه . ومن الممكن الاكثار من انشاء مثل هذا المكتب ، او اغناء المكتب الحالي بالعناصر البشرية الكافية ، وتغطية حاجاته المادية بحيث تصدر عنه الدراسات والبحوث بجميع انواعها وباللغات المختلفة ، لتعرف الرأي العام المثقف (العربي والعالمي) بقضية العرب الاولى ، تعريفاً من مستوى لائق .

* * *

تلك جوانب ، آفاق ، من امكانات العمل الذي ينتظر المثقفين العرب في موضوع فلسطين . اننا لاندعي هنا تقديم حقائق مطلقة ، ولا صوغ أوامر وواجبات . اننا نحاول اثارة الموضوع ، واثارة النقاش حوله . ففي النقاش الصادق ، والنقد الحر النزيه ، نشارك في معركة التحرير التي هي مطلب العرب الاول .

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة – كل أربعة اعداد في مجلد واحد – وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى الكتابة الى محاسبة مجلة « المعرفة » (وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي – دمشق) مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور . والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشان التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي او الجوي وفق الطلب .

القسم الثاني

وقائع الندوة التي دعت إليها مجلة «المعرفة»

المثقفون العرب أمام قضية فلسطين

تمهيد

نظمت مجلة « المعرفة » في الفترة
من ٤ – ٧ تشرين الثاني (نوفمبر)
١٩٦٧ ندوة ثقافية في دمشق ، عالجت
فيها الموضوع التالي :

« المثقفون العرب أمام قضية فلسطين »

اشترك في مناقشات الندوة :

– المفكر الفرنسي الكبير الاستاذ جاك بيرك M. Jacques Berque (استاذ في الكوليج دي فرانس) بوصفه صديقاً للعرب ومن كبار المدافعين في الغرب عن الحق العربي في فلسطين .

– الدكتور محمد أنيس – استاذ بجامعة القاهرة (الجمهورية العربية المتحدة)

– الاستاذ أحمد عباس صالح – رئيس تحرير مجلة الكاتب (» » »)

– الاستاذ مالك حداد – شاعر – كاتب (الجزائر)

– الاستاذ برهان الدجاني – استاذ بالجامعة الاميركية ببيروت ، عضو في مكتب الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية

– الدكتور سعدون حمادي – استاذ في الاقتصاد (العراق)

– الاستاذ سليمان الخش – كاتب ، وزير التربية (الجمهورية العربية السورية)

— الدكتور مصطفى السيد — استاذ اقتصاد وزير التعليم العالي (الجمهورية العربية السورية)

— الاستاذ سهيل الغزي — حقوقي ، وزير الثقافة (الجمهورية العربية السورية)

— الدكتور يوسف شقرا — كاتب ، أمين عام وزارة الثقافة (» » »)

— الاستاذ اديب اللجمي — رئيس تحرير مجلة المعرفة (» » »)

— الدكتور بديع الكسم — استاذ بجامعة دمشق (» » »)

— الاستاذ انطون المقدسي — كاتب ، مدير بوزارة الثقافة (» » »)

— » احسان الحصني — كاتب (» » »)

— الدكتور احمد سليمان الاحمد — شاعر وكاتب (» » »)

— » بشير العظمة — استاذ طبيب بجامعة دمشق (» » »)

— » نور الدين حاطوم — استاذ بجامعة دمشق (» » »)

— » عادل العوا — عميد كلية الآداب بجامعة دمشق (» » »)

— » عبد السلام العجيلي — كاتب وطبيب (» » »)

— الاستاذ هيثم كيلاني — كاتب ، سفير (» » »)

— » علي الخش — كاتب (» » »)

— الدكتور ناجي الدراوشة — رئيس تحرير جريدة البعث (» » »)

— الاستاذ محمد الجندي — رئيس تحرير جريدة الثورة (» » »)

— » عبد الهادي هاشم — أمين عام مساعد بوزارة الثقافة (» » »)

— » علي محسن زيفا — مدير بوزارة الثقافة (» » »)

— الدكتورة نجاح العطار — اختصاصية في الادب العربي (» » »)

— الدكتورة فاطمة الجيوشي — استاذة بجامعة دمشق (» » »)

— الدكتور جودة الركابي — عميد كلية التربية بجامعة دمشق (» » »)

واعتذر عن عدم الاشتراك بالندوة الكاتب الفرنسي الأستاذ فلسان

اليوم الأوّل

افتتاح الندوة

رئيس الجلسة : الاستاذ أديب اللجمي

المشتركون في البحوث والمناقشات

- الأستاذ سهيل الغزي
- » فنسان مونتيل
- الدكتور عبد السلام العجيلي
- الدكتور عادل العوا
- الدكتور احمد سليمان الأحمد
- الأستاذ جاك بيرك
- » محمد الجندي
- الدكتور محمد أنيس
- الدكتور نور الدين حاطوم
- الأستاذ هيثم كيلاني
- » احسان الحصني
- » احمد عباس صالح
- الدكتور يوسف شقرا
- الدكتور بديع الكسم
- الدكتور بشير العظمة

كلمة الاستاذ سهيل الغزي

وزير الثقافة والسياحة والارشاد القومي

سيداتي ، سادتي

أيها الاصدقاء الاعزاء .

يسعدني ان تلتقوا هنا ، في دمشق العربية ، لتبحثوا بذهن تواق الى الحقيقة ، وبوصفكم أعضاء في اسرة المثقفين العرب ، تتبلور في افكارهم وآثارهم صورة الثقافة العربية ، موضوع دور المثقفين العرب ومسؤوليتهم في قضية فلسطين ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

ان هذا الموضوع الذي اختلط بلقمة المواطن العربي ، وجرى في عروقه مع دمائه ، واصبح اكثر من مجرد ولب تدور حوله الحياة العربية ، بل أصبح هو المحدد لمعايير التقدم والتحرر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي في ارجاء الوطن العربي كلها ، قد تجاوز النطاق القومي ، ليصبح موضوع اهتمام عالمي ، بعد ان اتضح للناس أن مؤامرة الصهيونية على عروبة فلسطين ، تتضمن مؤامرة أوسع واكثر شمولا ، هي مؤامرة الاستعمار والامبريالية على الوجود العربي كله .

أيها الاصدقاء الاعزاء .

ان قضية فلسطين تحتل اليوم اهتمام العالم بأسره . فشعوب الارض كلها تقرأ وتسمع في الصباح والمساء أنباء الغارات ، والمذابح ، واعمال السبي ، وتدمير

المنازل ، وتهجير الاطفال والشيوخ ، ترتكبها اسرائيل ، بحق العرب الذين ترى قوى الامبريالية والاستعمار الجديد ، في مجرد مطالبتهم بحقهم في ارضهم ووطنهم جنوحا وجريمة . ان قيم العدالة والحق تداس اليوم فوق فلسطين مثلما تداس في محراب منظمة الامم المتحدة . والذين يدوسونها هنا هم انفسهم الذين يدوسونها هناك . ويخطيء الغرب الاستعماري كثيرا ان ظن بأن الزمن كفيل بتسوية المظالم ونسيانها . فما من ظلم وقع على شعب الا وأنبت بالضرورة بذور الثورة لازاحته . وكلما اشتدت المكابرة في اعادة الحق الى المظلوم ، اضطر هذا الى سلوك العنف في استرداده . ولأن اسرائيل تستمر تكابر في المنطق والحق والتاريخ ، وتستمر تغتصب ارض العرب ، فان السلام العالمي مهدد فعلا ، وعلى شعوب العالم ان تهب ، قبل فوات الاوان الى شجب العدوان ، وازالة آثاره ، والمساعدة على رد الحق الى اهله .

ان مايطالب به العرب ليس غزو فيتنام ، ولا حبك المؤامرات لاذلال شعوب أمريكا اللاتينية ، ولا التآمر على شعوب أفريقيا السوداء ، ولا نهب ثروات وخيرات العالم الثالث . ان العرب يطالبون بعودتهم الى بيوتهم ومزارعهم ومدنهم في فلسطين . واذا استمرت منظمة الأمم المتحدة عاجزة عن اعادة الحق الى ذويه ، فلن نملك نحن وأمثالنا سوى الرثاء لها ، ولكنه يستحيل علينا أن نتخلى عن حقنا في استعادة بيتنا وأرضنا . ثم ان التحدي الذي يواجهه العرب يتجاوز كثيراً نطاق البيت السليب والأرض المغزوة . ان اسرائيل ، ومن ورائها غرب مازال يحن الى فتوحات القرن التاسع عشر ، تهدد بالفناء من الداخل مقومات الوجود العربي ، وصميم الفكر العربي . فإرادة التحرر وإقامة الاشتراكية عند العرب ، وما رافقهامن حرصهم الصادق على أن يسهموا في حضارة القرن العشرين ويعاونوا على

بترسيخ مبادىء الحق والحرية والمساواة بين الشعوب ، أدركها الغرب الاستعماري على أنها تقويض لامتيازاته وذلك لعقلية التسلط والتحكم التي تميزت بها علاقاته مع سائر شعوب العالم . وما حماسة هذا الغرب الى اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ثم تحويله هذا الوطن الى دولة تقوم على اغتصاب جزء من الأرض العربية بحماية حراب الاستعمار وبنادقه ، ثم تحويله هذه الدولة المليئة بالتناقضات المذهلة الى أداة تهديد لأمن العرب وسلامتهم ، وأداة تعويق لهــم عن مواصلة تحررهم ونهوضهم ، أقول ، ماهذا كله الا دلالة على استمرار القوى الاستعمارية في الوقوف حائلاً دون تطور الشعوب وممارستها لحريتها وسيادتها على أوطانها وخيرات ارضها .

وانتم اليوم مدعوون الى طرح مختلف هذه الموضوعات ومناقشتها ، والى بحث دور المثقفين العرب في عرض قضية فلسطين على شعوبهم وعلى مثقفي العالم . وانني ارحب بكم اجمل ترحيب ، وأخص بالشكر والتحية الأستاذ والمفكر الكبير جاك بيرك الذي جاء يشارك كنا في هذه الندوة ، وهو يحمل ايماناً عميقاً بالحق العربي ، وبالحضارة العربية ، وبالفكر العربي . فهو اخ كريم لنا جميعاً ، وان له تقدير جميع الأحرار من مثقفي ومفكري العالم ، كما ان له تقدير ومحبة شعبنا كله . فأهلاً بكم جميعاً والسلام عليكم .

رئيس الجلسة : اديب اللجمي

أرحب بكم باسم أسرة مجلة المعرفة . لقد نظمنا هذه الندوة الثقافية لنعالج جانباً من مشكلة كبرى تتعلق بدور المثقفين العرب حيال قضية فلسطين . وقبل بدء المناقشة لابد من إيراد بعض الملاحظات التمهيدية :

١ — إن الدافع الى عقد هذه الندوة بدأ من تحسس عفوي لدى الكثيرين من المثقفين العرب حول ما أصاب وطننا وأمتنا من استمرار العدوان الصهيوني الاستعماري على أرضنا ، وخاصة في اعقاب عدوان الخامس من حزيران (يونيو) الماضي .

٢ — ان المشتركين في الندوة لا يعتبرون أنفسهم مندوبين عن المثقفين العرب بل من أسرة المثقفين العرب .

٣ — ان هذه الندوة ليست مؤتمراً ولا مهرجاناً ، ويهمنا أن نبتعد أثناء مناقشاتنا عن كل اثارة عاطفيـــة لنتمكن من التركيز على الموضوعات التي نود مناقشتها واستجلاءها لنصل فيها الى أفكار واضحة تساعدنا في معركتنا التحررية .

ان الندوة تريد ان تتساءل عما قدمه المثقفون العرب للقضية الفلسطينية بوصفهم منتجي الثقافة العربية ، في الفترة الواقعة بين صدور وعد بلفور والعدوان الاسرائيلي الاخير . ماذا كان موقف المثقفين والثقافة العربية من هذه القضية ؟ في سبيل ذلك تصورنا أن بامكاننا تقسيم الموضوع الى ثلاثة اقسام رئيسية .

في القسم الأول سننصرف الى دراسة نقدية تحليلية لموقف المثقفين العرب

طوال الخمسين سنة الماضية. وسنستعرض الفكر القومي في القضية الفلسطينية دون ان نقتصر في بحثنا على الآثار المكتوبة من ادب وفن وسياسة، بل سنتطرق للمؤسسات والتربية ونظام الحياة في الوطن العربي.

أما القسم الثاني من الموضوع فسنعالج فيه ما أداه المثقفون العرب، وما لم يؤدوه من رسالة الى العالم الخارجي في موضوع فلسطين، وسيشمل هذا القسم توضيح مهمة المثقفين العرب والثقافة العربية في حوارهما — إن كان ثمة حوار — أو في صلاتها، مع الثقافة الغربية. هل حدث هذا الحوار ام لم يحدث؟ هل نجح ام فشل؟ لماذا فشل وما هي عوامل فشله؟

أما في القسم الثالث فنحاول القيام بعملية تركيبية من القسمين السابقين لاستجلاء تطلعات المستقبل. ماذا ينتظر من المثقف العربي والثقافة العربية أن يفعلاه في موضوع القضية الفلسطينية، او في موضوع الهوية العربية في المستقبل؟. هل يمكن أن تطرح القضية طرحاً جديداً، وما هي شروط هذا الطرح وتوقعاته؟.

هذه تقريباً الخطوط الكبرى للندوة وأرجو ان تكون المناقشة مركزة حول موضوعاتها الأساسية.

كلمة الاستاذ فنسان مونتيل Vincant Montel

(القيت عنه بالنيابة)

حول قضية فلسطين

لا أزال اتتبع القضية الفلسطينية عن كثب منذ حوالي عشرين سنة ، أي منذ وصلت في حزيران ١٩٤٨ كمراقب للأمم المتحدة الى القدس ، وكانت لاتزال تحت كابوس مذبحة قضى فيها الصهيونيون على جميع سكان القرية العربية دير ياسين . ويبدو لي انه يجب التذكير ببعض البديهيات التي لاتقبل المناقشة لأوضح على الأقل سبعة التباسات اساسية شائعة :

١ — ان اسرائيل تتميز عن اليهودية ، وقد كتب جوزيف ريناخ Josef Reinsch في ٣٠ آذار ١٩١٩ في صحيفة « ديبا Debats » : « وبما انه ليس هناك عرق يهودي ولا أمة يهودية، وليس هناك سوى دين يهودي ، فالصهيونية حماقة حقاً، وهي خطأ من ثلاث نواح : الناحية التاريخية والناحية الأثرية والناحية العرقية . وقد رفض بعض مشاهير اليهود (يهوذا مانيس Juda Magnes ومارتن بوبر M . Buber) الدولة اليهودية . وهنالك حالياً فرنسيون من اصل يهودي (مكسيم رودنسون وفاني شابيرا وعدد كبير من الطلاب) ينحون هذا النحو .

٢ — ليس للعرب اية علاقة بذابح اوشفيتز وتربلينكا التي اباد هتلر بها اليهود ، وهم ليسوا مسؤولين عنها ؛ لذا فلا يمكن ان نتبين لماذا يجب ان نقوم لسرائيل على حسابهم .

٣ — ليست اسرائيل قلعة للديمقراطية ، انما على العكس دولة عرقية

ودينية وهي بطلة التميز العنصري حيـال اقلياتها : الأقلية العربية (مصادرة الاراضي واجازة مرورينحها الجيش والشرطة الخ ...) ، وحتى الأقلية اليهودية الشرقية (فقد استقبل هؤلاء كأكباش فداء) .

٤ – ليست إسرائيل بلداً فقيراً أعزل تنبغي مساعدته مهما كلف الأمر، فالخمسون مليون عربي الذين لهم معها حدود مشتركة يكاد إنتاجهم القومي يماثل إنتاج الاسرائيليين المليونين ونصف ، وقد جمع صندوق التضامن لنصرة اسرائيل الذي أحدث في باريس في ٣٠ أيار ١٩٦٧ مليار فرنك قديم ، وهو مبلغ لاتزال لجنة نصرة فيتنام تنتظر توفره . أما قوة إسرائيل العسكرية فقد برهنت حرب حزيران الخاطفة عن أهميتها .

٥ – ليست إسرائيل صديقة لفرنسا بالضرورة ، وكثيراً مايحدث التباس عندما ينظر إلى فرنسا من خلال غي موليه (بطل السويس) . ومصالح البلدين هي في الغالب متناقضة ، كما هي الحال في افريقيا السوداء مثلاً .

٦ – ليست دولة اسرائيل المعترف بها من قبل الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ هي دولة اسرائيل عام ١٩٦٧ التي قامت حدودها من قبل شهر حزيران على الظلم والقوة . أيعترف بحق إسرائيل في البقاء؟ نعم ، بشرط أن تكف عن أن تكون رأس جسر للامبريالية الاميركية وتعزف عن أن تكون عرقية ودينية وتمسك عن القول (كما فعل الجنرال رابين في ٢٥ ايلول في بال) أنها ينبغي أن تضم أربعة أو خمسة ملايين يهودي ، وبشرط أن ترد الأراضي العربية التي احتلتها هذا العام وأن تقبل بعودة اللاجئين وتوافق على تدويل القدس .

٧ – ليس لاسرائيل أي حق تاريخي في فلسطين ، ففلسطين كانت عربية في عهد الأمويين (في القرن السابع) ثم في عهد العباسيين (في القرين

الثامن والتاسع) ثم أتاها الأيوبيون في مطلع القرن الثالث عشر بعد فترة ملك الفرنجة الفاصلة في القرن الثاني عشر . وبعد ذلك بقيت فلسطين كمصر جزءاً من امبراطورية المماليك من عام ١٢٦٠ الى ١٥١٦ ، وضمت أخيراً من عام ١٥١٦ حتى ١٩١٨ الى الامبراطورية العثمانية . ففلسطين إذن بلد عربي يخضع لحكم اسلامي منذ ثلاثة عشر قرناً .

عندما يعي المرء هذه الحقائق لابدله من أن يوافق بكلتا يديه على تصريح الجنرال ديغول في مجلس الوزراء في ٢١ حزيران ١٩٦٧ : «لقد وقفت فرنسا من حرب الشرق الأوسط موقف المعارضة ، وهي تدين البدء بالعدوان من قبل إسرائيل ، ولا تعتبر اليوم أي تبدل تحقق على الأراضي بعمل عسكري أمراً مقضياً» . إنه الحس السليم بعينه ، فماذا يحدث الآن ؟ يحدث ما كان من السهل توقعه ، فقد اصبحت اسرائيل هي المضطهدة وبذا انقلبت صورتها . إن «قلعة الرجال الأحرار الجريئة» وهو شعار الدعاوة ، تحتل اليوم وطن العرب : القدس القديمة ، سيناء ، غزة ، الضفة الغربية ، منطقة القنيطرة . لقد وقعت إسرائيل في حلقة الانتقام الجهنمية ، فأحرق الاسرائيليون أعداءهم بالنابالم (مقلدين بذلك الامريكان في فيتنام) ، وهاهم يتحدثون عن إعادة عقوبة الموت ضد الإرهابيين ، أي ضد الوطنيين من المقاومة العربية ، وهذا سياق عاث نعرفه جميعاً .

ان حل القضية هو موضوعاً بين ايدي الدول الكبرى . ومن تمام النفاق ان يزعم ان الفريقين المتقاتلين وحدهما يجب ان يناقشا قضية اقامــة السلام . فاسرائيل في الواقع ليست وحدها ، وما كانت التجيز لنفسها ان تدان احدى عشرة مرة كمجتدية في هيئة الامم منذ ١٩٤٩ (دون ذكر حزيران ١٩٦٧) ، إن لم

بأنها مدعومة من الامبريالية والمال الامريكيين . انه لصحيح تماماً ماتبين للجنرال ديغول وقاله : «ان بين فلسطين وفيتنام رابطة من هذه الناحية . فهذان البلدان يكافحان في سبيل حريتها ضد العدو نفسه والقوى الرجعية نفسها» . وما من سبيل إذن الى القول بتوازن كفتي الميزان ، فليس للطرفين قضية واحدة، وقضية العرب هي المحقة وهي التي ستنتصر .

الدكتور عبد السلام العجيلي :

حول التزام المثقف العربي

للأمة العربية قضايا كثيرة أهمها وأخطرها وأكثرها إلحاحاً قضية فلسطين. وفي هذه الندوة سيبحث كثير من الزملاء عن موقف المثقف العربي بصورة شاملة من كل قضايا امته التي قضية فلسطين، كما قلت، هي اهمها واخطرها واكثرها إلحاحاً.

في عصرنا تكاد تكون مستحيلة عزلة المثقف في برجه العاجي، منصرفاً الى لذائذ المعرفة، او الى متعة الابداع الفني.

فالقضايا العامة من محلية وقومية وانسانية تتغذاه مع خبزه اليومي. والمثقف العربي، مثل كل مثقف في العالم، مسوق الى الاهتمام بالقضايا الكبيرة وباتخاذ موقف منها. بل انه جدير بأن يكون اشد اهتماماً من المثقفين الآخرين بهذه القضايا الكبيرة، لأن انباء بعضها لاتفارق سمعه كل يوم، وبعضها تقرع عليه بابداره كل لحظة مذكرة اياه بأنها تعني بالنسبة اليه الحياة او الفناء، والوجود او العدم.

اذن فاهتمام المثقف العربي بقضايا قومه وبلاده والانسانية امر حتمي وواقع. ويشتد الاهتمام حتى ليصبح في بعض الظروف ارتباطاً لامفك منه للمثقف الحق والمفكر الحق، الصحيح الادراك للظروف المحيطة به، الصحيح الشعور بمؤوليته كمثقف ومفكر. فهل هذا هو آخر الشوط في علاقة المثقف

العربي بالقضايا الكبيرة ؟ ان فئة من المثقفين المفكرين لاتقف او تكتفي بالاهتمام او الارتباط بل تبحث عن علاقة اشد واكثر تحديداً ، فتتخذها وتطالب غيرها باتخاذها . هذه العلاقة او هذا الموقف هو ما اصطلح على تسميته بالالتزام .

والاصل في الالتزام، اذا طبقناه بوجه عام ، انه يعني التقيد بمذهب بعينه، مذهب اخلاقي او جمالي او حتى عبثي (ونحن نذكر التزام ابي العلاء بالا يلزم في جزء كبير ومهم من نتاجه الشعري) غير اننا حين نقول الالتزام اليوم ، وحين نقول التزام المثقف العربي بصورة خاصة ، فان الذهن ينصرف مباشرة الى الالتزام السياسي ، أعني الى تقيد المثقف العربي بمنحى سياسي يعتقده وينافح عنه ويتحمس فيه. وتتضاءل امام الالتزام السياسي كل الوان الالتزام الاخرى من فنية اواخلاقية، او ان هذه الألوان الاخرى تصبح فروعاً تتشعب منه او روافد تصب فيه .

واريد هنا ان ابحث عن قيمة الالتزام السياسي للمثقف والمفكر العربي وعما يمكن ان يكسبه لمجتمعه وامته ولإنتاجه الادبي والفني ، اذا كان اديباً او فناناً ، من هذا الالتزام .

في رأيي ان هناك نقطة ضعف في واقع التزام المثقف العربي في هذه الفترة المعاصرة من تاريخنا، تنتج من كونه في التزامه منفعلاً لا فاعلاً وتابعاً لا متبوعاً . فالأوضاع السياسية الراهنة في بلاد العرب والتنظيمات السياسية التي تستند عليها هي من خلق السياسيين . واثر المثقفين والمفكرين في تكوين هذه التنظيمات وتلك الأوضاع قليل . فالالتزام في هذه الحالة هو مسايرة للتيار المتدفق او سير فيه ، وقل ان يكون سيراً في الاتجاه المعارض . وفي الحالات القليلة التي وجد فيها مثقفون ساهموا في خلق التيار السياسي انتهى الامر باقصائهم عن الحلبة،

او بتنازلهم عن عقليتهم كمثقفين ليصبحوا حكاماً مستسلمين الى ماكيافيلية السياسة او الى سطحيتها .

قلت ان هذه نقطة ضعف في التزام المثقف والمفكر العربي . وقد بعدت هذه النقطة بالمثقفين والمفكرين العرب عن واجبهم وأعطتهم في اعين الناس صفة الدعاة المأجورين او الابواق او انها وصمتهم بالانتهازية والاستسلام .

فما هو اذن الموقف الصحيح للمثقف والمفكر العربي من الالتزام وفي الالتزام ؟ في رأيي ان التزام المثقف العربي يجب ان يكون متلائماً مع وضعه وقيمته في المجتمع العربي من ناحية ، وان يكون من ناحية اخرى التزاماً فكرياً واخلاقياً يطبّق في الميدان السياسي باعتبار هذا الميدان ساحة عمل ، لا ان يكون التزاماً سياسياً يجر وراءه القيم الفكرية والاعتبارات الاخلاقية .

فلكي يكون التزام المثقف العربي متلائماً مع موضع هذا المثقف وقيمته في مجتمع بلاده ، يجب ان يدرك هو قبل غيره بأن وجوده في مجتمع متخلف يجعل منه انساناً متميزاً بسعة اطلاعه وعمق وعيه ومضاء الاداة التي يستخدمها في التعبير عما يريد قوله . وهذا التميز يلقي عليه واجبات ينبغي له ان يفي بها .. ينبغي عليه ان يقف موقف الموجه ، واذا لم يتح له هذا الوقوف لظروف خارجة عن ارادته وقدرته فانه ينبغي عليه ان يقف موقف الناقد المقوم .

واما ان يكون التزام المثقف العربي التزاماً فكرياً واخلاقياً ، فان هذا هو الالتزام الصحيح لانسان يحترم نفسه ويثق بمعرفته ويعي مسؤولياته . وما السياسة الا ساحة عمل تطبق فيها الأفكار والاخلاق معطياتها . إن قيم السياسة ، قيم متحولة . اما قيم الفكر الصحيح والخلق القويم فقيم ثابتة ، لذلك فواجب المثقف العربي ان يكون مخططاً للسياسة اومقوماً من اعوجاجهابفكره وتعبيره ، لا ان يكون مجروفاً بتيارها .

الدكتور عادل العوا :

أود ان أدلي بتعليق بسيط على فكرة الالتزام . الالتزام في رأيي يصدر بالزام ذاتي ، ولايمكن ان يفرض فرضاً ؛ أقول هذا للمثقفين الذين يخيل لهم ان الالتزام يفرض فرضاً . ان الالتزام ينبع بعد فهم القيم الثابتة في المجتمع . والمجتمع له حياةمتطورة تهدف الى تكيف بين واقعه وقيمه ، ولهذا ينبع الالتزام من الذات . وأسمي في هذا المقام الفيلسوف « كانت » الذي يقول : « ان الانسان مشرع لنفسه ، ملتزم بما يشرع بعقله لتحقيق قيمه » .

اديب اللجمي :

انا لانتحدث في ندوة كهذه عن الالتزام في مراميه الفكرية اوالثقافية الصرفة . يحسن بنا ان نظل في صلب الموضوع . ان مايمكن ان نناقشه في ندوتنا هو التزام المثقفين العرب في قضية فلسطين ، وفي رأيي أن هناك استطراداً في كلمة الدكتور العجيلي حول التزام المثقف « العربي » . إن مايهمنا معرفته مثلاً هو الصورة التي تجلت بها القضية الفلسطينية في ضمير وفكر وتعبير المثقفين العرب ، أو الثقافة العربية المعاصرة . وعلى أية حال قبل ان نغوص في المناقشة ، أعطي الكلام للدكتور أحمد سليمان الأحمد الذي اعد كلمة تمهيدية عنوانها : الشعر العربي وجهاً لوجه مع القضية الفلسطينية .

الدكتور أحمد سليمان الأحمد :

الشعر العربي وجها لوجه مع القضية الفلسطينية

لا أريد بكلمتي عن الشعر ، وموقف الشعراء من القضية الفلسطينية ان أدعي للشعر دورا خاصا به ، أو للشعراء مكانا لا يحتله غيرهم . فأنا مؤمن بأن الشعر ، وان الفن عامة يجب أن لا ينفصل عن واقعه ومحيطه ، بل هو فن بمقدار مايعبر عن هذا الواقع ، ويعكسه ، وبما يخلقه ويبدعه ويوحي به احيانا كثيرة . وانما أردت ان اتحدث عن بعض الظواهر في هذه الفترة من حياة الشعر العربي ، من وعد بلفور الى أيام النكسة الأخيرة ـ محاولة مني في دمجها بمثيلاتها من الظواهر في الميادين الاخرى ـ لعلنا نستطيع ان نؤلف منها مركبا يساعدنا في فهم واقعنا وفي محاولة علاجه بوعي وموضوعية .

صحيح أن الشعر كان يمثل دوما بالنسبة للعرب شيئا متميزا ، ولن يكون له ذلك في عصرنا إلا بقربه من الجماهير والأحداث وبما يستطيع ان يعبر عنه او يتنبأ به . ولعل الشعر كان حساسا أيضا ازاء القضية الفلسطينية ، ولعل هذا الحس المرهف كان فيه شيء من التعويض عن هذه الثقافة التي نريدها الآن للشعر كما نريدها للقطاعات الأخرى من الفنون والعلوم . وكما أن العفوية والسجية والسليقة وغير ذلك من الكلمات اللصيقة بشعرنا عامة أصبحت لا تكفي الآن ، فاني اسارع فأدخل في لب الموضوع ، كما يقولون ، فأضيف بأن عدالة قضية ما لا تكفي ، خاصة في عصرنا هذا .

من نقطة عدالة القضية انطلق الشعر . ومادامت هناك عدالة فلاشك ان السماء في جانب أصحابها . ولعل هذا المنطلق او هذا المنطق قد طبع شعرنا

— وربما قطاعات وطنية أخرى — بطابع التواكل والحيرة او التردد . انه تواكل متطلع الى السماء حيناً ، والى الحلفاء الذين وقفنا الى جانبهم حيناً آخر . انه انتظار للمخلص سواء من السماء او من الارض . وهو تردد او حيرة او انقسام داخلي لأن هذه القضية العادلة التي تدعمها السماء لم تصل الى الغاية المرجوة التي هي من المسلمات . ان الانسان العربي — من خلال ذلك — لم يصبح بعد الانسان المصمم الواثق من نفسه وطاقته ودوره .

وكما أن السليقة شيء جميل واساسي لم يثبت بطلانه حتى الآن في عالم الشعر ، فكذلك عدالة القضية شيء جميل وأساسي .. ولكننا أردنا التأكيد ، في حالتي السجية الشعرية وعدالة القضية ، على ان كلا منهما لا يكفي . ولعل ، الى ذلك ، أشار الشاعر العراقي عدنان الراوي ، أحد شعراء القضية الفلسطينية (ومن منا لم يكن من شعرائها او كتابها ؟) اذ قال :

وان شيئاً يسمى الحق بينهم — أودى وآخر يدعى واقعاً ولدا

وشعراء النكبة اذ انطلقوا من منطلقات نخشى ان تكون ارتجاعية ، كالعودة الى الماضي والايمان بمسلمات ميتافيزيكية او نصف — ميتافيزيكية ، كانوا الى جانب ذلك مهددين بأخطار أساسية خطيرة : **كأن تفقد الكلمة مدلولها** .. فيفقد الشاعر بالتالي شعوره بالمسؤولية أمام الكلمات والناس .

قال الشاعر القديم :

والناس من يلق خيراً قائلون له — مايشتهي ولأم المخطىء الهبل

ولأن شعراء النكبة لم يلقوا ذلك الخير فقد كان لابد من أن ينالهم — بل أن ينال الشعر عامة — شيء من لوم الناس او لامبالاتهم . الكلمات اذن غدت قبض ريح ، وانما كان يجب ان تكون كلمات انسانية ذات مسؤولية .

لقد أصاب الشعر شيء من الخمول على أثر النكبة . لقد اعتبر مسؤولا أيضاً ، وكان عليه ان يتحمل هذه المسؤولية كأي تصريح سياسي ، او بيان تذيعه جماعة ، او منشور يوزع في الشوارع والطرقات أو يوضع عند عتبة الباب. ولابد من أن يسأل الشعر في جملة من يسألون لأنه قوة يحتاجها الناس كما هي بحاجة الى الناس . ولأن الشعر نفسه اعترف بمسؤوليته على لسان العديد من شعرائه ، ولكنه — كما أعلم — لم يحاول أن يصحح كثيراً من حقيقة دوره .قال الجواهري:

هل أنقذ الشام كتاب بما كتبوا   أو شاعر صان بغداداً بما نظما

ان الكلمة عندما لايفهم الشاعر ابعادها ، او عندما لايعني هذه الابعاد ، فانها تتعرى من معناها . فمثلا لقد اهتدى ابراهيم الدباغ الى أن العدل شيء خيالي، اذا كان علينا ان نعتمد عليه في حل قضية فلسطين وقال ابراهيم طوقان:

لاتلجأن اذا ظلمت لمنطق   فهناك أضيع مايكون المنطق

وهذا يعني أن كلا منهما شارف على فهم هذه الموضوعة : عدالة القضية لاتكفي . ولكن أياً منهما لم يستطع فهم أبعاد هذه الكلمة بل بقيت شعاراً يردد وتعبيراً عن احساس موقت أملته ظروف معينة ولم يحاول أن يعمقه . انها الملاحظة السريعة الذكية ، ولكنها عاجزة عن التعميق والتقصي .

— اطلق وعد بلفور ، فكان تحسس الشعراء العرب به ضعيفاً أو شبه معدوم ، ولم نقرأ لأحمد شوقي او لحافظ ابراهيم أو للعقاد شعراً في ذلك ، بل رأينا شاعراً مثل الرصافي ، يتحسس عادة بآلام المجتمع وعاش فترة تيقظ عربي، يلقي قصيدة عام ١٩٢٠ يطري فيها محاضراً يهودياً ويمدح المندوب السامي البريطاني، لماذا ؟ لأنها ذكرا بالخير ماضي العرب ! هذا الحزم الذي عد تقياً وصالحاً من جاسه خالعاً نعليه ، وليجترح بعد ذلك ماشاء من البوائق . هذا أيضاً ماعنيته بأن

السليقة لاتكفي . ولذلك كان الشعر في البلاد العربية اعجز من ان ينفذ الى حقيقة وعد بلفور والى مرامي الصهيونية العالمية . ولكن هذا الشعر كان مستعداً لفهم امور أوضح وابسط وأكثر ملامسة واثارة للمشاعر العفوية ، ألا وهي الشهادة ، الاستشهاد في سبيل الوطن وفي سبيل الله . فعندما كان حجازي ورفاقه يستقبلون مشانق الجلاد بكل ايمان المناضل وعندما كان القسام والعاص وابو كال وغيرهم يسقطون في ساحة النضال المسلح كانت مشاعر الناس ، وبينهم الشعراء ، تتفتح وتضطرم ، وأيقظت هذه الشهادة معنى وعد بلفور ، وأخذ يتوضح ، أجلى فأجلى للشعراء العرب . ومن الطبيعي ان يكون الشعراء من أبناء فلسطين اكثر وعياً لهذه الحقيقة ، اذ أنهم اكثر اكتواء بنارها المباشرة . وفي هذه الفترة شهر الشعر سلاحاً في جملة أسلحة المعركة .

من بقايا الارتجاعية في شعرنا نجاه المأساة أنه لجأ الى المغالاة . والمغالاة تفقد الثقة بصحة ماتقوله الانسان . ومن جهة أخرى فانها تصرف الانسان عن تقدير قوته الحقيقية وبالتالي يغتر بالخصم . انها تقود الى **الجهل بالحقيقة** .

ومن هذه البقايا الاعتزاز والفخر والكبرياء . ان الكبرياء القومي ضروري في فترة معينة من حياة الامة . لعله ضرورة لأمة تفتش عن استقلالها الذاتي وتحاول أن تبني شخصيتها المتميزة . ولكن مثل هذا الشعور سلاح ذو حدين . وعلينا ان نعرف كيف نستخدمه ، كي لاينقلب ضدنا .

ويقف مقابل هذه البقايا وفي طرف معاكس تماماً ، ذلك الشعور بالنقص والشك بامكانية الامة ، واليأس المرير من كل إمكانية نهوض .

ولسنا نغمط الشعر حقه في انه كافح وجالد وان شعراء قد شردوا واستشهدوا وفي هذا شرف للشعر والكلمة .

ولكن لابد من الملاحظة بأن الشعر لم يقدم لنا مسرحية أو ملحمة او حتى عملا روائياً ضخماً يستطيع أن يهز الضمير العالمي ، وكيف وهو لم يهز الضمير العربي ، ولم يستطع ان يصنع من حيفا او يافا غرناطة جديدة ، على رجاحة قضيتنا في يافا على مثيلتها في غرناطة ، وعلى مابين فقدان الاندلس والنكبة الأخيرة من فروق جوهرية واساسية .

كان الشعر يجري لاهثاً وراء الأحداث ، وكان أحياناً يكثر من الصخب والضجيج فيصم الآذان دون ان يهز الأفئدة ، وكان احياناً يكتفي بأن يتفرج ويصور دون انفعال صادق .

ولربما كان في علاج المجتمع العربي علاج للشعر أيضاً . وكما ان المجتمع العربي بحاجة الى «التعصير» دون ان يفقد شيئاً من اصالته — كي لا يحس أبداً بالاغتراب والانقطاع عن جذوره — فكذلك الشعر بحاجة الى هذا التعصير مع حفاظه على الاصالة . وهذه عملية صعبة معقدة . فاذا كانت أفكار الشاعر تتجه الى الماضي ، الى ماقبل الصناعة ، فان الشاعر يغدو بالضرورة رجعياً، ولكنه اذا لم يفكر إلا على النطاق الصناعي ، فان الشاعر يغدو بالضرورة ايضاً ، تابعاً من توابع الآلة . ان هنا خطاً فاصلا دقيقاً بين ما هو القديم الارتجاعي وماهي الاصالة الدائمة التجدد والتطور والابداع ، القديم البالي ليس الا عقما فهو اذن موت وفناء واما الاصالة فخصب وهي اذن حياة واستمرار ، القديم نهاية بينما الاصالة خلود . واذا توصلنا الى التمييز بين القـــديم والأصيل فاننا نكون واثقين من أننا اجتزنا مرحلة التردد والتمزق والغربة ، واننا اصبحنا نبني على أساس متين ، أو على الاقـــل اصبحنا لانقيم البناء على مانحز من حجارة . اننا نكون نتطلع الى الأزمنة الماضية باسم الأزمنة الحديثة .

واذا كان علينا في بحثنا عن الجديد ان نرفض القوالب الجـــاهزة المهيأة للشعر ، فبالاحرى أن نرفض في بحثنا عن الحياة الجديدة ، القوالب المهيأة لصانع الشعر ، للانسان .

الاستاذ جاك بيرك :

إخواني العرب . لعله سيكون من الإسراف في الجرأة أن ارتجل بالعربية[1] أوشبه العربية مجيباً أدباء كباراً . إن قدومي الى هنا لم يك فقط واجب الوفاء نحو أصدقائي العرب ، بل كذلك واجب الدفاع عن حقوق الإنسان التاريخية العالمية ، لأنه لابد لنا حين نفهم العالم كمفكرين أن نميز بين ظالم ومظلوم بين ماهو تاريخي وما هو لاتاريخي .

المفكر أو المثقف هو ، في رأيي ، من يفتش ويبحث ، يبحث عن نفسه وعما حوله ، هو المتردد المتحير ، المتحرر الملتزم بالقيم الثابتة ، كما قيل ، لابالقيم العرضية .

لقد وقع في الخامس من حزيران شيء كنا نظنه عبثاً مستحيلاً ، فقد انحاز الكثيرون من مفكري العالم ، خاصة في بلدي فرنسا ، الى اسرائيل ، فنتج عن ذلك خلط شنيع في الفكر والعمل ، إذ كيف ينحاز مفكرون دافعوا عن حقوق المستعمَرين في الجزائر زمن حربهـــا التحريرية ، إلى جانب الدعاية الصهيونية في القضية الفلسطينية ، وكيف غرت هذه الدعاية الشعب الفرنسي ؟ هذه هي المشكلة الكبرى التي لابد أن نجد حلاً لها . لماذا يجهل العالم حقوق صاحب الأرض العريق ، مع أن الأقطار العربية مليئة بالأدباء والمثقفين والمفكرين والشعراء ، وبدلاً من ذلك سمع صوتاً آخر ؟ أظن أن هذه المشكلة تكون

(١) ألقى الاستاذ بيرك هذه الكلمة باللغة العربية .

الموضوع الأخطر في هذه المناقشة . إنني آمل ايضاً أن يصل المفكرون العرب الى تحليل للوضع الحقيقي لمشكلة من هو المفكر . أنا شخصياً أعتقد أنه ذلك الذي يجمع بين الأصالة والعالمية ، الأصالة بمعنى أنه يجب على المفكر أن ينتمي الى جذور و كيان مجتمعه ، حتى يستحق هذه التسمية ، والعالمية هي الرسالة التي يريد ايصالها الى أقصى الأبعاد ، انني آمل أن تجدوا لغة تفهمها جميع الأمم في سبيل إبراز حقكم في فلسطين والدفاع عنه .

محمد الجندي :

ان موقف المثقفين العرب من القضية الفلسطينية يتطلب سؤالاً أساسياً . هل موقف المثقفين موحد بالنسبة للقضية الفلسطينية أم هناك اختلاف ، واذا كان هناك اختلاف فما هي عوامله ؟

المثقفون في كل بلاد العالم لايؤلفون مجموعة متجانسة ، لا أقصد من حيث الرأي ، وانما من حيث وضعهم الاجتماعي .

هناك مثقفون في العالم يدافعون حتى الموت في معارك التحرير ، وهناك مثقفون يقفون أحياناً مع التحرر والشعوب ، وأحياناً مع استغلال الشعوب واستعمارها .

النظرة الموحدة الى المثقفين العرب بحاجة اذن الى اعادة نظر . هذه نقطة أساسية في الموضوع .

لقد تكلم الدكتور العجيلي عن واجبات المثقفين فقال : ان عليهم أن يعملوا كذا أو كذا ... الخ ، ولكن بعض المثقفين يقومون بعمل كل شيء من ذاتهم ، يقفون موقفاً معيناً سواء كان ذلك الموقف منسجماً مع الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين أو غير منسجم ، يقفون من ذاتهم يؤدون واجبهم . وهناك مثقفون يقفون موقفاً معادياً من القضية رغم معرفتهم وفهمهم لها . انهم لايتعظون ويصرون على مواقفهم الممالئة للامبريالية والاستعمار ، إن الواجبات الملقاة على المثقفين لايفرضها الوعي بقدر ماتفرضها العوامل الاجتماعية ، الوضع الاجتماعي للمثقف .

المثقفون في البلدان المتخلفة يمثلون طبقة اجتماعية مرفهة اكثر من بقية طبقات الشعب التي لاتتاح لها الثقافة . وحتى يستطيع المرء ان يكون مثقفاً في بلد متخلف يجب ان يملك مالاً وأحياناً يجب ان يكون أهله ممالئين للسلطة التي هي، في حالة الاستقلال السياسي والاستعمار الحديث ، المستعمر من وراء الستار . ولهذا فان المثقفين في البلدان المتخلفة غالباً يميلون الى اليمين اكثر مما يميلون الى اليسار .

هذا الحكم ليس المقصود به التجني وانما هو واقع موجود . وليس معنى ذلك ان كل مثقف يجب ان يكون يمينياً حتماً . يمكن للمثقف ان يتحرى وان يعي ويقف مواقف غير يمينيـــة ، يمكن ان يقف مواقف الكفاح والنضال في سبيل القضية ، ولكن الطابع العام هو ان المثقفين عادة في البلدان المتخلفة هم المرفهون نسبياً .

عـــدا ذلك فان المثقفين في البلدان المتخلفة يتلقون الايديولوجية الغربية الاستعمارية ، وهي ثقافة محدودة تسمح للمثقف ان يكون موظفاً فقط .

من خلال هذه العوامل والظروف يتحمل مثقفو البلدان المتخلفة والوطن العربي أعباء ضخمة هي اعباء تحررهم من الظروف التي خضعوا لها في الفترات المتعاقبة . ان على المثقف في الوطن العربي ان يعين موقعه تمهيداً للانطلاق في اتجاه معين يخدم فيه امته او يخدم المخططات الذكية التي تحاك لاستعمار العالم الثالث .

من هذا التلخيص لوضع المثقف العربي يمكننا ان نقول : ان فكرة التحرر كانت زمن وعد بلفور نواة لم تكن قد خرجت الى النور بعد ، ولم يميز المثقفون كذلك بين نوعين من الاحتلال هما الاحتلال الصهيوني واحتلال فرنسا لسورية مثلاً :

الاحتلال الاستعماري هدفه استغلال ونهب ثروات البلدان المستعمرة . ولكن الاحتلال الصهيوني هو نوع من الاستيطان الأوروبي للقارة الأميركية الذي هدفه طرد وقتل السكان الأصليين .

في الخمسين سنة الأخيرة تطور الفكر العربي وتطورت الثقافة العربية تطوراً واسعاً نسبياً وإن كان ضيقاً بالنسبة للتطور العالمي ، فهو لم يستطع بعد التحرر من كل الأثقال التي تشده الى الثقافة الغربية سواء كانت اثقالاً فكرية أم سياسية .

بالنسبة للالتزام يمكن القول أن هناك التزاماً سلبياً والتزاماً إيجابياً . أما الالتزام الفردي الذي ينعت بالأخلاقي فهو لا يعني سوى موقف غامض من الوجود والمجتمع ، ومن الحوادث التي تقع في العالم . هذا النوع من الالتزام يقع في خطأ أساسي يكمن في افتراضه الفرد جزيئة حرة معزولة يمكنها ان تلتزم بمشاعر وتفعل ماتشاء . والحال ان الانسان مقيد بمجموعة من العلاقات لا يمكن للالتزام الا ان يضعها في حسابه ، ولهــذا فليس هناك سوى الالتزام الجماعي الذي يعني حمل المسؤولية الجماعية من أجل قضية .

رئيس الجلسة :

أود ان اقترب مرة اخرى من الموضوع لأعود الى ما كان عليه موقف المثقفين العرب طوال خمسين عاماً وسأورد مثالاً صغيراً على ذلك .

انتم تعلمون ان المثقفين العرب لم يكتبوا في القضية الفلسطينية وفي الصهيونية كتابات جدية عميقة الا منذ سنوات قليلة . البحوث والدراسات الحقيقية الصحيحة التي جرت حول القضية الفلسطينية ربما كانت نادرة جداً وقليلة جداً . والمهمة ليست ذات شق واحـــد . انها لاتتعلق فقط بما ينبغي ان تكون عليه بحوث المثقفين العرب في القضية الفلسطينية بل ان لهـــا ايضاً ارتكاسات من نوعين .

١ – ارتكاساتها على صعيد التوعية القومية ، أي السؤال عما اذا كانت هناك مستويات في النضج القومي العربي .

٢ – ارتكاسات خارج الحدود القومية ، وهي تلك التي تتعلق بصلاتنا بالعالم الخارجي .

الدكتور محمد أنيس :

لدي ملاحظات عابرة اريد ان اقولها تعليقاً على كلمة الدكتور العجيلي حول ماسمي بالالتزام السياسي .

١ – اشعر ان كلمة الدكتور العجيلي تحمل نوعاً من الاتهـــام ، فهو

يقول إن المثقفين كانوا تابعين لامتبوعين ، والحقيقة انني اقرر وبصدق أن المثقفين المصريين لم يتمتعوا بالحرية قدر تمتعهم بالحرية إبان عهد الثورة .

٢ — إن كلمة الدكتور العجيلي تطرح في الحقيقة موضوع من هو المثقف . المثقف ، في تقديري ، ليس هو بالضرورة المتعلم ، بل هو الانسان المدرك لمشكلات مجتمعه العربي وللمشكلات العالمية والمدرك لدوره في حل هذه المشكلات.

بهذا التعريف يمكن ان يكون المثقف من بين صفوف العمال والفلاحين وليس فقط من حملة الشهادات ، ولهذا فانني أحس أني موقف الدكتور العجيلي إزاء تعريفه للمثقفين موقف استعلائي يجب ان يكون مرفوضاً .

٣ — الدكتور العجيلي لايعتبر المثقفين العرب مساهمين في حركة الثورة العربية ، بل اوصياء عليها ، وهذا أمر مرفوض مرة اخرى . ليس هذا فقط ، بل ان المثقف لايستطيع ان يقوم بدوره في المجتمع بصورة حقيقية وجادة الا بالالتحام مع طبقات العمال والفلاحين . انني ادعي ان المثقف يستطيع ان يتعلم من العمال والفلاحين قدرما يستطيع ان يعلمهم .

إن المثقف العربي مطالب بالقيام بدوره في المجتمع كمساهم وليس كوصي على هذا المجتمع وعلى الثورة .

الدكتور نور الدين حاطوم :

الفكر القومي العربي فكر حديث متأثر بالثقافة الغربية ، والمفهوم القومي عندنا ايضاً متأثر الى حد بعيد بالتفكير القومي الغربي . ولو أخذنا تاريخ العرب بين ١٩١٧ و ١٩٦٧ لوجدنا أنه لم يكن هناك انتاج صحيح بالمعنى الفكري، وهذا نتيجة لأوضاعنا العامة . فالمثقفون لم يكونوا كثرة في الوطن العربي ولم يكن المفهوم القومي واضحاً في اذهانهم جميعاً في أي بلد من البلدان العربية . لذلك قد يكون نوعاً من التجني على من كتبوا في القضايا الوطنية مثلا قبل عشرين عاماً ان نطلب منهم ان يكونوا قد كتبوا بالوضوح الذي نكتب نحن به . فضلا عن ذلك فقد عاش العرب فترة طويلة منعزلين عن بعضهم بعضاً مما أدى الى خلق نزعة وعواطف اقليمية . فاذا لم يفكر العرب تفكيراً جدياً بالقضية الفلسطينية، فذلك لايعني انهم لم يفكروا مطلقاً بها . ان الظروف جعلت التأليف والانتاج الادبي في حقل القضية الفلسطينية قليلاً وغير مستوف لجميع الشروط . ولكن هذا الانتاج أخذ يختمر وينضج شيئاً فشيئاً والنظرة الايجابية واضحة فيه ، خاصة بعد استقلال الاقطار العربية وسيطرة الشعور العربي العام، ولأن القضية الفلسطينية أصبحت ركناً أساسياً في حياة العرب ، لأنها تهدد الوطن العربي والتفكير القومي . وقد أظهرت الاحداث بعد الخامس من حزيران أن القضية ليست قضية فلسطين فحسب ، بل هي قضية سوريا وفلسطين والاردن . كل بلد عربي أصبح فلسطين .

فيما يتعلق بالكتب والمؤلفات أعتقد انه ليس من الضروري ان يكون هناك التزام . فكل انسان يريد أن يخدم القضية العربية من ناحية ما، وأعتقد أن مؤلفاً من المؤلفين يشرح القضية الفلسطينية شرحاً وافياً ويشرحها تشريحاً واسعاً ضافياً ويستخلص جميع النتائج التي تترتب على ذلك ، يستطيع أن يقوم بعمل إنشائي بنّـــاء في الحقل الوطني ، وليس من الضروري ان يتأثر المفكر العربي بسياسيين او غيرهم .

الدكتور عادل العوا

لقد ادليت من قبل بتعليق أكاديمي حول الالتزام وطبيعته ، وقد نظرت الى القضية الفلسطينية من ناحية تربوية . اما الشيء الذي احب أن اتحدث عنه الآن فهو خلافنا حول المثقف وتعريفه . والاصل ان نختلف لأن الثقافة هي ان نختلف حول تعريف ذاتها . ولكن من الناحية العملية نجد انفسنا أمام قضية مشخصة هي قضية فلسطين بالذات . واحسب أنه يمكننا تعريف الثقافة بأنها تعبير بالسلوك عن فكرة في الرأس . ان الانسان المسؤول تحدد مسؤوليته بوعيه . والوعي هو فكرة سواء انطلقت من مستوى العمال او الفلاحين او من مستوى الكتاب . فالكتاب أيضاً تجربة للأجيال ، تجربة واقعية حين يكون الكتاب مثمراً . اقصد من هذا أن الثقافة تعبير عملي عن فكرة . ونحن هنا نريد أن نقوّم، أن نعطي احكام قيمة على ما فعله المثقفون العرب منذ وعد بلفور الى الآن .

من هم المثقفون العرب ؟ هم أناس يعملون ويفهمون . قد يطابق عملهم تفكيرهم وقد لا يطابق .

عندما نتحدث عن المثقفين بشكل عام ، فنحن لانحلل مثقفاً بالذات ، وإنما نحلل المثقفين العرب ، فليكن حكمنا إجمالياً ، أي حكم قانون اجمالي على حركة هي حركة الثقافة العربية في هذه الفترة من الزمن . إن البلاد العربية هي مجتمع انساني له قوانينه ، وهذه القوانين لها بعض الصفات التاريخية وتمتاز بحتميتها .

وفي ضوء هذه القوانين يسلك الناس بتفكيرهم ويستقون مشاغلهم الفكرية وقيمهم من مجتمعهم في عصره المعين . ولهذا ، كانت هناك قبل ١٩١٧ ، أي قبل وعد بلفور جذور غافية للقضية الفلسطينية .

علينا أن ننطلق من فكرة « ان الحرب تولد في الدماغ قبل أن تتجلى في اليد » . نحن في صراع ، في قتال ، في حرب من اجل قضية معينة ، فاذا لم نقتنع بها كقيمة لا ينفعنا الزام مفروض حتى ولو سميناه التزاماً . بهذا المعنى أظن أننا نستطيع ان نقول ، عوضاً عن أن نجرح المثقفين العرب ، إن المثقف الفلاني ظروفه وللمثقف الآخر ظروفه ايضاً . ان التجريح او المدح ليس موجهاً لأفراد، بل لحركة عامة. وانا اعتقد بأن الثقافة العربية لم تقصر ، وانما وجدت في ظروف قاهرة . والدليل على انها حية ، اننا لانزال نفكر ونريد أن نبعثهـا على اساس ما اسماه الاستاذ بيرك الأصالة والعالمية ،واسميه أنا القومية والانسانية ، فاما أن نطرح قضيتنا على المستوى القومي ، وعندئذ ينبغي علينا ان نفكر بتمايز القومية العربية عن سواها، او ان نطرحها على مستوى طبقي ، وعندئذ ينبغي أن نعرف عدونا حتى نحدد تمايزنا عنه ، والا اندمجنا به ولم يتبين لنا كمثقفين ماهو واجبنـا حياله . والقومية العربية بوجه عام قومية مصارعة حية وهي انسانية ايضاً ، ولهذا ينبغي ان لاتغلف الدعوات الانسانية الاخلاقية المجردة واجبنا في الصراع للدفاع عن شخصيتنا القومية .

هيثم كيلاني :

ان عدوان حزيران قد كشف لنا عن واقع رهيب وخاصة في العالم الخارجي . فجأة وجدنا انفسنا امام اقل عدد من الأصدقاء واكبر عدد من الأعداء . . وجدنا صوتنا غير مسموع وصوت اعدائنا يكاد يكون وحده هو المسموع .

صدف لي ان ذهبت بعد حزيران الى امريكا اللاتينية ، حيث لنا جاليات واسعة ، لها امكانيات سياسية واقتصادية كبيرة . ولكن بالرغم مما فعلته هذه الجاليات لم تكن النتيجة احسن مما كانت عليه سابقاً ، فقد وقف الفكر الصهيوني والفكر العالمي الذي يدعمه ضد موقفنا ورأينا وحقنا ولم يكن هناك صوت مسموع الا صوت الفكر الصهيوني . نفس الشيء حدث في اوروبا .

لقد عرت الحرب الاخيرة الفكر العربي وجعلته واضحاً بهيكله العظمي واظهرت هزاله وبخاصة في العالم الخارجي . لقد اسهم الفكر العربي طيلة عشرين عاماً بتصوير اسرائيل على انها كيان هزيل ضعيف وان القومية الصهيونية ملغاة وان اسرائيل لاتحتمل هزة صغيرة حتى تنتهي من وجودها . وخلال ستة ايام من الحرب اصبح هذا الكيان الهزيل ظلاً اسود يسيطر على وطننا العربي ولانعرف كيف نتخلص من آثاره الخبيثة التي انتشرت فوق بعض اراضي اقطارنا العربية .

لقد اسهم الفكر العربي في تصوير هزال اسرائيل ، وهذه اول نقطة تسجل على قصور الفكر العربي وضموره تجاه قضية فلسطين .

النقطة الثانية نستطيع ان نتبين منها ماهي قيمة الفكر العربي والانتاج العربي اذا ما قارناه بالفكر الصهيوني والفكر الذي يدعمه في الخارج . لاشك

ان الجواب على هذه النقطة يكمن في ان الفكر الصهيوني الذي بدأ منذ عشرات السنين يعمل ضمن مخطط واضح علمي مركز في جميع المجالات قد استطاع ان يقنع الرأي العام العالمي، او جزءاً منه على الأقل ،بأن مايرسمه المخطط الصهيوني انما هو حق للصهيونية . ونحن لم نستطع ان نقابل هـذا الفكر بفكر آخر يدحض ادعاءاته . هذه هي الصورة التي ادت بنا اليها الحرب الاخيرة أو بالأخص ما بعد الحرب الأخيرة .

اذا أتينا الى الانتاج العربي عن قضية فلسطين وعددنا الكتب التي صدرت منذ وعد بلفور حتى هذا اليوم في قضية فلسطين ، أو بالأصح في العشرين عاماً الأخيرة منذ النكبة الأولى عام ١٩٤٨ حتى اليوم ، نجد أن الكتب والانتاج الفكري الذي ظهر خلال هذه الأعوام يكاد يكون هزيلاً وضعيفاً أيضاً . فالدراسات العلمية المجردة الموضوعية التي طرحت أمام القارىء العربي تكاد تكون معدودة الى جانب غزارة كبيرة في الدعاية التافهة في هذه القضية . إذا قارنا ذلك بالفكر الصهيوني نجد أن آلافاً من الكتب تنشر في جميع لغات العالم لتوضح الادعاءات الصهيونية وحق اسرائيل وحق وجودها وحق اليهود في البقاء في فلسطين .

في كل بلد زرته كنت أفتش في المكتبات عن الكتب المعروضة عن قضية فلسطين من الطرفين العربي والاسرائيلي ، وانني لأذكر أن عشرات الكتب كانت معروضة في الواجهات ، وليس بينها كتاب عربي بإحدى اللغات الأجنبية يعرض وجهة نظرنا هناك .

أستطيع أن أركز على الناحية العسكرية من حيث الإنتاج الفكري. أقصد الناحية العسكرية غير السرية . في اللغة العربية لايعدو كل مانشر في هذا

المجال كتيبات قليلة ضحلة سطحية معظم المعلومات الواردة فيها لاتصور الجانب لكامل من الحقيقة . هذا الجانب غزته إسرائيل في الخارج غزواً كبيراً ونشرت عشرات ومئات الكتب بجميع اللغات عن الجانب العسكري لقضية إسرائيل ولقضية فلسطين .

من الملاحظ أن مؤسسة جديدة ظهرت أخيراً في بيروت هي مركز الأبحاث للدراسات الفلسطينية . هذا المركز هو الوحيد في الوطن العربي اليوم الذي استطاع أن يقدم نحواً من أربعين أو خمسين كتاباً بدراسات موضوعية . إن هذا المركز الذي قدم هذه الدراسات كان من المفروض أن يقوم منذ خمسين عاماً أي منذ وعد بلفور .

في ختام كلمتي أريد أن أتساءل : **هل قصور الفكر العربي في عرض قضية فلسطين عرضاً مناسباً هو نتيجة لقناعتنا بأن قضيتنا عادلة واضحة لاريب فيها ، أم يعود هذا القصور الى عقم الفكر العربي نفسه ؟**

احسان حصني :

ان بعض الآراء لم تقم الوزن الكافي للظروف التاريخية والسياسية التي مرت بها القضية الفلسطينية حتى وصلت الى ماهي عليه الآن . نعم ، لقد كان العرب منقطعين عن العالم منعزلين يشنون تحت نير الحكم التركي حقبة طويلة . وقد قال أحد المتكلمين إنه لم يكن يختلف عندهم أن يكونوا تحت الاحتلال الفرنسي أو تحت الاحتلال الصهيوني . وكلنا نذكر أن العرب في تلك الحقبة على قلة ماتوفر لهم من الثقافة والضوء كانوا حريصين على أن ينـالوا حريتهم وأن يتخلصوا من كل انواع الاستعمار . ودليلنا على ذلك دعوة الحسين الى تأسيس دولة عربية كبرى مستقلة استقلالاً تاماً ، لايحكمها أجنبي سواء كان فرنسياً أو انجليزياً . ولذلك فأنا لا أوافق الأخ الذي قال ان العرب كانوا ينظرون الى الاحتلال الفرنسي والاحتلال الصهيوني نظرة واحدة . والحقيقة أن العرب كانوا يرفضون الاحتلال منذ القديم بجميع أشكاله. اما القضية الفلسطينية وموقفهم منها، فالقضية الفلسطينية قد بدأت غامضة غير واضحة الجوانب ، وكان اليهود في كل العالم منقسمين الى طوائف ومذاهب من حيث تطلعهم الى الاضطهاد النازل بهم في بعض الأصقاع الاوروبية . ولم تكن فلسطين في تلك الآونة هي الهدف الوحيد لليهود ، بل نستطيع ان نقول ان هدفهم الاول كان ان يجدوا لهم موطناً أينما كان هذا الموطن . ولم يستقر الرأي على فلسطين إلا بعـد تطورات طويلة من الزمن . فاذا لم يول العرب في بادىء الأمر القضية الصهيونية من الاهتمام

ما اولوها فيا بعد ، فذلك مرده الى أن هذه القضية لم تكن تهددهم بشكل جدي كما تهددتهم فيا بعد .

اما الفكر العربي فقد أعطانا صورة قد تكون صحيحة ، ولكنني أراها ناقصة بعض الشيء . فلسنا بالحقيقة في صراعنا في مجال المقارنة بين الفكر العربي والفكر الصهيوني . واذا فعلنا ذلك ، فانما نسقط من حسابنا عنصراً اساسياً من العناصر التي أدت الى قيام اسرائيل ، وهو عنصر ارتباط هذه الدولة بالامبريالية العالمية . اذ ليس اليهود وحدهم هم الذين يعبئون الجهود للدفاع عن حق الصهيونيين في فلسطين ، ولكن وراءهم الاستعمار الذي يريد أن تبقى فلسطين في أيدي اليهود حتى تبقى موطىء قدم له وحتى تبقى مركز تهديد للبلدان العربية ، ومركز اعاقة لنهضتها وتطورها . ومن الطبيعي اننا اذا ما قارنا بين امكانيات الاستعمار وبين ما يمتلكه من قدرات ومثقفين ومتعلمين ووسائل لنشر الفكر ، سنجد البون شاسعاً بين انتشار افكارنا في العالم وبين انتشار الفكر الصهيوني وذيوعه . أنا لا أريد أن أقول ان الفكر العربي قد قام بواجبه كاملاً ، فنحن على ما اظن مجمعون على أننا مدعوون لبذل المزيد من الجهد ومدعوون للأخذ بالمزيد من الجهد ومدعوون للأخذ بالمزيد من الأساليب العقلانية والتعبير باللغة التي يفهمها العالم اجمع للدفاع عن قضيتنا في فلسطين .

أديب اللجمي :

لي تعقيب صغير على ملاحظـــة الاستاذ حصني القائلة ان الصهيونيين ليسوا وحدهم في المعركة وإنما وراءهم الامبريالية وأن قيام اسرائيل كان بدافع استعماري أمبريالي . هذا الموضوع وان يكن صحيحاً فهو لا يعفينا من المسؤولية. كان من واجب المثقفـــين العرب ايضاً ان يدركوا في الوقت المناسب ان ثمـــة وراء الصهيونية قوى اخرى . الفكر النيّر هو فكر قادر على التنبؤ ، قادر على ان يحيط بنور واضح الامور التي لا تظهر للرؤية المباشرة .

تعقيب آخر حول ملاحظة الدكتور الخوام حول نشوء او يقظة الشعور القومي العربي نتيجة للاحتكاك بالغرب . هـــذا الموضوع يحتاج في الواقع الى كثير من البحث ويتطلب مناقشة عميقة ، إذ ليس من المؤكد قطعاً ان الشعور القومي هو الذي نشأ نتيجة احتكاكنا بالغرب ، خاصة وأن هذا الاحتكاك لم يكن متكافئاً . وربـــا كان الأصح ان نتساءل ما اذا كانت احتكاكات الأمة العربية او العرب بالثقافة الغربية قد أعقبت نوعاً من المقاومة السلبية وربطت ايضاً في وقت من الاوقات في ضمير المثقف العربي بين الثقافة الغربية كثقافة وبين الاحتلال الغربي كاحتلال . وكان هناك رأي في ذهن الكثيرين من المثقفين يقول ان الخلاص من الاستعمار يعني ايضاً الخلاص من ثقافته. هذا ايضاً موضوع يحتاج الى بحث وتفكير .

محمد الجندي :

إن الإطار الذي توضع فيه بعض الأفكار ليس صحيحاً بالنسبة لقضية فلسطين بالذات ، إذ يمكننا ان نعتبر الفكر العربي هزيلاً ، ويمكننا ان ننسى ما يكتب وينشر باستمرار ، ولكن سواء كان الفكر العربي هزيلاً ، أو لم يكن ، فان المعركة مع اسرائيل ليست معركة فكرية ، بل معركة تحرر . لو كتبنا بلغات أجنبية وألفنا آلاف المجلدات وقمنا بتأليف عـــدد كبير من المسرحيات ، فان الدعوة الصهيونية سيبقى نطاقها اوسع من دعوتنا لأنها جزء من الاستعمار العالمي. إن للصراع مع الصهيونية مستويين ، صراعاً مع الأمبريالية العالمية ، وصراعاً في إطار معركة التحرر التي تخوضها شعوب العالم كله . أما معركتنا نحن مع الصهيونية فهي معركة قومية وطبقية ، قومية لان شعبنا يدافع عن وجوده . فالاحتلال الصهيوني هو اكثر من احتلال ، وهو طرد للوجود العربي . وشعبنا لابد له أن يدافع عن وجوده . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول أن المعركة قومية، ولكن الذي يدافع عن هذا الوجود هو الشعب بجماهيره الكادحة التي قاومت منذ خمسين سنة حتى الآن الاستعمار والامبريالية بعفويتها .

المعركة بيننا وبين الامبريالية ليست إذن معركة فكرية ، فالامبريالية تملك كل أجهزة الإعلام ذات الاهمية الكبرى في العـــالم ، وتملك الامكانات الفكرية ، وليس الكتاب الصهيونيون وحدهم هم الذين يكتبون ، بـــل هناك مثقفون آخرون يكتبون ، ونحن بلد نام، امكاناته محـــدودة ولايمكننا

أن نضاهي بثقافتنا وبدرجة التطور التي وصلنـا اليها الثقافة ودرجة التطور والتكنيك الـتي وصلت اليها الأمبريالية العالمية . لقد زار الاستاذ كيلاني أمريكا اللاتينية ووجد أن الدعاية الصهيونية متغلغلة فيها ، ولكنه فيما أعتقد زار كوبا ووجد أن الدعاية الصهيونية لاوجود لها هناك . السبب ليس وجود الدعاية العربية في كوبا ، وانما هو الموقف المناهض للأمبريالية في كوبا ، وكذلك هو حال الدول الاشتراكية . المعركة ضد الأمبريالية إذن مشتركة والقضية مترابطة من هذه الناحية ، أي من ناحية مستواها العالمي التقدمي .

هنالك بالطبع تقصير في موقف المثقفين العرب ، ولكن حتى لو لم يكن هناك تقصير ، فالجهد الذي يبذلونه سقف أو حدود لايمكن ان يتجاوزوها ، ولا يمكنهم أن يتغلبوا على الجدران التي تضعها الأمبريالية امامهم بالنسبة للرأي العام العالمي ، وان كان واجبهم أن يقوموا بالتخطيط للمعركة وتعبئة الجماهير .

احمد عباس صالح :

سأعود الى نقطة متصلة بالالتزام، وسأربطها بالمراحل السياسية التي اجتزناها. في الواقع إن ماحدث ــ النكسة ــ هو حلقة من سلسلة متصلة تحكمها الأمبريالية العالمية على الوطن العربي منذ أنفتح الاستعمار الأوروبي على الوطن العربي مبتدئاً بالحملة الفرنسية ، ثم الاحتلال البريطاني والفرنسي ، ثم اخيراً المحاولة التي تبذلها الامبريالية الأمريكية للسيطرة على الوطن العربي منذ نهاية الحرب الثانية حتى الآن . وقد نتج عن هذه المحاولات المستمرة ردود فعل متعددة انعكست آثارها على الثقافة والفكر العربيين بصورة مختلفة ، فالاستعمار لم يكن محصوراً في احتلال الأرض وموارد الثروة ، بل حاول بالطبع تطويع العقلية العربية للمفاهيم الغربية، وهو اتجاه لم يتخل عنه حتى الآن ، بل لعل الاستعمار الجديد اكثر ادراكاً لفعالية الثقافة في تحديد الاتجاهات الاجتماعية . وفي الحقيقة لم تكن الثقافة شيئاً منزهاً او مقدساً ، بل كانت سلاحاً من الأسلحة الاساسية التي يستعملها الاستعمار للسيطرة على الوطن العربي الى جانب مدافعه ودباباته واجهزته المادية والمعنوية ، واذا نحن لم ننظر الى الثقافة هذه النظرة ، فاننا في الواقع نقع في خدعة ضخمة ، فكما أن الثقافة سلاح في يد القوى الاستعمارية ، فانها من باب أولى ينبغي أن تكون سلاحاً في يد القوى الثورية التي تناضل من اجل حق تقرير المصير، ولكننا للأسف شهـــدنا ألواناً من خضوع المثقفين للاحتلال الفكري كان احياناً واضحاً ومباشراً مثل تعاون البعض مع اجهزة الدعاية الامريكية ،وكان احياناً اخرى غير مباشر مثل احتضان بعض المثقفين للافكار التي طرحها الاستعمار وترويجها

إيماناً بأن الشكل الغربي للحياة الاجتماعية هو الشكل الأمثل . ولاشك في أن الأوضاع الطبقية لها التأثير الاكبر في تشكيل الأفكار والمبادىء ، وهو امر يدركه الاستعمار ادراكاً جيداً واستفاد منه استفادة اساسية في شد قبضته على الوطن العربي ، ولكن من ناحية اخرى فان المشاكل الاجتماعية كانت تفرض نفسها على المجتمع العربي، وتخلق المتصدين لها والعاملين على تقديم الحلول لها مدفوعين الى ذلك إما بانتماءاتهم الطبقية وإما بسبب بعض ما يتمتع به الانسان الحر من حب للعدل والحرية والتآخي بين الناس . وفي الصراع بين الوطن العربي والاستعمار كانت اسرائيل وسيلة من الوسائل العديدة التي استعملها الاستعمار للسيطرة على المنطقة ، وقد استفادت الحركة الصهيونية من الظروف التاريخية والتناقضات القائمة لكي يتحقق لها الوجود تحت مساومات وحجج مختلفة . وهي الآن تحقق انتصارها الأخير باعتبارها قاعدة للعدوان الامبريالي وبؤرة لاستقطاب التحولات الاجتماعية الهامة التي كان الوطن العربي مرشحاً لها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، والتجاءها فعلا عقب الحرب العالمية الثانية ، حتى تحققت بعض صورها في عدد من البلدان العربية .

والمثقف العربي الملتزم مطالب بالتزام أساسي ، وهو خوض غمار المعركة ضد الأمبريالية والصهيونية لأجل قيام مجتمع عصري ، لا يمكن إن يقوم في ظروف مجتمعنا إلا بالاشتراكية .

وفي اعتقادي أنه من هذا المنطلق ينبغي أن نعيد النظر في موقفنا كمثقفين وإلا فكيف يستطيع المثقف الحق ان يواجه نفسه ومسؤولياته .

إن الهزيمة التي عانيناها ترجع الى تخبط الفكر العربي بين العديد من الاتجاهات في وقت إنطلقت فيه الأمة العربية الى ميلاد جديد لحضارة جديدة . وليس المثقف اي عذر في اعتزال المعركة ، وعليه ان يتوقع ما يتوقعه المناضل الحر حين يواجه قوة غاشمة ذات سيطرة واسعة ومسلحة بخبرات عديدة وأساليب مختلفة تخشى اكثر ما تخشى الفكر العلمي التقدمي الموعود ببعث هذه الأمة .

الدكتور يوسف شقرا :

نعود الى الموضوع الأساسي الذي طرح في بداية هذه الجلسة . انني أرى أن ثمة نقاطاً رئيسية ينبغي ان نركز عليها لكي نخرج بنتيجة عملية :

١ – استطعت ان اكون فكرة أن جميع المجتمعين تقريباً مجمعون على ان الفكر العربي مقصر في هذه المرحلة الخطيرة التي نمر بهـا والتي تمر بها امتنا العربية وتتعرض فيها وجودنا للخطر الماحق . ولا أرى انه من المفيد الدخول في تفصيلات وفي تشعب الموضوع . لنسأل من هو المقصر ما دام التقصير حاصلاً ، وأياً كان المذهب السياسي او الفكري الذي ينتمي اليه الكاتب فنحن امام حقيقة واقعة امام خطر وقع بنا ، امام هزيمة حلت بنا .

لقد تحدث بعض الاخوان عن ان تقصير الفكر العربي إزاء قضيـة فلسطين كان منذ خمسين عاماً ولا يزال ملحوظاً وملموساً . واذا كانت هناك في الآونة الاخيرة محاولات جدية وقامت بعض الدراسات الموضوعية ، فان هذا يوحي بالتفاؤل ، لاننا دخلنا الطريق العملي الموصل الى الحقيقة لنا وللآخرين . نحن في هذه المرحلة الجديدة يجب ان ننطلق انطلاقة جديدة ايضاً . في اي وقت مضى كان يجوز الحديث حول الالتزام او عدمه . اما الآن فاننا امام قضية مصيرية تمس وجودنا نفسه . والسؤال هو هل سنحيا أم لا ؟ ولذلك فان موضوع الالتزام اصبح موضوعاً لا مجال للنقاش فيه امام قضية حياتية وقضية مصير .

٢ – اننا نستطيع ان نفعل شيئاً بالفكر دون اهمال جوانب اخرى في

الرأي العالمي . لا يجب ان نعتبر ان الصهيونية مسيطرة سيطرة مطلقة على الرأي العام العالمي، ولا أورد هذا الرأي من قبيل التمني او الاحلام ولكن الاستاذ بيرك اخبرني اليوم أن الرأي العام الفرنسي نفسه بدأ يتحول . ان علينا أن لا نهمل الجانب الفكري واننا سنتوصل الى جعل آرائنا مسموعة ، وقد بدأ كل منا يشعر بعمق المسؤولية وخطورتها ، ونأمل أن يتجلى ذلك في سلوك جديد وكتابات جديدة واسلوب جديد في الموضوعات التي تهمنا وتهم حياتنا ومصير أطفالنا .

الدكتور نور الدين حاطوم :

هنالك فكرة أود شرحها ، وهي : هل اسرائيل هي حصان للامبريالية العالمية أم هي تعمل لنفسها ؟ إذا رجعنا الى المؤتمرات الأولى التي عقدها الصهاينة رأينا أن هرتزل في احد هذه المؤتمرات يقول : « **يجب أن نصبح دولة تعترف بنا الدول** بصورة رسمية » . وهذا يثبت أن الصهاينة كانوا يعملون لأنفسهم منذ ان تشخصت الفكرة الصهيونية في اول وجودها، وأن هـذه الفكرة مستمرة وسائرة باستمرار . أما الأمبريالية العالمية فقد ارتبطت مصلحتها مع مصلحة الصهاينة . ولكن يجب أن نعرف قبل كل شيء أن الصهاينة يعملون لأنفسهم منذ ان بدأت الفكرة الصهيونية . ولهذا فان واجب المثقف الواعي لقوميته ولمقدرات وطنه ومصيره ان يسعى جاهداً بثاقب فكره لايجاد الحلول الممكنة العاجل منها والآجل في سبيل رد ودحض الدعاية الصهيونية والوصول الى الغاية العربية وهي ارجاع الأرض العربية في فلسطين والأراضي المحتلة .

الدكتور بديع الكسم :

لن أتحدث عن علاقة الفكر العربي بالفكر الغربي ، ولن أتحدث عن تطلعات الفكر العربي ، بل سأتحدث عما قدمه الفكر العربي في موضوع القضية الفلسطينية .

لا شك ان التفكير ، بالتعريف ، هو جهد لحل مشكلة . فهو إذن متجه الى المستقبل ، وإذا كنا نعود الى الماضي فلكي ندرك النقائص والفجوات في التفكير القومي العربي الماضي حتى نتدارك هذه النقائص والفجوات في المستقبل.

لا شك ان القضية الفلسطينية ليست قضية ثقافية ، بل هي قضية حياة او موت بالنسبة للوجود العربي . اذن ، ما هو دور الثقافة في هذه القضية ؟ لماذا طرحت مشكلة المثقفين والقضية الفلسطينية ؟

أعتقد ان الشعور بالنكبة التي حلت بالعرب كان فطريا لدى جماهير العرب في كل مكان . فكما ان المريض يحس بالمرض ، كذلك أحس العرب بهذا الوباء . ولا اعتقد ان الدراسات القليلة كانت مسؤولة عن عدم وعيهم للخطر الذي يتهددهم .لذلك اريد ان اميز بين الغايات والوسائل ، فأقول ان غاية المجتمع العربي ان ينهض من كبوته ويتحرر ويرتقي ، وهذا شعور طبيعي ويكاد يكون عفوياً عند جماهير الشعب العربي . بقي ان يعين الفكر الوسائل التي توصله الى هذا الهدف ، لذلك نستطيع ان نتساءل هل قصر الفكر العربي في تعيين الوسائل

التي يمكن ان توصل الشعب العربي الى هدفه ، لأن تعين الوسائل هو عملية تحتاج الى دراسة اجتماعية وتاريخية وتحتاج الى معرفة الطرق المؤدية والطرق المقفلة ، وهذا ما لا يستطيعه الإنسان العادي ، لأنه يعرف ماذا يريد ولكنه لا يعرف كيف يحقق ذلك . لذلك أعتقد أن مسؤولية الفكر العربي محصورة في دراسة الوسائل الناجعة، الوسائل العلمية التي يمكن أن تصل بنا الى تحقيق الهدف .

أستطيع القول ان الفكر العربي استطاع ان يوضح غاية العرب في التحرر والارتقاء ، كما استطاع أن يشير الى الوسائل العامة . فمثلاً ، أكد أن القضاء على الاستعمار الاحتلالي لفلسطين والقضاء على كل استعمار يتطلب من العرب أن يتحدوا! فالوحدة العربية قدمت على أنها أداة ضرورية لحل المشاكل العربية ومنها المشكلة الفلسطينية ، وهذه خدمة قدمها الفكر العربي للجماهير العربية إذ جعلهم يدركون ان حل قضاياهم لا يتم إلا عن طريق اتحادهم . إلا أنه قد يكون قصر في تعيين السبل والوسائل الفرعية المؤدية الى هذه الوحدة ، وقد أشار الى بعضها ، ولكنه لم يتعمق العقبات التي تقف ضد تحقيق هذه الوحدة . وهنا بالذات قصر الفكر العربي ، ونستطيع ان نطالبه بالمزيد من التعمق لتحقيق هذه الأداة الأولية الضرورية للوصول الى الهدف البعيد . لقد استطاع الفكر العربي ايضاً ان يجعل الجماهير العربية تؤمن بأن حشد الطاقات الوطنية أمر ضروري للتغلب على الصعوبات التي تعترضه للوصول الى هدفه . فهو في نزوعه الاشتراكي الى العدالة الاجتماعية ، إنما كان يريد ان يجند فعلاً كل الطاقات ولا يترك بعضها مريضاً وهزيلاً أو على هامش الحياة المصارعة ، إلا أنه هنا ايضاً قد يكون مقصراً في شرح الوسائل العلمية التي يمكن أن تؤمن حشد هذه الطاقات . فهو إذن عندما نادى بالوحدة العربية — وإني أتكلم الآن عن الوحدة دون الإشارة الى أساسها القومي كضرورة حياتية،

وعندما أشار الى ضرورة تحرير جميع المواطنين من الفقر والتخلف عن طريق الاشتراكية فهو إذن قد وضع بذور الحل للوصول الى التغلب على الأخطار التي تهدد الوجود العربي .

ربما قصر الفكر العربي ايضاً في تمسكه بفكرة الحرية وهنـــا نعود الى المبادىء التي بدأت تشيع في الاقطار العربية المتحررة .

لذلك لاأريد أن أكون ظالماً للفكر العربي فأقول انه قصر،لأن وظيفته لم تكن مجرد شرح للقضية الفلسطينية ، بل التعمق لبحث الوسائل المؤدية للتغلب على جميع الصعوبات التي أشار الى اتجاهها العام. بقي عليه أن يزيد هذه الدراسات تعمقاً،وان يدرك المشكلة بكل تعقيداتها ويربي الناس تربية تستطيع معها ان تجابه هذه القضية . وواجبه الان أن يعمق بحث الوسائل الضرورية العامية الموصلة الى تحقيق الأهداف التي يشعر بها جميع المواطنين شعوراً تلقائياً وعفوياً .

الدكتور بشير العظمة :

إنني اعتقد بأنه لا وجود للخلافات المحلية في عالمنا الصغير ، وأن منطلقات الصراع العربي – الصهيوني التاريخية تبين التصاق الصهيونية الكامل مع الأمبريالية العالمية . ان الصهيونية حاولت ان ترشو الدولة العثمانية المستعمرة في المنطقة لتجد لها موطيء قدم في فلسطين ، فلما عجزت انقلبت على الدولة العثمانية والتصقت ببريطانيا المنتصرة وحصلت على وعد بلفور وبقيت كذلك حتى الحرب العالمية الثانية حيث وجدت أن بريطانيا أصبحت في المرتبة الثانية فانتقلت الى احضان الولايات المتحدة .

إن الصراع العربي الاسرائيلي هو اذن عبارة عن صراع عالمي ، وكل اتجاه لحصر هذا الخلاف بين العرب والصهاينة هو عبارة عن عملية ستؤدي في الواقع الى اشاعة اليأس في نفوس العرب وانهم يواجهون مجتمعاً متطوراً معنياً نفسياً وعسكرياً قادراً على القضاء عليهم .

اننا متفقون على أن الفكر العربي غائب ، وأن النكسة الإخيرة كشفت لنا على اننا في عزلة . واعتقد ان في الموضوع الكثير من المبالغة ، فنحن لسنا معزولين في العالم ، ولكن طبيعة ارتباطنا بالثقافة الغربية والفكر الغربي يجعلنا لانرى اصدقاء او اعداء لنا الا في العالم الغربي . ان مع العرب جماهير ربما تبلغ اكثر من نصف سكان الأرض ، وهم متحمسون جداً لقضيتنا ويعتبرونها معركة من المعارك الأساسية للصراع مع الامبريالية . أما اذا احببنا أن نحلل اسباب انعزال

الفكر العربي الذي لايسمع صوته في الغرب ، فاني اعتقد ان هناك اسباباً محلية واسباباً موضوعية عالمية . أما الاسباب المحلية فهي أننا لم نكوّن حتى الآن فكراً عربياً محدد بالتأكيد المعنى القومي ، وأعتقد أنه لاوجود في العصر الحاضر للمعنى القومي دون مضمون اجتماعي ، هذا المضمون الاجتماعي المختلف اختلافاً كبيراً بين الحكومات العربية وبين قطر عربي وآخر هو الذي يجعل الرأي العربي في الخارج متناقضاً احياناً ومختلفاً دائماً . فكل طرف يعرض الصراع العربي — الاسرائيلي من وجهة نظر تختلف جداً عن الآخرين .

أما بالنسبة للمثقفين، فانني لا أريد ان أعني بهم من يكتب وينشر فقط، بل اعتقد ان للعمال والفلاحين دوراً في الثقافة ، اذ انهم هم الذين يفرضون علينا الاتجاهات السياسية وما عداها ، ونظرة بسيطة الى موقف الشعوب العربية في النكسة الاخيرة تؤكد ان الشعب العربي فرض على حكامه ، الذين لايشاركونه الرأي ، اتجاه المعركة .

اعتقد أن هذه القوى الداخلية هي التي ستفرض الحق العربي اكثر مما تفرضه نشرات وكتب لا أعتقد اننا سنصل عن طريقها الى الفكر الغربي المسمم والمرتبط ارتباطاً عضوياً مع اسرائيل .

لقد شاركت الصهيونية في حركات التحرر في أمريكا وقاومت النازية مع الشعوب الاوروبية، وهي تعرف كيف تخاطب مراكز القوة في العالم الغربي وتستند الى قوى مالية جبارة . ان وصولنا الى الفكر الغربي يحتاج الى زمن طويل وليس القصور نتيجة لقصور الفكر العربي عن النشر ، فليست لدينا الوسائل ولا الامكانات لمخاطبة الرأي العام الغربي .

الدكتور محمد أنيس :

هناك نقطتان تعقيباً على كلام الدكتور حاطوم .

١ـ ان التناقض بين الامبريالية العالمية والصهيونية تناقض ثانوي يحسم دائماً لصالح الأمبريالية .

٢ ـ القول بأن الصهيونية هي التي تُسَيِّر سياسة الولايات المتحدة قول ساذج وغير صحيح ، اذ لا يعقل أن بضعة ملايين من اليهود في نيويورك يستطيعون أن يسيروا سياسة دولة أمبريالية كبرى مثل الولايات المتحدة . والحقيقة أن الأمبريالية الأميركية قد ورثت الحركة الصهيونية ضمن ماورثته من الاستعمار الانجليزي وهي التي تُسَيِّر الصهيونية لخدمة الامبريالية الاميركية .

الدكتور نور الدين حاطوم :

ان الصهاينة لم يألوا جهداً في الدفاع عن قضيتهم في شتى الأوساط وشتى السبل ، أما وقد ارتبطت الأمبريالية العالمية مع المصلحة الصهيونية ، فان من الممكن التصور أن الصهيونية قد تنفصل عن ارتباطها بالامبريالية العالميـــة اذا ما استطاعت السيطرة مثلاً على البلاد العربية ـ لاسمح الله ـ . القضية اذن هي قضية ارتباط مصالح ، ونحن أيضاً يجب أن نلتمس لأنفسنا الوسائل الكافية ، أن نربط المصالح الدولية مع مصالحنا للدفاع عن قضيتنا . يعني أن لانألو جهداً في التماس أي وسيلة تساعدنا في الوصول الى غاياتنا .

أديب اللجمي :

ختاماً لهذه الجلسة الأولى نستطيع تلخيص الموضوع على الشكل التالي :

كانت اكثر المناقشات منصبة حول عرض نقدي لموقف المثقفين العرب ولما أدوه في موضوع القضية الفلسطينية طوال خمسين سنة مضت .

الا أن جزءاً كبيراً من المناقشة تركز خاصة في البدء ، حول مفهوم المثقفين العرب ككتاب وباحثين وأهل قلم أدبي او فكري او روائي او شعري او ما شاكل ذلك . لقد كان من الأفضل ان تتركز المناقشة حول مفهوم المثقفين العرب كإطار توجيهي ، كقوة تحرك المجتمع العربي . بهذا المعنى لا ينفصل القائد العسكري ولا الوزير ولا الاداري ولا الاقتصادي ولا استاذ الجامعة عن مفهوم المثقف . فالمثقفون العرب طوال خمسين سنة انصرمت قصروا لا في شرح القضية الفلسطينية فقط ، بل كذلك فيما كونوه من أطر اجتماعية وسياسية ومفاهيم للدولة وللمواطن ايضاً ، وفيما فعلوه لخلق مؤسسات ثقافية واقتصادية وفكرية ، ولا يضير في شيء أن تكون ثمة ملابسات او ظروف اجتماعية او اقتصادية تتحكم في تكوين المثقفين العرب انفسهم ، ولكننا لا نستطيع ان نتجاهل أننا كنا ننشيء أنفسنا وأولادنا في المدارس تنشئة مشوهة من وجوه كثيرة . مثل هذا التكوين الاجتماعي – ان صح التعبير – تكوين بنياتنا ومؤسساتنا ، لم يكن في المستوى المطلوب او المنتظر او المرجو لإقامة مجتمع عربي يستطيع ، قوياً متماسكاً ، حديثاً ، متمسكاً بأصالته وهويته العربية ، أن يحول دون اغتصاب فلسطين أو أن يحول دون بلوغ الأمور الدرجة التي بلغتها .

اليوم الثاني

رئيس الجلسة : الاستاذ جاك بيرك

المشتركون في البحث والمناقشة
- الاستاذ مالك حداد
- الاستاذ هيثم كيلاني
- الدكتور عادل العوا
- الاستاذ سليمان الخش
- الدكتور عبد السلام العجيلي
- الاستاذ محمد الجندي
- الدكتور محمد أنيس
- الاستاذ برهان الدجاني
- الدكتور بديع العظم
- الاستاذ أحمد عباس صالح
- الاستاذ أديب اللجمي

رئيس الجلسة ـ الاستاذ بيرك

سننظر هذا اليوم الى موضوع مناقشاتنا حول قضية فلسطين من زاوية تختلف عن زاوية الأمس . لن نتحدث اليوم عن الجانب الداخلي ، القومي من القضية الفلسطينية وانعكاسه على المثقفين العرب ، بل سنبحث التجاوب بين العالم العربي والعالم الخارجي ، وينقسم موضوع اليوم الى الأقسام التالية :

١ً ـ هل تمكن المثقفون العرب من اكتساب الرأي العام الغربي لقضيتهم .

٢ً ـ هل تمكن المثقفون العرب من اقناع مثقفي العالم بوجهة نظرهم في موضوع فلسطين .

٣ً ـ عوامل تحفظ كثير من مثقفي العالم بشأن الحق العربي في فلسطين .

٤ً ـ شروط قيام الحوار بين المثقفين العرب ومثقفي العالم .

وقبل ان نعالج بالتفصيل الموضوع أرجوكم انتسمحوا لي ان ادلي ببعض الآراء التمهيدية حول هذه المواضيع .

المثقفون العرب والفكر التحليلي

لم يعد في عالمنا جزر منعزلة . انه عالم حاضر بجميع أجزائه ، في شعورنا أكثر مما كان في أي وقت مضى . من هنا جاءت الضرورة في أن تكون كل قضية مفهومة لا بذاتها وحسب ، بل ولدى الآخرين أيضاً . فينبغي طرح الفكرة بصيغة جديدة .

كنت أتمنى ان أسمع احداً يوم أمس يستعمل كلمة « تحليل » ، ولكن ذلك لم يحدث . إن مهمة المثقف قد عرضت في وجهها الأدبي والبديعي اكثر مما عرضت في وجهها التحليلي . وربما كنت انا من المسهمين في ذلك . ولكن القضية يجب أن تعتمد على تحليل يقوم بـه المثقفون . ان المثقف هو الشخص الذي يستجيب لحاجات وواقع الجماهير كما يستجيب بصورة اوسع لمطالب العالم الذي يعيش فيه . والمثقف يعطي هذا الواقع وهذه الحاجات مضموناً اكثر دلالة واكثر عمقاً عن طريق التحليل . وليست هناك قضية يمكن ان تستغني عن عمل المثقفين في هذا المجال . إن من يتحدث عن الظفر يتحدث عن التحليل . ونحن في عصر اصبح فيه حساب العمليات بصورة علمية من مقومات اركان الحرب ، كما اخذت فنون الاعلام التحليلية تحتاج العلوم الاجتماعية . فهل باستطاعتنا ان نتصور تقدماً يتحقق من دون تحليل ومن دون اتصال . من المؤكد ان ثمة في الاحداث المؤلمة التي عشناها مؤخراً بعض النواقص وبعض التخلف والتقصير . وقد أكون أكثر استعداداً وتأهباً من كثيرين منكم لكي أعرضها أمامكم ، لأنني أعيش في الخارج . لقد رأيت وتحققت من بعض الظاهرات . ولاشك في أنني لا أنكر مسؤوليات المحيط الذي أعيش فيه ، أعني الغرب . ثم انني لا افكر بالاقلال من شأن الامكانات الهائلة الخطرة التي وضعت تحت تصرف اسرائيل بفعل ارتباطاتها العالمية ، وبفعل تسربها الى جميع الأوساط في العالم . إلا اننا نستطيع من ناحية اخرى ان نقول : ان في فرنسا كثيرين من العرب ، فحول باريس وحدها يوجد بين ٣٠٠ — ٤٠٠ ألف من ابناء المغرب . ثم إن بين المثقفين العرب من يتقنون اللغة الفرنسية ويتمتعون بشهرة كبيرة . فكيف أمكن تقديم وجهة نظر فريق دون فريق آخر . انني لا أقلل من شأن الرصيد الكبير لدى الرأي العام الفرنسي الذي تمتع به قضية العرب وخاصة في الاوساط الماركسية . ومن ناحية أخرى ، من البديهي أن العالم الاشتراكي

بمجموعه قد اتجه صوب نصرة القضية العربية . واعتقد أن النظرة الواقعية تملي علينا القول : ان القضية العربية لم تفشل تماماً في الغرب الأوربي ، كما انها لم تنتصر تماماً في سائر أجـــزاء العالم . والدليل على ذلك ان أمريكا اللاتينية أثناء عرض القضية في الأمم المتحدة قد صوتت في الاتجاه الذي تعرفونه . هذا بالرغم من أن أمريكا اللاتينية قريبة منكم ، وهي أصلاً تعتبر نفسها من جملة البلاد النامية . فلماذا صوتت ضدكم ؟ ولماذا كتب لي أحد المثقفين المكسيكيين التقدميين يقول في شهر آب : « إنني مقتنع بحججك الا أنني لا أجرؤ على ابداء رأيي مثلك الى من هم حولي » .

الخطيئة على من تقع ؟ انها تقع جزئياً على الغرب الصناعي الذي لم ينس من بعض الوجوه مواقعه الامبريالية القديمة . ولقد حدثت مفارقات كثيرة منها أن بعض الاشخاص الذين كانوا ينادون بالجزائر الفرنسية وكانوا في الوقت نفسه مناهضين للسامية قد ساندوا إسرائيل مع ذلك . بل حدث اكثر من ذلك ، اذ أن وزير الشؤون اليهودية في حكومة فيشي أثناء الحرب ، وهو السيد « كزافيه فالات » ، والمشهور باضطهاده لليهود ، قد انضم مؤخراً الى فريق المنتصرين للصهيونية . معنى ذلك ان الامور لم تكن كلها على مايرام من جانبكم ، وان ثمة أخطاء حدثت عندكم . ولكن القضية أيهـــا الاصدقاء هي في أن نرى أين تقع الاخطاء والمسؤوليات . وأهم من ذلك كيف يمكن التغلب عليها ؟ هذا هو الأساس .

ان كسب قضية ما لا يكون باقناع الاصدقاء ، ولا بأن نقنع انفسنا ، انه يكون بحمل الخصوم على الاعتراف بقضيتنا . فهل تستطيعون أن تقولوا ما إذا كان قد بذل جهد كاف طوال العشرين سنة الماضية من قبل العالم العربي ، ومن قبل المثقفين العرب ، في سبيل اقناع الخصوم واللامبالين ؟ هل يمكن أن نؤكد ذلك ؟ تلك هي المسألة المطروحة .

لقد حدثت خلال الفترة التي أشرت اليها أمور غير معقولة ، منها : أن الحجج المؤيدة للقضية العربية لم تكن تصل الى الرأي العام الأوروبي . ويمكن أن نتهم بذلك اكثرية الصحف الاوروبية التي تميل بصورة اوتوماتيكية الى الجانب الصهيوني . ولكن هذه الحجج لم تكن لتصل حتى الى الأشخاص ذوي النوايا الحسنة ؛ الحجج الحقوقية المؤيدة للعرب ، كالقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ ، ربما لا يوجد احد من الفرنسيين المثقفين من يعرفها ، ويعرف أن الامم المتحدة قد صوتت في سنة ١٩٤٨ على قرار يطالب اسرائيل بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم . مثل هذه الحجج كان يمكن ان يكون لها مفعول كبير جداً في بلد كبلدي، يهتم بالحجج الحقوقية . فكيف آلت الأمور في قضية كهذه ، فأصبح المعتدى عليه يعتبر معتدياً ، كما أصبح السكان الذين كانوا يعيشون في فلسطين طوال قرون وقرون ، ينظر إليهم على انهم غازون ومخربون ؟ ان في هذا سراً يلفت الانتباه . واذا كانت الحجة العربية لم تستطع أن تصل الينا ، فقد يكون السبب في ذلك أنها لم تجد من يحسن المرافعة عنها .

لقد جرت مناظرات كثيرة اثناء فترة العدوان الاسرائيلي ، وقد اشتركتُ في بعضها كما تعلمون ؛ وكثيراً ما بحثت الاذاعة الفرنسية عن شخصيات عربية كي تأتي لتقدم الحجج العربية حول القضية . ويؤسفني أن اقول لكم ان الشخصيات العربية التي ارسلت الى باريس لم تكن في معظم الاحيان شخصيات مؤهلة لإقناع الاوساط التي اتحـــدث عنها : فقد جاء صحافيون عرب كبار ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون التحدث باللغة الفرنسية . فكيف نفسر كون العالم العربي ازاء الجهد المتواصل والمركز الذي يبذله أعداؤه ، لم يبعث آنذاك الى باريس والى جميع عواصم العالم ، بمثقفين تزخر بهم بلادكم ، وكان بامكانهم أن

يرافعوا بطلاقـــة عن القضية العربية باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية وسواها ؟ لماذا لم يحدث ذلك ، على الأقل في بلدي ؟

أنتقل الآن الى ناحية أخرى أكثر دواماً ، أعني المؤسسات : هل تعلمون أنه يكاد يكون من المستحيل ان نجد في فرنسا — في هذا المحيط الثقافي الذي يضم الآن حوالي ١٢ — ١٥ ألف طالب عربي — كتاباً باللغة العربية في المكتبات ؟ ان الحصول على المؤلفات العربية الحديثة يتطلب لمن يحتاج اليها جهوداً كبيرة . فمثلا أجدني مضطراً لأن اكتب بنفسي الى اصدقائي في مختلف العواصم العربية كي يبعثوا الي بهذا الكتاب او ذاك الذي سمعت عنه . ليس هناك دار كتب عامة ولا مكتبة متخصصة باستقدام مختارات من الكتب العربية الحديثة القادرة على اثارة اهتمام وتأييد القارىء الاوروبي .

وماذا أقول أيضاً عن التراجم ؟ ان التراث العربي الادبي القديم كآثار التوحيدي وسواه من العباقرة العرب ، لم تظفر بأشخاص يترجمونها الى الفرنسية . بل ان كثيراً من المؤلفات العربية المعاصرة الرائعة التي لو كانت مكتوبة باللغة المجرية او الهولندية ، لكانت موجودة في مكتبات باريس، ولكانت بكل أسف معروفة من المثقفين الفرنسيين ، بل هي ليست معروفـــة من مثقفي العواصم العربية المختلفة . ذلك هو الواقع ، إذ ان الكتاب العربي لا ينتقل من بلد عربي الى بلد عربي آخر ، أو انه ينتقل بصعوبة كبيرة . ففي هذا المجال ايضاً يجب ان تبذل جهود كبيرة .

وفي نطاق الفيلم السينمائي ، أقول ان الجهود الضخمة التي تبذلها بعض البلاد العربية ، كالجمهورية العربية المتحدة ، في نطاق عرض أفلام سينمائية ، لم تؤد الى انتاج افلام تستثير اهتمام الجمهور العالمي ، كما هي الحـال الآن بالنسبة للأفلام اليابانية أو بعض الافلام الهندية .

تلك نماذج من التعقيد، اوجدت نوعاً من الفصام او نوعاً من انقطاع التفاهم بين هذا الشاطىء والشاطىء الشمالي من البحر الابيض المتوسط. ومثل هذا كان يمكن قبوله لو أن الثقافة العربية المعاصرة كانت ثقافة عديمة القيمة خالية من الموهبة. ولكن المؤرخين امثالي يعرفون بأن جهوداً خارقة قد بذلت في المشرق العربي، منذ بدء النهضة العربية المعاصرة، وان هذه الجهود قد تكللت بالنجاح الى حد ما اكثر مما حدث في بلاد أخرى من العالم. فمثلا من المؤكد ان اللغة العربية قد تمكنت من التغلب على التحديات التي فرضها عليها الاسلوب الحديث، خلافاً للغة اليونانية. ان اليونانيين قد تخلوا اليوم عن استعمال لغتهم الكلاسيكية الأصلية في شؤون الحياة اليومية، كالصحافة، بينما العرب مازالوا يكتبون في جرائدهم باللغـــة العربية الفصحى المبسطة.

ان بين العرب كتاباً يتمتعون بمكانة عالمية، ومع ذلك فقد منحت جائزة نوبل مؤخراً الى كاتب اسرائيلي، لا أعرف أنا اسمه حتى الآن، لأنه يكتب بلغة غير قابلة للانتقال، وليست لها شهرة اللغة العربية. ربما قلتم ان ذلك نتيجة مناورات، وأنا معكم في ذلك. ولكن هل تستطيعون أن تقولوا لي ان آثار توفيق الحكيم اوطه حسين مثلا، أو آثار كتاب الجيـــل الجديد، والشعراء الحديثين والروائيين، تصل الى أوروبا الحريصة على معرفة الآداب الأجنبية؟ فمسارح باريس الآن مثلا لاتعرض أية مسرحية فرنسية، بـــل مسرحيات أجنبية. لماذا لم يقدّم في مسرح الأمم بباريس أي مهرجان فني عربي، مع أن هذا المسرح يخصص في كل سنة موسماً للمهرجانات الأجنبية؟ باستطاعتنا أن نعدد كثيراً من الوقائع من هذا النوع. واذا تعمقنا في تحليلنا لهذا الانقطاع الذي قام بين نموذجين ثقافيين كانا متفاهمين في السابق، وكانت بينها صلات متينة، قادنا ذلك الى مشكلة التعارض بين القديم والحديث، بين

الأصالة والعالمية ، وهو تعارض أعتقد أنه غير صحيح ، اذ أن أحدهما لايستغني عن الآخر . فالفرد أوالحضارة ، لايمكن أن يكون هو ذاته ، الا اذا استطاع أن ينتقل الى الآخرين ، وأن يؤثر فيهم . ان موضوع التعارض بين القديم والحديث ، هو طرح غير صحيح ، اذ لاحياة لأحدهما من دون الآخر . ان القديم الذي لايستطيع أن يتجدد يصبح خديعة ، كما أن الجدة التي تظل غير مفهومة من الآخرين تنتهي الى التيبس .

ولو اتبعنا أسلوب التحليل الدقيق ، الصارم ، والنزيه ، لكل هذه الأفكار والمشكلات ، فقد نصل الى الجذور ، والى سر التقصير الذي لاحظناه خلال الشهور المؤلمة الماضية .

قصدت بما قلته إثارة الموضوع للمناقشة أمامكم . ان حكمة التاريخ لاتنفصل عن الحقيقة . وبالنتيجة فان التحليل هو والعدالة شيء واحد ، وعلى التحليل والمحاكمة العقلية، أن تعجلا بانتصار العدالة والحقيقة .

مالك حداد :

أيها الأصدقاء

لقد عرفت دائماً دمشق في اللحظات الحرجة من حيـاة العالم العربي . بالأمس كانت حرب الجزائر تستأثر باهتمام جميع العرب، وجميع اصدقاءالعرب. واليوم يستأثر العدوان الاسرائيلي الأخير باهتمام جميع العرب ، وجميع اصدقاء العرب .

ليس ثمـة مأساة لايمكن التساؤل بشأنها وحولها . فالتاريخ يصنعه الرجال . ولهذا السبب ، نحن نلتقي هنا ونجتمع . وأول ما يجب ان نستخلصه هو فكرة عن الهزيمة العربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . إنني اقول « هزيمة عربية » لكي أضعها في إطارها ، لانها في الحقيقة هزيمة جميع **أولئك الذين يؤمنون بالحرية والسلام . انها هزيمة الحق ، واستهتار بالأخلاق العالمية ، إذان كل انتصار للامبريالية العالمية هو هزيمةالحق ، وتهديد خطير للأخلاق العالمية** . واسرائيل ليست شيئاً آخر اكثر من حصن لهذه الامبريالية ، وأداة تنفيذ لها .

علينا اولاً ان نستخلص درساً : لايكفي ابداً ان تكون القضية عادلة لكي تنتصر . ان الامبريالية التي سجلت مؤخراً انتصاراً فوق هذه الارض الحزينة ، قد دللت على قوتها الكبيرة ، فيجب اذن ان نواجهها بقوة أكبر . واذا استطاع هذا اللقاء في دمشق ان يعطينا فرصة القيام بتحليل دقيق ، فسيكون خاتمة للذعر

ولذهول اللذين يتوجب علينا ان نتخلص منها ، مهما يكن الامر ، اذ لايجوز بأية حال ان تكون لنا عقلية المهزومين .

ان كل العالم الملقب « بالمتخلف » ، هذا العالم الذي يريد ان يتحرر من تخلفه ، يصطدم اليوم بالامبريالية العالمية عن طريق اسرائيل ، لان الصهيونية هي التعبير الحي المباشر عن الامبريالية . ان اغتصاب فلسطين وعدوان الخامس من حزيران (يونيو) هما ظاهرتان استعماريتان نموذجيتان . ولكن انتصار الامبريالية ليس ، ولا يمكن ان يكون انتصاراً نهائياً لايقبل الانتكاس . فعلينا ان نحدد الطريق ، وان نؤمن الوسائل التي تفرض الحل العادل ، لان الحل العادل هو وحده المطابق لمبادىء الحق والانسانية .

ان هذه الندوة لن تكون قد أدت مهمتها اذا لم نتوصل الى مقترحات ملموسة تؤدي الى اعمال واضحة . اننا نجتمع هنا في دمشق ، بوصفنا مثقفين ذوي نوايا طيبة ، لأننا اخترنا الحقيقة والعدالة ، ولأن هاتين – الحقيقة والعدالة – تفرضان نفسيهما علينا ، ولان الامبريالية ذاتها غير مقبولة ابداً . اننا نجتمع هنا في دمشق ، كمثقفين ، نحاول ان نرى الى اي حد نستطيع ان نشارك في اعادة الحق المهان الى نصابه .

ان عدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، قد سبقته في العالم الغربي حملة خارقة من الدعاية ، والتأثير النفسي ، واعداد الرأي العام وتوجيهه ؛ ولقد تم تضليل الرأي العام الغربي بصورة شيطانية عن طريق الصحافة والاذاعة والكتب التي ظهر لنا اليوم أنها تحت تصرف الصهيونية ، تأتمر بأمرها ، وتتغذى من أموالها وتسير بموجب توجيهات قادتها .

لقد كنا نحن أول من استنكر واستهجن جرائم النازية ؛ ولم يكن العرب

هم الذين حوكموا في محكمة نورمبورغ ، ثم إن اليهود ليسوا وحدهم الذين تحملوا الشقاء ؛ اننا لا نفهم ، بل نخاف أن نفهم لماذا لم يستثر موت مليون ونصف المليون من أبناء الجزائر ، الرأي العام الغربي ، مثلما هو مستثار الآن . اننا لا نفهم بل نخاف أن نفهم ، لماذا ظهر بعض المثقفين الغربيين الذين كانوا يتمتعون بتقديرنا ، ويستحقون احترامنا ، متناقضين تناقضاً صارخاً مع معتقداتهم السياسية والفلسفية ، فأصبحوا مدافعين عن العدوان الاستعماري الموصوف . ان مايسمى « باليسار الغربي » كان الضحية الأولى لهذا العدوان الاستعماري . لقد مات هذا اليسار في اسرائيل ، وفقد رصيده الى الأبد .

ومهما يكن المثقف المسؤول عن عقيدته حسن النية ، فان ثمة أخطاء لا يجوز له أن يرتكبها ، ذلك بأن السلاح حين يتكلم فان الخطأ يصبح جريمة .

لم يسبق للعرب في تاريخهم أن اهينوا وشوهت سمعتهم مثلما حدث مؤخراً . ان هذا الرأي العام العالمي الموجه المتحمس ، قد نسي ، أو تناسى بأن اسرائيل هي المعتدية . لقد ظن وما زال يظن بأن اسرائيل كانت في حالة دفاع مشروع عن النفس . لقد أهمل هذا الرأي العام عن عمد مأساة فلسطين التي هي الضحية الأولى للصهيونية ، ثم مأساة القدس ، واحتلال اسرائيل لأراض عربية جديدة . انه لا يشك في اسرائيل وعـــدوانها ، مع ان اسرائيل قد نشأت بالأصل من العدوان ، ومن الامبريالية . فعلينا نحن المثقفين العرب وعلى أصدقائنا أيضاً ، أن نطلع العالم ، أن نخبر الناس الى أقصى حد ، وأن نشرح ، وان نفضح الزيف واسطورة « الشعب الصغير البطل » الذي انقذ نفسه من الأفران المحرقة والتواق الى العيش بسلام ، والمهدد بالخطر العربي .

علينا ان نكثر من هذه اللقاءات ، من امثال هذه الندوة ، وان نوسعها

اكثر فاكثر ، وان نزيد من تبادل الآراء ، وان نتجنب بصورة خاصة الانكفاء على ذواتنا ، والانطواء على احزاننا ومرارة مصابنا ، او على غضبنا .

ان علينا ، في ضوء مأساة الخامس من حزيران ، ان نعيد التفكير بكل العالم ، وبكل العالم العربي . واذا كان من المفيد ان نتوجه بطلب العون الى الراي العام الدولي ، فان من المؤكد بأن العرب انفسهم هم القادرون على وضع حد لهذا الوضع .

هيثم كيلاني :

تلاقت الآراء يوم امس ،على تلاحم الصهيونية والامبريالية تلاحماً لا انفصام فيه ، ومعاداتهما الحركة الثورية العربية الهادفة الى التحرر والوحدة واقامة المجتمع الاشتراكي . كما توضح ارتباط المثقف بمجتمعه ارتباطاً عضوياً ، وواجبـــه في الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار ، لانها ، في يقيننا ، يشكلان كياناً واحداً . وانطلاقاً من هذا الواقع التـــاريخي ، وجد الفكر الاشتراكي نفسه في الدول الاشتراكية وعنـــد الشعوب الصديقة ، يقف مع الفكر العربي في نضاله . أما الجانب الآخر من الرأي العام العالمي ، وهو الذي أرجح أن نركز عليه في ندوة اليوم ، فهو الفكر في اوروبا الغربية واميركا وبعض شعوب العالم الثالث ،حيث برز تأثير الفكر الصهيوني والامبريالي بروزاً واضحاً .

لقد لاحظ المتندون امس ، بعض القصور في الفكر العربي ازاء الواجبات المترتبة على المثقفين حيال طرح قضية فلسطين في النطاق القومي . واني لاستبق حصاد الحوار في هذه الأمسية ، اذ أقول ان هذا القصور هو اوضح وأقوى حين نعرض لمدى تمكن المثقفين العرب من اقناع مثقفي العالم بوجهة نظرهم في قضية فلسطين . ولقد سمعتم منذ دقائق من الاستاذ جاك بيرك ، وصفاً لغياب الحجة العربية في بلاد الغرب .

ان التخطيط الفكري الذي يجب أن يتخذه المثقف العربي حيال الفكر الغربي ، ينبع من الصورة التي يرسمها ذلك الفكر لقضية فلسطين . واذ يرسم

الفكر الغربي تلك الصورة ، فاننا نلمح في ارضيتها العميقة ، رواسب من الماضي البعيد والقريب، حيث تلوح الوان باهتة من العرقية الصليبية ، ومن مرارة اليمين الذي هزمته ثورة الجزائر ، كما نلمح لوناً واضحاً تطبعه الفكرة القائلة ان اسرائيل امتداد حضاري وثقافي للغرب .

وفي تلك الصورة ، يستطيع الراصد ان يشهـد كيف توزعت فئات المثقفين في الغرب ، على حقول متباينة .

اننا نجد امامنا فئة المثقفين اليمينيين ، حيث تراصت صفوف اعداء العرب وانصار الصهيونية وحملة لواء الامبريالية . ومع هذه الفئة ، لا تنفع المجادلة بالحسنى ، ولا المنطق ولا جميع الأدلة والبراهين . ويقف الى جانب هذا الحقل فئة المثقفين الذين وعوا حق العرب حتى اقتنعوا بعدالة قضيتهم ، وكافحوا في سبيل نصرتها . والاستاذ جاك بيرك يحمل اللواء مع احرار هذه الفئة ، التي يطلب من المثقفين العرب ان يبقوا معها في حوار دائم . لأن هذه الفئة أقدر على الاحتكاك بالفكر الغربي ، واكثر تفهماً لطابع ومميزات العقلية الغربية .

وهناك حقل ثالث يقع بين الحقلين السابقين ، يجتمع فيه المثقفون المترددون، الذين يتجاذبهم قطبان متناقضان . وقد كشف عدوان حزيران زَيْفَ قسم كبير من هذه الفئة ، حيث وقفت تناصر العدوان . ولعل المفكر الفرنسي سارتر يبدو كأحد الممثلين البارزين لهذه الفئة، فقد كتب في اواخر العام الماضي يقول: « انني اجد نفسي ممزقاً بين صداقات وولاءات متناقضة » . فهو قد ارتضى لنفسه اذن ، موقف المتردد الحائر ، في بادىء الأمر ، ثم انضوى تحت لواء مناصرة اسرائيل ، مناقضاً نفسه في مواقفه السابقة والحالية حيال ثورات الجزائر وكوبا وفيتنام .

ويجتمع في هذا الحقل عدد من المفكرين اليساريين في الغرب والعالم الثالث. وقد انطلت عليهم دعوى اشتراكية المجتمع في اسرائيل. تلك الدعوى التي ينقضها الواقع كل النقض، ولا يبقى منها سوى بعض القرى التعاونية التي اقيمت على الحدود كشبكات للدفاع الحربي، وليس كمؤسسات اشتراكية. لان تلك القرى فضلاً عن انها استيطان استعماري، هي ثكنات عسكرية بكل ما في الكلمة من معنى. ففي كل ثكنة في العالم يأكل الجنود طعاماً واحداً، ويرتدون لباساً واحداً، وينامون في مهاجع مشتركة، ويتبعون برنامج عمـل واحداً، وتؤمن لهم الثكنة الدواء والخدمات المختلفة. فاذا اضفنا الى ذلك ان المرأة في اسرائيل مجندة ايضاً، فاننا نجد انفسنا امام ثكنات عسكرية، صبغت ببعض المظاهر الاشتراكية، وسميت بقرى تعاونية.

ان الفئات اليسارية الصديقة في العالم، لاتزال، بصورة عامة، تركز آمالها على تطور وتفاعل الأحزاب اليسارية في اسرائيل، حتى تصبح قادرة على بدء الحوار مع العرب. وهي في ذلك تنطلق — بالرغم من تفهمها النسبي للحق العربي — من منطلقات خاطئة، لأنها لاتزال قانعة بان الاحزاب اليسارية في فلسطين المحتلة تعمل على مكافحة الامبريالية والاستعمار، وتنادي بتحرير الشعوب اجتماعياً واقتصادياً.

وهنا لابد للفكر العربي من ان يجهد في تحليل هذه الخدعة، تحليلاً علمياً. فالاستعمار الصهيوني الذي طرد شعبـاً من أرضه، هو كالاستيطان في روديسيا وجنوبي افريقيا، سواء بسواء. والمهاجر الذي أتت به الصهيونية الى فلسطين، وهو عامل او فلاح، لايمكن ان يكون اشتراكياً متحرراً في فلسطين، لأنه غاز مستعمر، حاله في ذلك كحال العامل او الفلاح الاميركي، الذي ساقته الامبريالية

الى فيتنام ليذبح شعباً كادحاً . لذا فان التفكير بامكانية ايجاد قوة تقدمية في اسرائيل مخالف للمنطق العلمي . وهو كالتفكير بايجاد قوة تقدمية في الجيش الامـيركي الذي يغزو فيتنام ، او في المغتصبين البيض في روديسيا وجنوبي افريقيا .

ان تفاعل الاحزاب اليسارية داخل الأرض المحتلة ، أثبت بعد العدوان ، خطأ هذه الفكرة ، بصورة قاطعة . اذ أن الحزب الشيوعي الاسرائيلي وحزب المابام وجميع من يدعون اليسارية والتقدمية لايختلفون في عدوانيتهم وفاشيتهم عن حزب المباي وحزب رافي . اذ ان الاغتصاب والاستعمار واهداف الصهيونية وخدمة الامبريالية ، تجمعهم في صف واحد . كما ان التناقضات التي جابهها اليسار الاسرائيلي المدعي ، قبل العدوان واثناءه وبعده ، كشفت القناع عن زيفه وكذبه . لانه اختار ، بدون تردد او تمزق، طريق العدوان والتوسع والامبريالية حتى انه اسهم في فلسفة العدوان وتبريره ، وفي بعث الايديولوجية النازية التوسعية .

ان الفكر العربي ملزم بمحاورة هذه الفئة من المثقفين ، حواراً يطبعه الصدق والصبر والموضوعية ، وهي ليست سهلة ولا يسيرة .

والى جانب هذه الصورة الجغرافية العامة للفكر الغربي ، يلاحظ المتتبع لتطورات الفكر التقدمي في اوروبا الغربية ان اهم الأحزاب والحركات التقدمية بدأت تفهم طبيعة الصراع العربي الأسرائيلي ، واخذت تضعه في اطاره الصحيح وتتبين دلائل الارتباط العضوي بين اسرائيل والأمبريالية . ويبدو ان قسما هاماً من التقدميين الاوروبيين استطاعوا ، بعد عدوان حزيران ، ان يدركوا مدى الخطر الأمبريالي الذي يهددهم ، ولمسوا ارتباط عدوان حزيران بخطة الامبريالية

الأميركية ، للاستحواذ على العالم والتحكم في مصائره ، كما استطاعوا ان يتلمسوا الخطوط العريضة للمنطق الامبريالي ولترتيب اهدافه . فبعد الانتهاء من التحكم بالأمة العربية ذات الشخصية الحضارية المتميزة ، وبعد ضرب انظمتها التقدمية ، ستتجه الامبريالية للسيطرة على الضفاف الجنوبية لاوروبا ، وهناك اكثر من علامة تؤكد هذا الاتجاه . فقد لمس التقدميون اليونانيون مدى الارتباط بين الانقلاب العسكري في اليونان واهداف عدوان حزيران ، وفطن المفكرون اليوغوسلاف الى طبيعة الخطر الذي يحيق بهم ، ولاحظ التقدميون الايطاليون الاهداف الكامنة وراء الوجود العسكري الاميركي في ايطاليا ، وادرك قسم من التقدميين الفرنسيين مدى خطر التغلغل الاميركي الثقافي في فرنسا .

ومن المؤكد ان الفكر العربي لا يمكنه ان يقيم الحوار مع المثقفين في العالم الا في اطار تقدمي واضح الابعاد ، وضمن خطة علمية موضوعية ، يسيطر فيها العقل والحكمة .

ان اهمية هذه الندوة الصغيرة المتواضعة ، تنبعث من الواجب الملقى عليها ، وهو الاهتداء الى اللغة التي يمكن ان يفهمها الفكر التقدمي في العالم ، وبخاصة في اوروبا ، ومما لاشك فيه ان هذه المهمة شاقة وعسيرة ، لان المثقف العربي سيكافح في جبهتين ، جبهة الفكر العربي الانهزامي ، وجبهة الفكر الصهيوني الامبريالي . ولكنها ، مع ذلك ، ليست بالمهمة المستحيلة ، اذا ما استطعنا ، كما قال الاستاذ جاك بيرك يوم امس ، ان نجعل فكرنا متصفاً بالأصالة والعالمية .

لقد اشتركت الصهيونية والامبريالية باجهزتها الغنية الكبيرة الواعية ، في خداع الرأي العام العالمي ، فرفع هذا الثنائي المتلاحم شعارات مضللة ألَّبت حوله ، عن طريق الكلمة قطاعات واسعة من الرأي العام الذي تعاطف مع هذه الشعارات : « اسرائيل واحة الديموقراطية والاشتراكية وسط عالم متخلف »

— « الشعب الاسرائيـــلي مضطهد مسكين » — « اسرائيل الدولة المتمدنة الصغرى » — .

يضاف الى ذلك ان هذا التاني المتحم عرض الصراع العربي الاسرائيلي بصورة خلاف بين دولة ودول محيطة بها ، وكأن الأمر خلاف اقليمي ، كما هي الحال بين الهند والباكستان ، او بين المانيا ورومانيا ، بحيث يغدو السلام هو القصد الذي تتمحور عليه الجهود الدولية ، متناسية الحقيقة الاساسية ، التي هي حقيقة الاستيطان الاستعماري والغزو الأمبريالي ، لتهديد الوطن العربي كله .

ان على المثقف العربي ان يأخذ المبادرة في عرض حقيقة العقدة اليهودية في العالم . فالمسألة اليهودية لا تحلها اقامة دولة عنصرية تقوم على العدوان المستمر ، ولا تحلها الطرائق التي اتبعها الغرب قبل اقامة اسرائيل . فطرائق التمييز العنصري ، والنبذ « الغيتو » والإبادة ، قد أفلست ، ولم يعــد يمارسها اليوم الا الصهيونية والامبريالية فوق أرض فلسطين . وهنا يبرز دور المثقف العربي في تحليل تلك الطرائق ، وتوضيح استحالة استمرار قيام الدولة العنصرية في العصر الحديث ، وعليه ان يطرح الحل الأفضل الذي لا يقوم على العــدوان والإستعمار ، وهنا تبدو أرض الولايات المتحدة او كندا ، او غيرهما من الدول التي تتألف شعوبها من العناصر والقوميات المهاجرة اليها ، انسب الحلول لمواجهة الاثم الذي ارتكبته الامبريالية في قلب الوطن العربي .

فاذا استطعنا ، بعــد حوار وتنظيم وتعبئة للفكر العربي التقدمي ، وتسانــد وتعاون مع المفكرين الأحرار في العالم ، ان ننتقل من مرحلة الجمود الحالية ، الى مرحلة الحركة في النضال بالكلمة العلمية ، لننتهي الى تنظيم تكتل فكري واسع في العالم ضد الصهيونية والامبريالية ، فاننا نكون قد دعمنا عمل الثورة العربية ، واسهمنا بالفكر ، في القضاء على جذور العدوان .

الدكتور عادل العوا :

أود ان اعالج جانبـــاً من الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ، وهو الجانب الذي أشار اليه استاذنا « جاك بيرك » حينا قال « التحليل والعدالة » .

يحسن بنا ، نحن الذين نعيش الحضارة الغربية عن بعد ، ان نعرف بعض الأشياء عن الثقافة الغربية إذا شئنا أن نقيم الحوار مع المثقفين الغربيين . قبل كل شيء يجب ان نعرف مايعطوننـــا وماينقصهم . إن ماينقصهم وينقصنا هو التفاعل الثقافي ، الوجود الثقافي معاً ، ولهذا يجب علينا ان نحلل ثقافة الغرب، ان نعرفها فنترجم الثقافة الغربية ونأخذو نقتبس منها ، وقد فعلنا ذلك فعـــلاً . ففكرة الالتزام مثلاً مأخوذة من الفكر السارتري ، ولكن علينا أن نتمثل مانأخذه بقيمنا وهذا هو في رأيي التمايز بين الأصالة والعالمية .

لقد نما الفكر الغربي بالتحليل ، ولكن من المؤسف ان نلاحظ انه ينقصه جانب هام هو جانب العدالة . ويخيل إلي اننا اذا راجعنا من وجهة نظر الثقافة العربية ، التي تريد ان تتعمق وجودها ، الفكر والثقافة الغربيين ، لوجدنا ان فكرة العدالة ، اي الناحية الأخلاقية ، لم تنم نمواً متساوياً مع التحليل .التحليل يتطلب التقييم ولكنه منحاز الى عدالة هي العدالة الاوربية الاستعلائية التي تحاول ان تتجاهل كل ماعداها من حضارات وثقافـــات ، كما فعلت مع الحضارات والثقافات التي كانت موجودة في افريقيا السوداء والبيرو ومصر ، اذ تجاهلتها وانكرت وجودها ، فقط من أجل اعتبار الثقافة اليونانية هي الحضارة الاولى

ولكي يمكن البدء بفكر اوروبي . فهو اذن فكر منحاز ، فكر استعلائي .

الفكر الغربي فكر مزدهر في العلوم ، والعلوم الانسانية ، وفي نزعاته العامية ، ولكنه من حيث قيمه الأخلاقية مازال يتعثر في قوقعته الأخلاقية التي تجعله يرفض المساواة ، ولهذا يجب علينا ان نبرهن للمثقفين الغربيين اننا نفهم فكرهم ، وبهذا نفرض احترامنا عليهم،وإلا فانهم سيعاملوننا كما يعاملون الانسان الابتدائي المتوحش .ان الموضوعية العلمية هي سبيل لقائنا ، ولا سبيل لنا لاقناعهم الا من هذا الدرب ، وبه فقط يمكننا ان نلتقي معهم لقاء الانسان بالانسان في سبيل خلق هذا الشيء الذي نهدف اليه ونسميه الحضارة او المدنية .

الاستاذ سليمان الخش :

بداية التحول باتجاه الحق العربي

ان الخلاصة من الأسئلة التي طرحت علينا هذا اليوم نحن المثقفين العرب هي: هل استطعنا أن نكسب أحداً من مثقفي الغرب الى جانبنا ؟ وهل استطعنا أن نقنع أحداً بقضيتنا ؟ وما هي التحفظات التي تقوم حول حججنا ومشكلاتنا وكيف يجب أن نبدأ الحوار مع المثقفين في الغرب ؟

في الواقع هذا الموضوع أثار في نفسي ذكريات صيف سبق هذا الصيف، عندما كنت عضواً في وفد حزب البعث العربي الاشتراكي ، الى مؤتمر تحالف القوى الاشتراكية في يوغسلافيا .

في ذلك الصيف عقدنا اجتماعاً مع ممثلي الحزب الاشتراكي اليوغسلافي وفي مقدمة الموضوعات بدأنا ببحث قضية فلسطين . وفوجئت للمرة الأولى أو للمرة الثانية أني اتحدث بموضوع سياسي باسم حزب اشتراكي عربي مع حزب اشتراكي في بلد من اوروبا الشرقية ، فوجئت ان الاخوة الشيوعيين اليوغسلاف لا يريدون ان يبحثوا قضية فلسطين لا من بعيد ولا من قريب . ولكننا ، نحن وفد الحزب اصررنا على اننا اذا أردنا ان نقيم محادثات مع الحزب الاشتراكي اليوغسلافي يجب أن نبدأ بفلسطين ، والا فاننا نعتبر المحادثات منتهية .

وبدأنا الحديث عن فلسطين ، وكانت نصيحة الإخوة اليوغسلاف لنا ان نعمل كما يعملون ، أن ننظر الى مصلحة بلدنا الاقتصادية وان نرى كيف واين

ينمو الاقتصاد، ثم تمشي في الطريق الذي يؤدي الى الاقتصاد النامي.

والحقيقة أن هذه الذكريات تكررت معي فيما بعد في فرنسا، عندما ذهبت شاهداً في قضية المهدي بن بركة. هناك التقيت بالاستاذ الأخ جاك بيرك وبمجموعـــة كبيرة من المثقفين الاشتراكيين الفرنسيين، وفوجئت ايضاً انهم لايريدون بحث قضية فلسطين الا من جانب واحد، وهو كيف يمكن ان يتفاهم العرب مع اسرائيل.. من هذه الزاوية، الاشتراكيون الفرنسيون في الصيف الذي سبق كانوا مستعدين لأن يبحثوا معي هذا الموضوع.

د من أي نقطة نستطيع ان نبدأ لكي تتفاهموا أنتم واسرائيل؟»، اما ماهي حقوقكم وماهي مشكلة فلسطين فلم أجد انساناً يبحث معي هذا الموضوع، حتى انني اتصلت بمجموعة من الشباب المثقفين الاشتراكيين الذين عملوا في البلاد العربية وخاصة في الجزائر، والاكثر من هذا انني عندما اردت أن أتحدث عن قضية المهدي بن بركة طلب الي الرفاق والاصدقاء المغاربة أن لا أذكر اسرائيل. وتبينت فيما بعد أن هنالك عدة محامين يهود يدافعون عن قضيتنا، وعرفت ان هناك يهوداً متغلغلين في القضية. وعندما كنت وزيراً للثقافة ثم للاعلام عرفت اننا نحن العرب مقصرون جداً في الدعاية لأنفسنا في الخارج. والحقيقة أن هناك قصوراً. وقد انتبهت الى موضوع ان الهودية العالمية والفكر اليهودي العالمي تستخدم في الخارج للدعاية لاسرائيل، وان موضوع اسرائيل يختلف عن موضوع العرب في اوربا بشكل خاص. فأنصار اسرائيل هم مواطنون في فرنسا، أما انصار العرب فهم اصدقاء لبعض المثقفين الفرنسيين. انصار اسرائيل هم يهود فرنسيون ويهود انكليز ويهود المان ويوغسلاف وروس، وأميركان هم مواطنون يملكون المال والفكر ووسائل الاعلام، وهؤلاء تأتي الدعاية لاسرائيل من قبلهم وكأنها شيء عفوي كما يتنفس الانسان الهواء.

ثم أدركت انهم قد تغلغلوا في الصفوف اليسارية تغلغلا مابعده تغلغل. وعدت بهذا الانطباع وتحدثت يوما مع وزير خارجيتنا ،وكان بيننا حديث ذو شجون ،استعرض لي فيه همومه واستعرضت له مالقيت في هذا الموضوع .

ثم جاءت حرب حزيران الماضي ، واخـذ الناس يصرخون من ويلات الحرب وويلات الهزيمة . الفكر الاشتراكي الاوروبي وخاصة الفكر الاشتراكي الشرقي قد تحول تحولاً ملحوظاً في هذه المعركة وكان هذا التحول مدعاة للتفاؤل .

هناك مقاطعة سياسيـة واقتصادية لاسرائيل قامت في اوروبا الشرقية بكاملها . هناك احزاب اشتراكية في ايطاليا وفي فرنسا قامت بمظـاهرات وكتبت مقالات ضد اسرائيل . وهناك احزاب عمالية في ايطاليا وفرنسا ايضاً قامت بمظاهرات وكتبت مقالات حول هذا الموضوع .

لقد كنت أعتبر هذا نصراً كبيراً وتحولاً كبيراً في تاريخ القضية الفلسطينية ، لأنني قلت : إنه قد وجدت الدعاية اللازمة للقضية الفلسطينية في المستقبل .

كيف حدث هذا التحول ؟ في اعتقادي طبعاً — وكل ما اقوله هنا هو رأي شخصي إذ انني لا أتكلم كوزير في الجمهورية العربية السورية بل اتكلم بوصفي من المثقفين والكتاب الذين يكتبون في هـذا البلد . في اعتقادي ان حرب الـ ٥٦ لم تحدث هـذا التحول بسبب اميركا ، فايزنهاور بالذات كان له موقف خاص فيما يتعلق بحرب ١٩٥٦ يشبه الى حد ما موقف ديغول في الوقت الحاضر ، لا يشبهه كثيراً . ولكني لا ازال اذكر انه طلب من الاسطول السادس في ذلك الوقت ان يتدخل فيما لو ظل الانجليز والفرنسيون يواصلون عدوانهم على بور سعيد ، وفي الوقت الذي كان فيه رئيس حكومة الاتحاد

السوفياتي يرسل انذاراته للمعتدين . اذن التقت قوتان كبريان في العالم تقفان في وجه العدوان هما الاتحاد السوفياتي من جانب وتهديداته بالصواريخ المعروفة وايزنهاور بالذات ـ شخصياً ـ وتهديداته بتدخل الاسطول السادس فيما لو استمر العدوان .

أما في حرب هذا الصيف فكان الأمر معكوساً تماماً . في حرب هذا الصيف ظهر للعالم الاشتراكي موضوع جديد . هنالك الالمان الشرقيون ظنوا ان حرب حزيران هي تجربة اميركية للعدوان عليهم لكي تغزوهم المانيا الغربية ، وهذا شيء واقع وليس خيالاً .

هناك آخرون من الاشتراكيين في العالم ظنوا ان أمريكا تلقي بثقلها في مصر وسورية والاردن لكي تجبر روسيا على ان تفاوض في فيتنام .

اذن كشفت حقيقة اسرائيل الامبريالية كشفاً حقيقياً كاملاً لا غبار فيه ولا لبس . أصبحت اسرائيل بالنسبة للاشتراكيين العالميين تعني الأمبريالية ، تعني المخفر الأمامي للامبريالية العالمية ، كما كنا قد تحدثنا نحن في سوريا عن هذا الموضوع سابقاً عدة مرات .

لم يعد هناك انسان في اوروبا الشرقية الاشتراكية ، أو في اوروبا الغربية بين الاحزاب الاشتراكية من يقول ان اسرائيل هي مجموعة مضطهدين من قبل النازية أرادوا أن يعيشوا بسلام . أصبحوا يعرفون أن المجني عليه في كثير من الاحيان يكتسب صفات الجاني ، كما تحدث اليوم صباحاً الاستاذ « جاك بيرك » عندما زارنا في الوزارة . اصبح الاشتراكيون في العالم يعتقدون ان الصهيونية اكتسبت صفات خصمها وهي النازية ، وأصبحت طليعة الأمبريالية في العالم . لذلك حصل تحول في الفكر الاشتراكي ، واعتقد انه من الآن فصاعداً نستطيع نحن العرب أن نقيم حواراً مع أوروبا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

وقبل معركة حزيران كان هذا الحوار عسيراً علينا . كنا اينما ذهبنا لنتحدث عن فلسطين ، نجد الباب مغلقاً في وجوهنا . لقد أدرك العالم الاشتراكي أن باستطاعة اسرائيل التي هي مخفر أمامي للامبريالية ،أن تثير حرباً عالمية ثالثة كلما ارادت الامبريالية ان تفعل ذلك وفي أي وقت تريد . لهذا فان الجو العالمي قد تغير تغيراً جذرياً .واعتقد أن الحوار بين الأمة العربية وبين المعسكر الاشتراكي قد اصبح الآن حواراً حقيقياً ، وكذلك بين الأمة العربية وبين الأحزاب الاشتراكية الأوروبية .

الأستاذ جاك بيرك :

انني أرى بأن الصراع القائم بين الصهيونية والعرب لايفهم في نطاق التقدمية والأمبريالية كما أشار بعض الأصدقاء الى ذلك منذ قليل ، بل يقع في نطاق الصراع بين مفهومين عن العالم . حقاً ان أوربا تعتبر هذا الصراع نوعاً من حرب بلقانية صغيرة . وهي مندهشة لخطورة مايصنعه كل من الطرفين المتصارعين فيه . وحتى الآن لم يفهم العالم أهمية وخطورة المصالح التي يتعرض لها العرب في صميم وجودهم من هذا العدوان . ان القضية ليست قضية خسران معركة أو ربحها ، فأية معركة خاسرة يمكن تعويضها بشكل ما . ان القضية هي قضية هزيمة وجودية بالنسبة للعالم العربي . ولكن هذا الوجه من القضية ينصهر في إطار أوسع منه هو إطار التعارض بين مفهومين عن العالم . أيمكن أن يقوم اليوم غزو للآخرين ؟ ان الأسباب التي حملت بلدي فرنسا على التخلي عن أرض الجزائر ، هل يمكن أن تكون غير صحيحة بالنسبة للصهيونية ؟ هل يمكن أن يكون هناك احتلال مشروع لأراضي الآخرين ؟ أيمكن ضم مدن مقدسة ولو باسم الحق الإلهي ؟ ان العالم منقسم حول هذه النقاط . ولدى العرب كثير من الحجج القادرة على أن يكتسبوا الى جانبهم لامجرد الأصدقاء ، وحسب بل جميع التقدميين في العالم الذين هم مقتنعون بوجهة نظر العرب ، ومعهم أيضاً جميع أولئك الذين يقفون موقفاً محايداً أومانعاً وهم الغالبية ، كبلاد أمريكا اللاتينية . وأعتقد أنه يجب ألا يدخر أي جهد في هذا السبيل .

د . عبد السلام العجيلي:

اذا كان تقصير المثقف في الحقل الداخلي كبيراً ، فاني اجد تقصيره في المجال الخارجي أقل . هنالك تقصير ، ولكن ليس بالأهمية أو الخطورة التي اجده فيها مقصراً في العمل الأساسي .

انني اعتقد ان عدم تفهم الرأي العام الغربي والمثقف الغربي للقضيـة الفلسطينية ناتج عن زمرة من الأسباب :

١ ــ الزمرة الأولى : تعود الى التعنت وسد الطريق امام الكلمة العربية او الرأي الغربي . والتعنت ليست لنا يد فيه ، اذ ان هنالك اسباباً ومصالح خاصة ونوازع عرقية تدعو الى التعنت . وأما سد الطرق فهو ناتج عن كون الرأي العام الغربي ، او مفاتيح الرأي العام الغربي كالصحافة والسينما واقعة بين ايدي اليهود أو من يؤثر اليهود عليهم ، وهي على كل حال بيد الرأسمالية . وهذه هي بعض اسباب عدائنا مع الرأسمالية والامبريالية والفاشية والنازية . وأنا لا أجد فيما قاله الاستاذ بيرك حول مؤيدي الصهيونية من جزاري اليهود السابقين ما يدعو للاستغراب ، اذ ان الصهيونية واللاسامية تنبعان من شيء واحد ، من البربرية الفكرية .

٢ ــ الزمرة الثانية : تعود الى المثقف المكلف بإبـداع الكلمة وإنتاجها ثم توصيلها الى الرأي العام الغربي . هنا يبرز دور المثقف ، وهذه الزمرة تنقسم الى فئتين :

آ ــ النتاج الثقافي ، ولا يشترط فيه أن يكون نتاجاً في القضية الفلسطينية

وحدها، بل قد يكون نتاجاً فنياً او ادبياً يستطيع رفع اسم بلاده، ويعطيها سمعة طيبة، ويفتح امامها المجال لأن تسمع كلمتها وتعرف. والمثقفون ادوا فيما اعتقد ما باستطاعتهم. ربما لم يبلغوا القمة، ولكن هذا كل ماعندهم في الحاضر.

ب — ايصال هذا النتاج الى الرأي العام الغربي، وانا اعرف من امثلة شخصية ومن تجارب زملاء لي أن الطرق مسدودة أمامنا حتى في النتاج البريء. في السنة الماضية كتب لي مترجم لمجموعة قصص عربية لمختلف القصاصين من سوريين ولبنانيين ومصريين بأنه ترجم مجموعة قصص طلب منه ترجمتها في المانيا الغربية، ثم أجل نشر هذه الترجمة عامين.

ان ايصال الكلمة بواسطة الكاتب او المثقف كفرد، صعب او متعذر. وهنالك مؤسسات ثقافية، او هي ثقافية سياسية او اكاديمية صرفة مكلفة بالقيام بهذا العمل، واعتقد ان اناساً كثيرين في الغرب مستعدون لتقبل الكلمة العربية اذا عرضت عليهم بصورة بسيطة او يسيرة، واذا سهل طريق وصولها اليهم.

في عام ١٩٦١ اذكر انني قرأت نقاشاً في « مجلة الفيجارو ليتيرير Figaro Littéraire » بين ريمون آرون وحاخام يهودي. وقال الاستاذ آرون، وهو استاذ في السوربون، انه لايمكن لليهود ان يقيموا دولة اسرائيل لأن التجربة أيام الصليبين اثبتت استحالة قيام دولة اجنبية في هذه البقعة من الارض. وقد دهشت واستغربت عندما وجدت انه من الموقعين على عريضة تأييد لاسرائيل في الحوادث الاخيرة كما يذكر الاستاذ بيرك. لو امكن ان تصل المعلومات العربية او الكلمة العربية بصورة مستمرة الى الاستاذ آرون وامثاله لما وقف هذا الموقف. اذن كان هناك انقطاع من جانب المؤسسات الثقافية التي تبنتها الدول العربية عندنا كمؤسسات الجامعة العربية والسفارات. هؤلاء هم المكلفون بايصال هذه الكلمة.

في إطار الحوار مع العالم من أجل قضية فلسطين لابد أن نتساءل أولاً كيف يفكر الغرب ، وكيف تفكر اوروبا بصورة عامة حول العالم؟ ، وماهي المرحلة التي تعيشها الامبريالية اليوم ، وما هي علاقتها بقضايا العالم الثالث ،وعلاقتها بقضية فلسطين ؟

أشير بهذه المناسبة الى مقدمة سارتر لكتاب « معذبو الأرض » حيث لاحظ سارتر أن العالم مقسوم الى قسمين : الأوروبيون وسكان العالم الثالث ، الأوروبيون يعتبرون انفسهم مواطنين ممتازين ، أما العالم الثالث فيتألف من مواطنين من درجات دنيا . العالم الثالث بالنسبة لأوروبا هو منذ القرن الخامس عشر حتى الآن عالم للاستثمار فقط لا يتمتع الانسان فيه بصفات الانسان .

والمواطن العـادي الاوروبي يستفيد من المستعمرات ، لأن ثروات المستعمرات ، التي تذهب الى جيوب الاحتكاريين بالدرجة الأولى ، تتيح فرصاً أكبر للمواطنين العاديين كي يستفيدوا . وبذلك تعوّد المواطن الأوروبي أن يشعر براحة ضمير تجاه عملية الاحتلال والاستعمار . إنه لهذا لا يشعر بالأزمة الحقيقية لإنسان العالم الثالث .

ان الامبريالية الآن في هذه المرحلة تتألف من الاحتكارات الكبرى ، وهذه بدورها موجودة بيد أمريكا والصهيونية معاً . ان هذه الاحتكارات ترسم مخططات التوسع العالمي ومخططات الاستثمار في العالم .

الصهيونية اذن بوضعها الراهن هي جزء مالي لايتجزأ ، أو جزء احتكاري لا يتجزأ من الامبريالية ، وبذلك تساهم مع الامبريالية العالمية في خلق ضغط في

مختلف الاتجاهات ، وعلى الرأي العام العالمي كله ، ضغط اقتصادي وثقافي ايضاً. والمثقفون في العالم خاضعون لهذا الضغط ايضاً.

مقابل الأمبريالية تقوم الحركة التقدمية في العالم ، هذه الحركة التي يمكن تصنيفها في إطارين :

١ - حركة البلدان الاشتراكية المتطورة التي حققت انتصارات منذ ثورة اكتوبر .

٢ - حركة العالم الثالث الذي يحاول أن يثبت انسانيته . والمعركة قاسية بالنسبة لبلدان العالم الثالث ، لأنها لا تملك من مقومات المعركة سوى إرادتها وتصميمها. أما مساعدة البلدان الاشتراكية لها فهي تمر بتعقيدات مختلفة . ومن هنا يبدو الحوار مع الغرب او البلدان الاشتراكية جزءاً من المعركة العالمية التي يخوضها العالم الثالث من أجل إثبات إنسانيته .

وبهذا المعنى فالمثقفون لكي يقدموا شيئاً له أهمية في المعركة التي يخوضها العرب ضد الامبريالية ، يجب أن ينتموا للمعركة ، فبدون حس المعركة وبدون هذا الانتماء لا يمكن ان يقدموا شيئاً له أهمية ، واذا لم توجه كل الجهود الموجودة في المجتمع لخدمة القضية الفلسطينية فلا يمكن إلا أن نبقى مغلوبين على امرنا .

لقد ذكر كثير من الأخوان تقصير المثقفين العرب تجاه القضية الفلسطينية . وأنا أتفق معهم على أن التقصير قائم ، ولكن طريقة العلاج التي اقترحت حتى الآن ليست الطريقة الصحيحة . فلو كتبنا باللغات الأجنبية ، ولو حاورنا دور النشر العالمية لوجدنا أمامنا العقبات ، لأن القضية ليست مجردة ، ليست قضية ثقافية بحتة ، بل هي مرتبطة بالسياسة . جائزة « نوبل » مثلاً لا يمكن ان يربحها عربي إلا اذا كان من مؤيدي الوجود الاسرائيلي .

أريد أن أخلص الى القول بأن المثقفين العرب لا يمكن ان يحاوروا في

الموضوع مالم ينتموا الى المعركة التي تخوضها الأمة ، والمعركة اليوم هي معركة على صعيدين :

١ – صعيد عالمي ، فمعركتنا جزء من معركة العالم الثالث .

٢ – صعيد قومي ، لأن شعبنا يدافع عن وجوده عندما يقاوم الوجود الإسرائيلي .

من جهة اخرى لا يحس الرأي العام العادي في أوروبا بالخطر الذي تمثله الأمبريالية والصهيونية بالنسبة لأوروبا نفسها . فاليهودي الفرنسي والألماني عندما ينتميان انتاءات اخرى ، فانمـا يخربان المجتمع الأوروبي نفسه . أما وجود اسرائيل فهو يعزّز اللاسامية . لأنه يشعر اليهودي الفرنسي أنه ليس فرنسياً وانه يختلف عن بقية المواطنين، وهذا ستكون له انعكاساته على المجتمع الفرنسي نفسه، انعكاسات تعزز اللاسامية ولا تخفف من حدتها . ولكن لإسرائيل وللصهيونية نفسها ادواراً أعمق من ذلك . فالصهيونية التي هي جزء من الاحتكارات العالمية الكبرى تكون جزءاً من التسلط الاحتكاري على الشعوب الاوروبية نفسها . والشعوب الأوروبية لا تزال غير شاعرة بهذا الخطر ، وهناك مثال يوضح ذلك : عندما حدث الصراع العربي – الاسرائيلي في حزيران قام احد اليهود الفرنسيين وقال : « اذا كان لا يحمي اسرائيل إلا جونسون ، فليعش جونسون » . هذا اليهودي هو يساري ويقول « ليعش جونسون ! » اي « لتعش الامبريالية ! » ، فالصهيونية تمثل خطراً لا بالنسبة للعرب وحدهم ، وانما بالنسبة للعالم والشعوب الأوروبية . هذه الحقيقة يمكن الالحاح عليها في الوطن العربي ونقلها الى أوروبا ليتمكن الأحرار الأوروبيون من إيضاح الخطر الصهيوني كجزء من الأمبريالية العالمية ، هنالك حقائق كثيرة من هذا النوع تمس المجتمع الأوروبي نفسه، يمكن التركيز عليها ثقافياً ، ويمكن ان يتعاون المثقفون العرب فيها مع المفكرين الأحرار الأوروبيين .

الاستاذ جاك بيرك :

لقد ردتني مشاركة الاستاذ محمد الجندي الى موضوع كتابي الملخص « بحث عن الأمبريالية والثورة » وانني لأسمح لنفسي أن أذكر بأنني رفضت أن أتحاور مع الشخص الذي قال « ليعش جونسون » .

غير أن قضية جائزة نوبل فيها الكثير من المفارقة . اذ أن سارتر ، قد رفض قبولها مراراً ، ولكن شولوخوف من الاتحاد السوفياتي قد قبلها . أما عن الحوار خلال الحرب الجزائرية فهو لم ينقطع بين الجزائر والشعب الفرنسي ، ومهما كانت جرائم الغرب ، فهذا لا يعني أننا لا نحاول أن نتحاور معه وأن نبحث فيه عن قوى سليمة تحت معنا القضية الفلسطينية .

الدكتور محمد انيس :

انني لن ألتزم بنصيحة الاستاذ بيرك الذي قال أن علينا أن نحاول إقناع الأعداء لا الأصدقاء . والحقيقة أن لي ثلاث ملاحظات حول هذا الكلام .

١ – القضية الفلسطينية في تقديري ليست قضية اقتناع ، وهي ايضاً ليست قضية تصادم بين حضارتين كما قال الدكتور العوا ، ولكنها مسألة صدام بين مصالح مادية . القضية العربية الفلسطينية العادلة لن يقتنع بها الأعداء مها بذل من جهد من جانب المثقفين العرب ، لأن القضية الفلسطينية ليست إلا شكلاً من أشكال الصراع بين الإمبريالية العالمية والثورة العالمية ، ونحن

جزء من الثورة العالمية ، وبالتالي فعلى قدر نجاح الثورة العالمية ضد الأمبريالية تنفتح الآمال أمام الثورة العربية لحسم القضية الفلسطينية لصالح الشعوب العربية. والغرب يقف مع الأسف في قمة الأمبريالية العالميـــة ، وهذه ستظل مشكلة الشعوب الغربية لا مشكلة الشعوب العربية . كيف تستطيع الشعوب الغربية بما فيها من مثقفين أن تخلص الغرب من الأمبريالية ؟ كما قلت ، هذه مسؤولية هذه الشعوب ومثقفيها وليست مسؤولية العرب .

٢ ــ بالنسبة للأصدقاء ، وهنا تنصب ملاحظاتي حول ما قاله الاستاذ سليمان الخش .

مرة اخرى انا اختلف مع الاستاذ الخش ، لأن الدول الصديقة أو بعض الدول الصديقة على اقتناع فعلي الآن بشجب العدوان ، عدوان الخـامس من حزيران ؛ ولكن هذا العدوان ليس سوى مظهر للعدوان وليس مصدره .وأظن ان من المشكوك به ان هذه الدول الصديقة على اقتناع تام بزوال مصدر العدوان. انها فقط على اقتناع بزوال مظهر العدوان ، وليست على اقتناع بزوال مصدره ؛ ونحن بحاجة قصوى الى اقناع الأصدقاء بأن اسرائيل مصدر للعدوان تتحرك كلما تحركت الشعوب العربية في يقظة جديدة .

٣ ــ الصعوبة الحقيقية في تقديري في مخاطبة الرأي العام العالمي تكمن في أنه ليس للمثقفين العرب موقف فكري موحد يقدمونه للعالم العربي . ولعل السبب في ذلك ناتج عن اننا نتحدث عن المثقفين بصورة مجردة ، في حين ان المثقفين موزعون بين اجنحة فكرية متعددة .

ان الثورة العربية الراهنة مطالبة بالبحث عن خط فكري ثابت موحد لمخاطبة الشعوب العربية والعالم الخارجي . ولعل هذا هو ما نعنيه بقولنا إن المعركة الفلسطينية تحسم على الأرض العربية .

برهان الدجاني :

أعتقد ان أي حوار يجب ان يبدأ بتحديد المفاهيم في ذهن المحاور ، وعلى ذلك فان أي حوار بين العرب وبين أي كان بشأن قضية فلسطين يجب ان يبدأ بتوضيح هذه القضية في الذهن العربي أولاً .

نحن لانزال نتكلم عن قضية فلسطين ، فلماذا لانتكلم عن قضية سورية ومصر والأردن وقد احتلت اسرائيل أجزاء منها ؟ ولماذا لانتكلم عن قضية العراق والكويت ، فاسرائيل لها مطامع فيها جميعاً ؟ ان علينا ان نتحدث عن الحروب الصهيونية وليس فقط عن قضية فلسطين . واذا تحدثنا عن قضية فلسطين فقط ، فاننا نلقي غشاوة على أعيننا ولا نفهم حقيقة ماجري . فالصهيونية العالمية تريد دولة تتجاوز فلسطين ، واذا أردتم التحديد الأدنى لها فهو موجود بصيغته الرسمية في المذكرة التي قدمتها الجمعية الصهيونية العالميـــة الى مؤتمر الصلح في فرساي عام ١٩١٩ ، وهي وثيقة خطيرة لأنه يمكن على ضوئها فقط فهم أحداث حزيران ١٩٦٧ .

هذا يقودني الى النقطة الثانية من التوضيح الذي لابد منه ، ان هدف الصهيونية العالمية هو احتلال الأرض . لقد سمعت هنا ان هدف الصهيونية او اسرائيل هو القضاء على الحركات الثورية العربية . والواقع أنها تريد ان تقضي على كل شيء عربي ، تريد ان تجتث العرب من الوجود ، واذا اشرنا الى انهـــا حركة ضد الحركات الثورية العربية ، فاننا نتجاهل حقيقتها . الصهيونية العالمية أنشئت قبل

ان تكون هناك حركات ثورية عربية ، حاربها العرب في فلسطين تحت الزعامات التي نطلق عليها بمصطلح هذه الأيام اسم الرجعية ، اي الاقطاعيون وشيوخ الدين والأفندية وسواهم ، وحاربها العرب سنة ١٩٤٨ تحت الزعامات التقليدية ، وحاربناها عام ١٩٦٧ تحت زعامات جديدة ، حاربناها لأنها هي التي تحاربنا وكانت أهدافها هي هي لم تتغير ، فيجب أن نفهمها على حقيقة أهدافها ، كحركة تريد الأرض والوطن ويجب ان نجابهها بالتمسك بالأرض والوطن .

الشيء الثالث الذي يجب ان يكون واضحاً في ذهننا ان الصهيونية العالمية تتصرف كدولة . الصهيونية العالمية ، وليس اسرائيل ، تتصرف كدولة ذات مصالح . اعني انها تفتش عن نقاط لقاء ووسائل معاداة ، وعن وسائل حرب . وحيثما وجدت منفذاً نفذت منه وإليه . ففي عام ١٩٤٨ مثلاً استطاعت ان تجر روسيا لجانبها ، كيف ؟ هذا سؤال طرح كثيراً ، ومن العرب من يعتقد أنها باعت روسيا أسرار القنبلة الذرية الأمريكية ، والذين حوكموا في عام ١٩٤٨ في امريكا بتهمة إفشاء أسرار القنبلة الذرية هم كلهم بدون استثناء من اليهود الصهاينة . الصهيونية هي اذن دولة تسعى الى مصالحها ولا يهمها في الوجود غير نظامها . وفي سبيل مصالحها لاتضع خطوطاً لايمين ولا يسار ، انها تسير أينما وجدت من يسير معها ، وترى لكل من يمكن أن ترى له ان يسير معها . وعلى ذلك فان المجابهة العربية تحتاج ايضاً الى نفس المرونة . بامكاننا جميعاً ان نكون ثوريين ، وفي امكاننا ان نكون اشتراكيين ، ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا ابداً أن التصرف كدولة ليس كالتصرف كعقيدة ، والذي يريد ان ينجح يجب ان يجمع بصورة ناجحة بين هذين التصرفين .

ذكرت أمثلة كثيرة تناقض كثيراً ماقيل هنا . مثلاً ذكر ان امريكا

سنة ١٩٥٦ بزعامة ايزنهاور وقفت بجانب العرب بشكل ما ، ولا يمكن ان يقال عن ايزنهاور أوديغول بأنه من هذا الجناح أوذاك . كذلك هنالك شيء لم يقل ، وهو ان فرنسا عام ١٩٥٦ بزعامة جي موليه وقفت بجانب اسرائيل وهو محسوب على الاشتراكية ، وبريطانيا عام ١٩٦٧ بزعامة ولسون وقفت مع الصهيونية ، وهو وحزبه محسوب على الاشتراكية .فالخطوط قد تكون موجودة، ولكنها ليست حادة بالشكل الذي يتصوره بعضنا .

هنالك معقلان في العالم الأوروبي لم يستطع الصهيونيون حتى الآن ان يقتحموهما فكرياً: وهما الأحزاب الماركسية والكنيسة الكاثوليكية . أحدهما في هذا الطرف والآخر في ذاك الطرف .وفيما عدا ذلك فقد اقتحموا جميع المعاقل . ان الاشتراكيين الغربيين بكثرتهم الساحقة هم مع الصهيونية العالميـــة ، واذا تصورنا شيئاً غير ذلك ، فاننا نخدع أنفسنا .

بالنسبة للحوار الثقافي لابد من سؤال . ما الذي نريده من الحوار الثقافي؟ لقد طرح الاستاذ بيرك هذا الموضوع وكأنه حوار بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية ، فهل قضية فلسطين هي فعلاً قضية حوار بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية ؟ اذا كانت كذلك ، فهي قضية كبيرة وعسيرة . حوار الثقافات عملية صعبة وطويلة الأمد . ولكن يجب ان نفهم ان للثقافة دوراً ، فما هو هذا الدور ؟ اذا أردنا ان نتفهم هذا الأمر حقيقة ، فيجب ان ندرس الخصم . ماهو حواره الثقافي مع الغرب ؟. ان حوار العدو الثقافي مع الغرب هو على مستويات كثيرة ، وليس على مستوى واحد . فهو يأخذ طابعاً سياسياً بحتاً سواء في الجدل السياسي ، أو بإبرازه وجوهاً مثقفة وايصالها من خلال الثقافة الى مراكز السلطة لتكون في عونه . ان الرجل الذي استدعى سفير الـ ج.ع.م قبل أيام من

اعتداء الخامس من حزيران في واشنطن وأبلغه ان يطلب من حكومته ان ان لاتعتدي على اسرائيل ، اسمه والت روستو ، وهو من كبار المثقفين الأمريكيين ، ومن كبار المؤلفين . وقد أوصلته الصهيونية العالمية الى البيت الأبيض ليكون في هذا اليوم بالذات ، وليقوم فيه بهذه المهمة بالذات ، أعني مهمة ان يكون مستشار جونسون في قضية فلسطين . ثم هنالك التأليف الثقافي ، فنجد مؤلفين كباراً يكتبون قصصاً وملاحم عن اسرائيل والصهيونيـــة مثل كوستار وبيكيت . وآخرهم هو الكاتب التشيكي الكبير مناكو الذي طردته حكومته بعد ان أختار ان يكتب عن اسرائيل رغم انذارها له وبقي في اسرائيل وهو اكبر كاتب تشيكي .

كيف نستطيع نحن أن نقوم بنفس الشيء . مادام الحوار ليس مع ثقافة موجودة في ارض فلسطين ؟ ، فاسرائيل ليست لها ثقافة وما اعطاء جائزة نوبل لكاتب اسرائيلي سوى محاولة خلق مثل هـذه الثقافة . اسرائيل ترسل فرق رقص شعبي وغناء شعبي لأوروبا ليرقصوا الدبكة العربية وليغنوا الأغنيـات الشعبية العربية بكلمات عبرية ، وتقول ان هذا هو فن شعبي اسرائيلي . اذا كانت هناك ثقافة في اسرائيل فهي في الحقيقة ثقافة اوروبية لا زال يكتبها قوم أوروبيون عاشوا في اوروبا واكتملوا ونضجوا هناك . اما في اسرائيل فليس هناك ثقافة ، بل تغلغل ثقافي صهيوني ، تماماً كما هو الحالة في الغرب ، حيث يوجد تغلغل ثقافي صهيوني . إن فهمنا لهذه الحقائق اصبح واجباً علينا أن ندركه . هل هذا الحوار هو الأهم في مجل عملنا ؟ بالنسبة للصهيونية العالمية يمثل العمل الثقافي جزءاً من مخطط كامل ، فكل قصة تنشر وكل مقالة تكتب مربوطة بتحرك سياسي ، اما بالنسبة لنا ، فنحن لا نستطيع ذلك . وهذا ليس معنـــاه ان لا يكون هناك حوار ،

الدكتور بشير العظمة

ان العالم الغربي يقع تحت ضغط رهيب تمارسه الصهيونية العالمية وتكسب لقضيتها دول العالم الغربي في كثرتها الساحقة . والانسان الغربي العادي لايتسع وقته واهتمامه ولا تتوفر له الامكانات لمعرفة وجه الحق في النزاع العربي الاسرائيلي. ووسائل الاعلام تغذيه بما يدغدغ عواطفه ورواسب حقده على العرب الذين طردوا الاستعمار، ولهذا فهو يصفق لانتصارات اسرائيل على العرب لأنها كما ينظر اليها حارسة لمصالحه البترولية في منطقة تحوي ٦٠٪ من مخزون البترول الغربي .

ومن الناحية العربية ، نحن لانتزع اعجاب الرأي العام الغربي لأننا غير مصممين ، أو بالأحرى لسنا مؤمنين الايمان الكافي للبذل بالدماء والعطاء الكامل للدفاع عن ارضنا في رد العدوان الاسرائيلي . ان شعب فيتنام والشعب الجزائري قبله قد انتزعا بطولاتها تقدير العالم واحترامه ، ونحن لانزال نفتقر الى هذا الاعجاب وهذا الاحترام . وبالنتيجة نحن لانتزع اعجابهم وتقديرهم لأنهم يشكون في حقنا الذي لاتدعمه القوة في التصميم على الاحتفاظ بالأرض العربية .

اني اعتقد انه علينا قبل أن نخاطب الغربيين ، وهم في الحالة التي عرضتها، أن نتفاهم فيما بيننا أولاً على المعنى الحقيقي لإسرائيل ، وان ندرك بعمق اهدافها، وأن يؤمن مواطنونا ايماناً كاملاً وعلى جميع المستويات، ماذا يعني بقاء اسرائيل في الأرض العربية، وماذا يعني الصلح او المهادنة معها . اننا لايمكن أن نربح الفكر الغربي الا اذا انطلقنا من فكر محدد واضح . ويقتضي ذلك عقد المزيد من الندوات والاتصالات بين المثقفين العرب من مختلف المستويات، من أجل بلورة

فكر عربي يؤكد مكافحة اسرائيل وضرورة التصميم على النضال من اجل حق العرب في ارضهم وبقائهم . ويقتضينا ذلك أن نتغلغل ونماشي ونتفاعل مع حركات التحرر العالمية في مؤتمراتها وصحافتها ووسائل إعلامها ، ذلك ان اليهود في الولايات المتحدة مثلاً نصراء للتمييز العنصري فيها ، وكذلك فقد شارك اليهود في حركات التحرر في جميع البلاد الغربية أيام الاحتلال النازي . واني اعتقد جازماً أن النشرات الدعائية والتمثيليات والقصص لن تؤدي الغرض المطلوب من اجل قلب الرأي العام الغربي لمصلحة القضية العربية في صراعها مع اسرائيل .

إذن منطلقنا في هذا الصراع الطويل هو منطلق يجب أن ينبت من الأرض العربية بالذات ، يعتمد على ايمان مطلق بهذا الحق وعلى الحجة والمنطق . ان هذا الايمان اذا لم نكتسب فيه جميع العرب وعلى مختلف المستويات ، فان صراعنا مع الصهيونية العالمية التي تمتد جذورها في المجتمعات الغربية امتداداً تاريخياً عميقاً جداً ، سيجعل من المستحيل علينا ان نكسب لجانبنا الغربيين مها بذلنا من جهود. لقد بلور العدوان الأخير واقع الصهيونية وكشف القناع عن وجهها ، واكسب لصف القضية العربية ولا شك جزءاً كبيراً من هذا الرأي العالمي . ثم ان لدينا ركائز في العالم الغربي هم طلابنا ووفودنا ومهاجرونا ، وهم ايضاً مقطوعون عنا . ان تزويد جميع هؤلاء بنشرات متواصلة هام وضروري لزرع الفكر العربي في العالم الغربي ، وهو عامل هام في كسب المزيد من الأصدقاء . اننا لن نكسب صحفاً او شركات تلفزيونية او سينمائية عالمية مرتبطة مصالحها مع الصهيونية العالمية بحكم وجودها الاقتصادي كجزء من الاحتكارات العالمية . ان هذه المحاولات كما اعتقد لا نتيجة لها . انني اعتقد ان فتح الابواب والنوافذ الفكرية مع هذا العالم الذي يتحكم بمقدرات الشعوب هو اجراء مرتبط بالفعل بحدوث تطورات جذرية

في هذا المجتمع . وإن صراعنا مع الأمبريالية والصهيونية جزء من صراع عالمي ومعركة من معارك التحرر العالمية . ان علينا ان نؤمن ايماناً كاملاً بعقم البحث أو عدم جدواه او عدم إمكانه على الأقل في مجتمعات من هذا النوع . اني لا أعني بهذا الحديث انه يجب ان نطرح من أذهاننا امكانية التفاهم بيننا وبين العالم الغربي ، ولكن كسب هذه الشعوب لقضية الحق العربي مرتبط أشد الارتباط بتصميم العرب في أرضهم على الكفاح . إن معركتنا هي بالفعل على الارض العربية، وهي رص الصفوف العربية ، صفوف المثقفين ،ووضع الغزوة الاستعمارية الصهيونية في مكانها الحقيقي لنتكلم مع الغربيين جميعا لغة موحدة لاتختلف اختلافاً كبيراً باختلاف مستوياتنا الثقافية وتطورنا الاجتماعي . أعني من ذلك مثلاً بأن ايضاح معنى الوحدة العربية ، وأنها ليست عصبية عنصرية وان القومية العربية هي حركة تحرر ذات مضمون اجتماعي محدد المواضع . إن عدم التزامنا او اهمالنا لايضاح هذه النقطة الاساسية يجعل الغرب متهيباً او يتهم الحركات جميعاً بأنها حركات عنصرية عصبية طائفية تحاول ان تقاوم اسرائيل لمجرد انها يهودية تاجع الاسلام ارضه . ان التصميم العربي والايمان بأن المعركة طويلة وشاقة هو طريقنا لكسب الفكر العالمي لجانب هذا الحق العربي ، وليس الكلام وحده ولا الكتابة أو النشر وحدهما بكافيين لكسب الرأي العام العالمي لمصلحة القضية العربية .

الدكتور بديع الكسم :

لا أظن أن واحداً منا قد خطر في باله لحظة واحدة ان طرح العلاقة بين الفكر العربي والعالمي بديل عن العمل الايجابي في تحرير الارض العربية من كل احتلال ، ومن الاحتلال الاسرائيلي بشكل خاص . ولو كان الامر كذلك لكانت هذه الندوة عقيمة فعلاً ، ولكنني أنظر اليها على انها محاولة لإيجاد عامل من الف عامل في كسب قضيتنا ، وقد أشار الاستاذ الدجاني كيف ان القلم السينائي او الجملة التي تكتب في كتاب ، انما هي ضمن مخطط مدروس للوصول الى اهداف الصهيونية .

أريد ان اسجل هذه الملاحظة لأني لاحظت من كثير من الإخوان ان موضوع العلاقة الفكرية بين العالم العربي والعالم الغربي ، انما هو عرض زائف للمشكلة الفلسطينية او لمشكلة الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية ، لذلك يجب ان نضع اهداف هذه الندوة في نطاقها الصحيح ، ومن هنا نستطيع أن نقول ان هناك جدوى فعلية من هذا اللقاء الفكري بين العالم العربي والغربي لسبب بسيط هو ان شرف الفكر العربي يجب ان يتجلى في مقاومة الفكر الاستعماري بأشكاله المختلفة ، سواء وصل الى نتيجة ام لم يصل .

لابد للفكر العربي ان يقول كلمته ، ولا بد له أن يعالج المشكلات ويتعاون مع الفكر الحر في كل مكان من اجل القضاء على اشكال الظلم المختلفة المتمثل في الحركة الاستعمارية .

الشيء الذي يمكن أن نستنتجه مما قيل هو ان الحجج العربية ليست معروفة في الغرب ، واعتقد ان هذه الحجج يمكن ان تعرف بسهولة ، بمعنى انه ليس من الضروري أن تكرر وتكرر حتى تصل الى الأذهان عن طريق التلقين، ولكن يمكن ان تنتشر وتدرس بعناية ، وهي مترجمة في الواقع الى اللغات ، ولكنها لاتلعب دورها ، فكأن المهمة ليست مجرد نقل هذه الحجج العربية الموجودة فعلاً والتي يمكن لأي مثقف في البلاد الأجنبية ان يطلع عليها ، وانما هو كيف لها أن تلعب دوراً حقيقياً . وهنا اعتقد انه لابد من ان نغير في انفسنا أولاً حتى نستطيع ان نجعل هذه الحجج قادرة على ان تقوم بوظيفتها .

لابد مثلاً من ان يرتفع مستوى الفكر العربي الى اعلى درجة ممكنة ، **يجب أن نشجع الاصالة والتعمق وحرية الفكر حتى يكون هذا رصيداً لنا في نشر حججنا القومية في المجال العالمي ، يجب ان يكون للفكر العربي نظرية عربية في معالجة المشكلة اليهودية نفسها ،** ذلك ان الفكر يتحسس بوجود مشكلة يهودية بدأت منذ القديم واحتدت حدتها في عهد النازية ، فلا بد اذن للفكر العربي من اجل ان يسهم في تحرير الفكر العربي من أوهامه ، او من دعاية الصهيونية ، ان يتقدم بنظرة واحدة واضحة مدروسة للمشكلة اليهودية نفسها ، علينا ان نفضح ماتدعيه الدولة الاسرائيلية من انها منفصلة عن الاستعمار الغربي ، لأنها استعمار مزدوج ، احتلال مباشر وبنفس الوقت تستمد قوتها الفعلية من الاستعمار الغربي .

إن واجب الفكر العربي تفنيد ادعاءات الصهيونية من جهة ، وابراز الواجب الانساني والشريف للنضال العربي من جهة ثانية ، واذا كنا نؤمن بالانسان ، فيجب ان نؤمن ان الاستاذ جاك بيرك ليس معجزة ، انما يوجد ايضاً آخرون يمكن ان يكونوا مثله في الدفاع عن قضايا الحق والعدالة .

أحمد عباس صالح :

ان ما قيل في هذه الندوة كلام طيب وصادق ، ومع ذلك فقد شعرت كمواطن بحيرة شديدة ، كما لو كانت كل السبل مسدودة أمامنا في صد هذا الاحتلال الغاشم الجاثم على صدر الامة العربية . فمثلاً هناك اجماع على انــه لاسبيل الى القضاء على هذا الاحتلال الا بالنضال . جميعنا نؤيد هذا النضال ونفتش عن طريق اليه . وكما قال الاستاذ الدجاني نحن إزاء معركة ارض ، وهذا حقيقي ، ولكن لماذا نجتمع منذ ١٩٤٨ حتى الآن مع ان مشكلة الارض كانت ولازالت قائمة . **الا يدعونا هذا الى اعادة النظر في البنيات الاجتماعية الداخلية للمجتمع العربي علّنا نجد الخطأ ونكتشفه ؟ هل تنقصنا مثلاً الرسالة بالمعنى العلمي ، أي الفكرة الشاملة التي يؤمن بها الشعب العربي ويبذل في سبيل تحقيقها الدماء؟**

نستطيع ان نقول هذا الى حدما ، وإلا فما هو تبرير أننا حتى هذه اللحظة لم نشهد رواية واحدة يستطيع ان يشير اليها الأستاذ الدجاني وينصح مثقفي الغرب بقراءتها ، ماهو السبب في ذلك ؟ هل نستطيع ان نرجع ايضاً مرة أخرى الى الكلام المكرر المعاد ، وهو ان الفكر العربي منقسم ومتوزع حسب الاتجاهات المختلفة ، وأن هذا هو الخطر الأساسي وأن كل فئة او طبقة في المجتمع العربي تحارب عن مصالحها قبل ان تتفهم روح القضية العامة التي فرضها الاحتــلال الاسرائيلي ؟ وبالتالي هل ينبغي ان نصرح ببعض الأفكار السائدة الآن مثــل فكرة الوحدة الوطنية لمواجهة اسرائيل ؟ أيرجع هذا للتناقضات الكامنة في

المجتمع العربي ؟ وبالتالي هل يجب علينا أن نفتش عن الوسيلة التي تقضي على هذه التناقضات ؟

هذا السؤال مطروح ولا أستطيع الاجابة عليه ولا أدري حقيقته . أنا شخصياً أعتقد أن التناقضات الاجتماعية الموجودة في العالم العربي هي السبب الاساسي في تخلف الوحدة الوطنية او الوحدة القومية ، وأنه لاسبيل الى تحقيق الوحدة القومية الا بتحقيق التناسق او التوازن الاجتماعي . أعني **بصراحة أنه لاسبيل الى هذه الوحدة ولاسبيل الى خلق دولة عصرية سوى الاشتراكية . ومن هنا تكتسب فكرة الوحدة العربية حديثاً مضمونها الاجتماعي شيئاً فشيئاً ، لأننا لانستطيع ان نفصل القومية العربية او الوحدة العربية عن هذا المضمون** . لأنه لايمكن أن تحقق من خلال التجارب الماضية إلا إذا كان لها مضمون اجتماعي يشدّ إليه جماهير الأمة العربية جميعاً .

الواقع أن الفكرة الاشتراكية مازالت تناهض حتى من المثقفين كما لو كانت وباء او خطراً اكثر من الوجود الاسرائيلي . الى الآن يحاول الجميع تجنب الفكر الاشتراكي والقيادات الثورية الاشتراكية ويستعلون عليها بأسباب وحجج كثيرة ، بعضها صحيح نتيجة الأخطاء ، وبعضها غير صحيح ، واعتقد أنه اولى للمثقفين ان يجروا حواراً متصلاً ومباشراً ويلتحموا مع القيادات الثورية الموجودة وان يدعموا هذه القيادات جميعاً كأفراد فيها وليس كأوصياء . أي أن يفتشوا عن شكل كامل موحد على الأقل في الدول الثورية . هذا هو واجبهم الأول ، ويبدو أن هذا لن يتحقق بمجرد الكلام والمناقشات والاجتماعات ، ولكن عن طريق النضال المباشر ضد هذا الاحتلال .

لاأعرف كيف يكون النضال . هناك من يقول ان هذه المعركة تستلزم

جيوشاً ، وقد يكون هـــذا صحيحاً ، وقد تكون المعركة على المستوى الشعبي ومستوى الجيوش النظامية هي الطريق الصحيح ، ولكن كل هذا مرتبط أيضاً بظروف ، فالجيوش تحتاج الى اعداد بعد الضربة التي نزلت بها ، والنضال الشعبي وحده ليس كافياً فماذا ينبغي عمله ؟ من السهل جداً أن نقول ان علينـا الذهاب الى الجبهة وبدء الحرب ، ولكن ماهي قواتنا ؟ سؤال آخر : هل صحيح أنه يجب علينا ان نتجه الى الغرب ونحاول اقناعه ونلجأ الى الحلول الديبلوماسية ، أم هل نلجأ الى الحل العسكري وحده ، أم هل نسلك كل هذه الاتجاهات المختلفـــة ونمارس كل هذه النشاطات ؟ كل هذا يحتاج في الواقع الى حلول محددة واضحة ، واعتقد انه بامكاني أن اقدم اقتراحاً يتعلق بدور المثقفين العرب ، ويمكن لهذه الندوة احتضانه . لماذا لاتوضع دراسة علمية توكل الى أعضاء هذه النـدوة حول تحليل الوضع الاسرائيلي في المنطقة العربية ككيان دخيل لاثبات مااعتقد انه حقيقي ، وهو ان هذه الدولة وفقاً للمفاهيم العامة والمنهج العلمي الاشتراكي دولة غير شرعية . اعني ان هذه الرسالة ينبغي ان تتوجه الى العالم الاشتراكي بطلب سحب الاعتراف باسرائيل على اساس التحليل العلمي المنهجي الذي يتفق مع الماركسية .

طبعاً لاادعي ان هذا الاقتراح سينتج عنه فوراً وبالضرورة ان تسحب الدول الاشتراكية اعترافها باسرائيل . فهذا اجراء خطير بالنسبة لهذه الدول وبالنسبة للظروف الدولية التي نعيشها ، ولكن يكفي ان نتقدم خطوة نظرية واحدة نحو بطلان الوجود الاسرائيلي وفقاً لمنهج علمي مجمع عليه حتى في الدول الرأسمالية .

المنهج العلمي أصبح منهج الجميع على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والنظرية

ونحن نستطيع ان نتقدم بهذا التحليل الذي لم يوضع مع الأسف بعد بشكل شامل . ينبغي أن يوضع هذا التحليل وان يطرح على كل اشتراكي وعلى كل انسان ودولة يؤمن بالمنهج العلمي الاشتراكي أن يسحب اعترافه باسرائيل . هذا التحليل له مزية أخرى وهي انه لن يكون موجهاً فقط الى العالم الخارجي ، بل كذلك الى الأمة العربية ، وهو سيحدد فكرتنا ومنهجنا وتصورنا للعدوان القائم في المنطقة واعتقد أيضاً انه سيحدد طريقتنا في إزالة العدوان والوجود الاسرائيلي. اذا وجد لدينا تحليل علمي صحيح يقول ببطلان وعدم شرعية قيام اسرائيل ، فاننا نستطيع من نقطة البدء هذه مخاطبة العالم والتحرك من أجل تحقيق حريتنا ، لأن هذا المنهج هو منهج اشتراكي ؛ واذا ما طرح في العالم ، والعالم الخارجي ، ولقي موافقة ، فان معنى هذا اننا وضعنا بذرة اولى للتوحيد ، وبالتالي طريقاً صحيحاً الى النضال ضد الاستعمار الاسرائيلي ، المرتبط بالاستعمار العالمي كما قلنا .

اديب اللجمي

ربما كان من المفيد ان نعيد التذكير بأننا ، في هذه الندوة ، اردنا أن نطرح مشكلات وموضوعات ، لنحاول بصدق وجدّية ونزاهة تلمس معالجتها . والموضوعات حول القضية الفلسطينية كثيرة جداً ولاشك . ونحن لم ندع ، حين طرحنا معالجة موضوع المثقفين العرب امام قضية فلسطين ، اننا نبغي من وراء ذلك الإحاطة بموضوع فلسطين كله ، فمثل ذلك يتجاوز إطار هذه الندوة وحدودها لأنه ببساطة هو موضوع الأمة العربية كلها في هذا القرن .

ولكن تحديد المشكلات المطروحة على البحث ، يفيد كثيراً في الابتعاد عن الاستطراد اولاً ، وفي اجراء تحليل دقيق للمشكلة ثانياً ، وفي اجراء دراسة نقدية لكل جانب من جوانبها ثالثاً ، كي ننتهي الى طريق الحل . فبقدر ماتتركز المناقشة على موضوع بعينه ، يزداد تعمقنا به ، ويصبح ايضاحه واستجلاؤه أقل صعوبة ، فتكون الفائدة من طرحه اكثر جدوى .

وقد بدا لي ، في ندوة هذا المساء ، أن موضوعات كثيرة قد اثيرت ، دون ان يكون لبعضها صلة مباشرة بموضوعنا الأساسي ، وهو : **هل تمكن المثقفون العرب من اكتساب الرأي العام الغربي لقضيتهم** ؟ هل تمكن المثقفون العرب من اقامة حوار مفيد مع مثقفي الغرب يخدم الحق العربي في فلسطين ؟ ما هي شروط هذا الحوار ؟ وما اسباب تحفظ كثيرين من مثقفي الغرب تجاه نصرة القضية العربية ؟

اذا قلنا ان ثمة أستحالة ، كما قيل في هذه الأمسية ، لولوج الفكر العربي الى الفكر الغربي ، فنحن نكون قد انكرنا الواقع ، **إن الغرب لم يعدم وجود مثقفين احرار يدافعون عن الحق أنى كان ، ولكن علينا نحن أن نوصل هذا الحق اليهم**. إن قيام طائفة من المثقفين الفرنسيين الكبار بتشكيل هيئة للدفاع عن الثورة العربية وعن الحق العربي ، بمناسبة العدوان الاسرائيلي الأخير، دليل على أن وجود امثال هؤلاء الشرفاء يجب ان يشجع المثقفين العرب على ان يوثقوا من صلاتهم معهم ، ويساعدوهم في مهمتهم التي تستهدف فضح العدوان الاسرائيلي ونصرة الحق العربي .

ويحدث احياناً أن يطلب الينا ، نحن المثقفين العرب ، ان نعرض قضيتنا على مثقفي الغرب والرأي العام الغربي ، فنتخلف عن المهمة ، او نؤديها بشكل ناقص او مشوه ، اذ لانصرف في سبيل ادائها الجهد الذي تستحقه . أعطيكم مثالاً على ذلك : قرر الكاتب الفرنسي جان بول سارتر اصدار عدد خاص من مجلته « الأزمنة الحديثة » لمعالجة موضوع الصراع العربي — الاسرائيلي . وترك الباب مفتوحاً لكل من الفريقين يعرض وجهة نظره ، ويدافع عن قضية شعبه . وقد اشترك عــدة مثقفين وباحثين عرب في هذا العدد الخاص ، وكتبوا مقالات عدة ، ومن بينهم الاستاذ برهان الدجاني نفسه . ولا أكتمكم القول إن كثيراً من المقالات التي قدمها الباحثون العرب كانت مرتجلة ، وذات طابع صحفي يومي ، وسطحية جداً . هذا مع العلم بأن عدد المجلة المذكورة كان فرصة ثمينة جداً بالنسبة لنا ، لنعرض فيه وجهة نظر أمتنا ، من مستوى ثقافي رفيع ، وبطريقة تحليلية دقيقة يحرص عليها الغرب المثقف كل الحرص ذلك لأن المجلة هي مجلة المثقفين الفرنسيين ، وخاصة اليساريين . لقد حدثت المناسبة ، ولم نعرف نحن كيف نتلقفها .

هنالك مناسبة اخرى سنتحدث عن قريب ، اذ سيصدر السيد جان ماري دومناك M . Jean - Marie Domenach مدير مجلة « الفكر Esprit » عدداً خاصاً من مجلته في سنة ١٩٦٨ يعرض فيه وجهة نظر العرب حول مجتمعهم واهدافهم ونظرتهم الى المستقبل ، وجهودهم في اقامة مجتمع عربي جديد ، وفهمهم للقضية الفلسطينية ولاسرائيل . وكانت المجلة المذكورة قد اصدرت عدداً خاصاً في سنة ١٩٦٧ خصصته لاسرائيل ، وعنوانه : « اسرائيليون يتحدثون عن اسرائيل » . قد يقول المطلعون على مشروع السيد دومناك انه قد كلف بالكتابة عن العالم العربي ، اشخاصاً لا يمثلون الفكر العربي المعاصر تمثيلاً صحيحاً . وفي رأيي ان القضية لا تطرح بهذا الشكل . ان علينا نحن أن نقرع الباب على السيد دومناك قبل ان يطلب الينا الكتابة ، علينا ان نذهب نحن الى الغرب ، لا أن نطلب الى الغرب ان يأتي الينا . هذا جزء كبير من معركتنا مع الصهيونية ، يجب ان نؤديه بشكل جيد .

أعود فأقول اذا كان علينا ان نسلم كمثقفين عرب بأن لا سبيل الى كسر هذا السد الرهيب الذي تقيمه الصهيونية العالمية في وجه المثقفين العرب لتمنعهم من الاتصال بمثقفي الغرب ، فاننا نكون قد بحثنا عن الحل السهل ، وهو التخلي عن بذل الجهد المطلوب في سبيل الوصول الى الغرض المنشود .

ان من اهداف ندوتنا هذه ان نستخلص ما ينبغي ان يكون عليه الفكر العربي والمثقف العربي ، حتى يستطيعا ان يصلا الى اقناع مثقفي الغرب بوجهة النظر العربية في موضوع فلسطين . ومعنى هذا ان نجاح مهمتنا في الخارج يتطلب منا ان نوفر شروطاً معينة لفكرنا في الداخل ، ان المثقفين العرب بحاجة الى إعداد هنا ، في داخل الوطن العربي ، الى إعداد من جميع الوجوه . اننا نحن المثقفين

العرب حين نكتب بحثاً من البحوث نملؤه بالاحكام المتسرعة والتقديرات الارتجالية التي تفتقر الى الكثير من التوثيق والرصانة .

هذه بداية . وانا لا أطرح هنا المشكلات بعمق وإحاطة كلية . لكي يتمكن الفكر العربي من ان يصبح مسايراً جزئياً او كلياً للفكر الغربي والفكر العالمي الحديث ، يجب ان يجهد ليرتفع الى المستوى المطلوب . هل باستطاعتنا أن نفعل ذلك ؟ في اعتقادي ان ذلك ممكن . فما من شيء مستحيل في حياة الانسان ولا في حياة الشعوب . مادام علينا مسؤولية ، فيجب أن نقوم بها . **ان الفكر العربي بحاجة الى الانطلاق** . هذه حقيقة بينة . وانا هنا كمثقف عربي لا اتحدث ابداً عن انظمة عربية معينة ؛ انما يمكنني ان اقول ان الفكر العربي من الخليج الى المحيط بحاجة الى تحرر ، تحرر من الداخل ، لكي ينطلق ويتفجر ويبدع ، لا ادباً ومقالة وخطاباً وحسب ، بل علماً وتقنية وفناً وادارة وسائر وجوه البناء الاجتماعي والاقتصادي الحديث . ان مجرد تحقيق ذلك هو فرض الشخصية العربية والحضارة العربية على العالم الخارجي .

ان وسائل بلوغ العالم الخارجي والوصول الى المثقف الغربي كثيرة . وكلكم تعلمون اننا تخلفنا عن النهوض بهذه المهمة بشكل جدّي . أعطيكم بعض النماذج : عندنا جامعة للدول العربية ، لها مكاتب في بعض عواصم العالم الغربي. واذا كانت لهذه المكاتب رسالة ، فرسالتها الأولى تتعلق بشرح قضية فلسطين وتعريف الغرب بها بصورة صحيحة ونزيهة . فماذا تفعل هذه المكاتب في هذا الموضوع ؟ كلكم تعلمون التفاصيل ، ولا حاجة الى الإفاضة بها ، اننا نفوّت في كل يوم فرصاً ، هي ، على صغرها ثمينة ، ولا تستحق الإهمال .

مثال ثان : للعروبة طلاب ومثقفون وجاليات بالألوف وعشرات

الألوف في مختلف اقطار العالم ، وبصورة خاصة في اوروبا الغربية . هؤلاء الألوف من الشبان المثقفين العرب ، لم يفكر أحد جدياً بتعبئتهم وتنظيم طاقتهم الفكرية ولو جزئياً لخدمة القضية الفلسطينية . ان في هذا المجال وحده امكانات لاحصر لها .

مثال ثالث : حين نحاول ان نصدر كراساً اوبياناً باللغات الأجنبية نعرض فيه قضيتنا وحقنا المهدور على الضمير العالمي ، تقضي الأيام تلو الأيام في اعداد النشرة ، ثم الأيام تلو الأيام لإرسالها الى الخارج ، بحيث تصل النشرة الى الرأي العام الأجنبي — اذا اتيح لها أن تذهب — بعد فوات الأوان والمناسبة بزمن طويل .

مثال رابع : كان بامكاننا ان نقيم بيوتا واندية عربية توصل الكتاب العربي الى اماكن مختلفة في بلاد الغرب . ولم نفعل ذلك حتى الآن ، علماً بأن عندنا ملايين الكتب التي تقبع في الاقبية المظلمة ، ومع ذلك فنحن نضن عليها بأن تذهب الى مكتبات الغرب او الى ايدي القراء .

هذه وقائع نعيشها بلحمنا ودمنا . ونحن كمثقفين مطالبون بشجبها والقضاء عليها . المثقفون العرب كان باستطاعتهم ، ولايزال باستطاعتهم التأليف والكتابة بصورة جدية حول قضية فلسطين ومن مستوى رفيع احيانا . الا ان ثمة آلاف العقبات والمتاهات السحرية التي تعيق وتحول بين المشروع كفكرة، وبين تنفيذه وتحويله الى الواقع . أقول ان المثقفين العرب كلهم مقصرون . ونحن لازلنا نحس بالمشكلة ، فنحن اذن امامها ، نعيها ولانعرف كيف نحللها ، امامنا وسائل عديدة وامكانات كثيرة ، علينا ان نفيد منها . أذكر انني اشتركت في اجتماع في نطاق جامعة الدول العربية ، لإقرار مشروع انتاج فيلم سينمائي على مستوى عالمي ، يدافع عن

وجهة النظر العربية في قضية فلسطين . وقد قدرت نفقات أنتاج هذا الفيلم بحوالي مليوني جنيه استرليني . وقد اقر المشروع ، ولكن التنفيـــذ مازال معلقاً . إنني كمثقف لااستطيع ان أقول ان هناك قوى صهيونية عاتية تحول بيني وبين النفاذ الى الغرب ، بالعكس ، ان الإمكانات التي بين أيدينا كثيرة ، ولا يجوز ان نهملها .

لقد كان باستطاعة المثقفين العرب ، عشية عدوان اسرائيل في الخامس من حزيران (يونيو) الماضي ، ان يتنادوا ويتباحثوا في أمر دعوة اخوانهم المثقفين في الغرب الذين يؤيدون القضية العربية ، كي يأتوا الى مكان العدوان ويروا بأنفسهم جرائم الصهيونية وآثامها بحق العرب الأبرياء الذين أصابتهم قنابل النابالم ، ومئات الألوف الذين طردتهم اسرائيل من القنيطرة والضفة الغربية وغزة وسواها ، ان امثال جاك بيرك موجودون في الغرب ويجب ان نفيد منهم افادة كلية . فقد يكونون اليوم مائة ، وغداً بجهودنا وعملنا قد يصبحون ألوفاً . علينا اذن ان نقيم هذا اللقاء الفكري معهم بصورة مستمرة ، وانا واثق بعد ذلك من أننا نكون قد أسهمنا اسهاماً ايجابياً في كسب جانب من جوانب قضيتنا .

اليوم الثالث

رئيس الجلسة : الدكتور محمد أنيس

المشتركون في البحث والمناقشة :

- الأستاذ انطون المقدسي
- الدكتور نور الدين حاطوم
- الدكتور أحمد سليمان الأحمد
- الاستاذ أديب اللجمي
- الأستاذ برهان الدجاني
- الدكتور سعدون حمادي
- الدكتور عبد السلام العجيلي
- الدكتور جودة الركابي
- الأستاذ أحمد عباس صالح
- الأستاذ جاك بيرك
- الأستاذ عبد الهادي هاشم
- الدكتور بديع الكسم
- الأستاذ علي محسن زيفا

رئيس الجلسة : الدكتور محمد انيس

حديثنا في هذه الليلة يستهدف مناقشة توقعات المستقبل ، ومسؤوليات المثقفين العرب بشأن فلسطين ، وتشمل هذه التوقعات مايلي :

١ - ماينتظر من المثقفين العرب في مجال مراجعة القضية .

٢ - ماينتظر من المثقفين العرب على الصعيد العربي القومي . وهذا الجانب يمكننا تقسيمه الى شقين :

آ - علاقة المثقفين العرب بالجماهير العربية .

ب - اسهام المثقفين العرب في تكوين مجتمع عربي تقدمي موحد .

٣ - ماينتظر من المثقفين العرب أن يقدموه الى العالم الخارجي كصورة لائقة لقضية الحق العربي في فلسطين .

انطون المقدسي

يبدو لي اننا خرجنا أحياناً في الجلستين السابقتين عن موضوع ندوتنا . وأود ان اعود اليها فأتقيد بموضوعها وبشكل خاص بموضوع هذه الجلسة ، فأبين الدور الذي لعبه المثقفون في الثورة العربية ، وما يجب عليهم ان يقوموا به كي تحقق هذه الثورة اهدافها ، ومنها بالدرجة الأولى القضية الفلسطينية . واسمحوا لي ان أبدي اعتراضاً اساسياً على الطريقة التي عولج بها الموضوع احياناً في الجلستين السابقتين . فقد اخذت الكلمات شكل حديث منفرد (مونولوج) . والاصل في الندوات الحوار ، لأن الحقيقة ، كما رأى افلاطون ، تنكشف عندما يتبادل المتندون الرأي بينهم . ولهذا سأبدي رأيي في ما قاله بعض الاخوان في الجلستين السابقتين .

لايحق لنا أن ندين المثقف العربي ادانة مطلقة كما فعل بعض الزملاء ضمناً أو صراحة :

ليس المثقفون هم الذين أشعلوا الثورة العربية ، فقد بدأت هذه على شكل تمرد على الحكم التركي في اواخر القرن التاسع عشر ، أو ، اذا شئتم ، على شكل يقظة عندما شعر العرب انهم ، بحكم تراثهم وتاريخهم ، يؤلفون جماعة قومية لها كيانها الخاص . ثم تحولت اليقظة وتحول التمرد الى ثورة خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها . وتحولت حركة الجماهير العفوية المبعثرة الى حركة شبه منظمة وذات اهداف محددة خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة بفضل المثقفين . ان من يدرس تاريخ المشرق العربي خاصة في هذه الفترة يلاحظ بما لايترك مجالاً

للشك ان الثورة الراهنـــة بدأت في المدارس الثانوية والجامعات بفضل بعض الاساتذة الذين كانوا يحركون الافكار بدروسهم وبالحلقات التي كانوا يعقدونها مع الطلاب والزملاء من المدرسين . في هذه الفترة بالذات بدأ التجاوب بين المثقفين وبين الجماهير الشعبية . ان الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة كانت غنية بالافكار ، فالاحزاب والنوادي والحلقات والكتب التي كانت تتداول هي التي أدت الى تحديد اهداف الامة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ان الثورات تبدأ كلها على شكل حركة فكرية ، فالذي مهد وخطط للثورة الفرنسية هم ديدرو ، وروسوو الموسوعيون ، الخ ، وكذلك الثورة الشيوعية خطط لها ماركس وانجلز ، وأشعلها لينين .

ليس صحيحاً كما قيل ان المثقفين في (البلدان المتخلفة) هم بالضرورة من ابناء الطبقة المترفة . فمن يتتبع تاريخ التعليم في سورية ، ايام الانتداب وبعده ، يلاحظ بوضوح ، لايترك مجالاً للشك ان ابناء الطبقتين المتوسطة والفقيرة هم الذين تعلموا وخططوا للثورة ثم تسلموا الحكم . ان نقطـــة الضعف في مثقف البلدان (المتخلفة) هي انه موظف ، والموظف مرتبط بالحكم الذي يدفع له مرتبه .

ولكن الفكر العربي قصّر :

١ ـ عندما كشفت المعركة الاستعمارية عن أبعادها ، فابتدعت الاستعمار الجديد واساليبه غير المباشرة ، التي تتلاعب بالاقتصاد والمجتمع والحياة السياسية ، فاصطنع دولة اسرائيل قاعدة له وزودها بالعتاد الحربي والاموال ، لتهدد استقلال الدول العربية ووجود هذه الدول . وتسارعت الاحداث وازدادت المعركة ضراوة واضطر الحاكم ، عن قصد او عن غير قصد ، ان يعلق الحريات وان يرتجل الحلول .

٢ – وعندما كشفت الثورة عن أبعادها : فالتحويل الاشتراكي ليس بالأمر السهل ، اذ لا يمكن بقرار أو في وقت قصير تحويل المجتمع من بنيته القديمة (الاقطاعية العائلية) ، ومن ثم (شبه الرأسمالية) الى بنية اشتراكية قوامها النقابات والاتحادات . فالاشتراكية تربية كاملة للشعب والمثقفين والقادة ، وكل هذا لا يرتجل . ليست الثورة الاشتراكية عملية (اوتوماتيكية) كما توحي بذلك ماركسية مبسطة لا تمت بصلة لا الى ماركس ولا الى أي مفكر اشتراكي آخر . فالمجتمع العربي منذ قرون قائم على بنى قبلية وعائلية هي التي مكنته من الاستمرار بالوجود عبر القرون الاستعمارية المظلمة . وهذه البنى لا يمكن ان تتبدل بين عشية وضحاها ، اذ أنها ذات تقاليد راسخة في أعماق النفوس .

٣ – وثمة سبب آخر قلما ننتبه اليه مع انه اساسي عندما نريد أن نفهم حركة الفكر العربي ، الا وهو **تعارض الأجيال** . ففي خلال عشر سنوات تقريباً أزيح عن مسرح الاحداث العربي الجيل الذي بشر بالثورة وصاغ مفاهيمها في الوحدة والحرية والاشتراكية بعيد الحرب العالمية الثانية ، وحل محله جيل آخر يتنكر له الآن . ولا يحق لنا ، اذا اردنا أن نكون منصفين ، لا ان ندين الأول ولا ان ندين الثاني ، ولكن من واجبنا ان نبين نقاط الضعف والقوة في كل منهما .

حرية المثقف ... هل هي مفتاح الحل ؟

ان الجيل الأول يتهم الثاني بانه علق الحريات وبذلك شل عمل الفكر . اما الثاني فيتهم الأول بانه خان الثورة اذ ارتبط ، عن قصد او عن غير قصد ، بالبورجوازية . وقد لاحظنا هذين الرأيين بوضوح في الجلستين السابقتين . هذه الاتهامات ، وان كان لهـــا بعض الصحة ، فهي تطرح المشكلة طرحاً مغلوطاً . فالحرية ليست وثائق وكتباً ، كما يظن بعض الذين يطالبون بها وان كانت الكتب والوثائق من مستلزمات التفكير الحر . وليست وضعاً يصل اليه

الانسان ويستقر فيه. الحرية تنتزع انتزاعاً، وعندما يصمم الانسان على أن يكون حراً فلا توجد قوة في العالم ان تنتزع منه حريته. ولكن المثقف عندنا مصاب بعقدة الخوف والتبعية فهو كالعصفور امام الباشق. كما ان الحاكم لم يستطع التخلص من رواسب الماضي فهو ايضاً مصاب بعقدة الخوف من الانفتاح.

الفكر حوار

اذا كان الفكر العربي مصاباً بعقدة الخوف او الانغلاق فيجب عليه أن يتحرر منها بالانفتاح اذ يقيم حواراً على كل المستويات: بينه وبين الفكر العالمي؛ بين الحاكم والمثقف؛ وبين هذين الاثنين والشعب (اذ ان الحوار هنا ايضاً معطل)؛ بين الأجيال ماتكون منها وما سيتكون، بينه وبين ماضيه الخ.

الحل بيد الأمة

المشكلة الفلسطينية مشكلة كلية ذات مستويات متعددة. فهي شعبية وفكرية وسياسية. واذا اهملنا واحداً من هذه المستويات اصبح الحل مستحيلاً. فالفكر هو الذي يخطط والسياسي هو الذي يتخذ القرارات، والشعب هو الذي يوحي ويحرك وينفذ.

ومتى تكوّن الفكر العربي علمياً اصبح باستطاعته ان يلعب دوره كاملاً وان يقيم الحوار على كل المستويات. وعندئذ يكون الشعب قد تكوّن والامة قد تكوّنت.

الدكتور نور الدين حاطوم :

الفكرة الأولى التي أريد أن أعرضها هي قضية اسمها « تثقيف المثقفين » . هذه الناحية ألح عليها لأن الملحوظ في بعض البلدان العربية أن المثقف لايستطيع أن يبقى مثقفاً الا اذا كان مستمراً في تثقيف نفسه ، والا لم يعد مثقفاً ولا أهلا لأن يثقف غيره . ووسيلته الى الثقافة هي الاطلاع على الصحف والمجلات ، وعلى الكتب التي تتعلق باختصاصه ، وعلى كتب الثقافة العامة ، وعلى كل مايجعله متصلاً مع بلده ومع بلدان العالم .

والثقافة يجب ألا تمنع عن المثقفين لأسباب سياسية . ان كثيراً من الكتب التي قد يكون لها علاقة مثلاً بالقضية الصهيونية او بقضايانا العربية تمنع عن المثقفين . والسؤال الذي اطرحه : لماذا تمنع ؟ ولماذا نخشى من اطلاع المثقف عليها . اننا لانستطيع ان نجابه التحديات الا اذا عرفنا حقيقتها على الوجه الاكمل . وإذا عرفناها علماً استطعنا أن نرد عليها .

ولكن الاباحة وحدها لاتحل المشكلة . اذ من الضروري أن يتعمق المثقفون العرب في الثقافة ، حتى نستطيع أن نسميهم مثقفين . ومن يريد أن يثقف المثقف يجب ان يكون على ثقافة أعلى . فالقضية اصبحت الآن مطروحة على بساط البحث امامنا وامام العالم ، لاسيما وان القضية الصهيونية تتحدى .

والفكرة الثانية التي اريد ان اتعرض لها هي قضية اللقاءات الفكرية ، واستمرار هذه اللقاءات بين مثقفي العرب ومثقفي العالم .

تحدث كثير من السادة المتندين بأننا لانستطيع ان نفعل شيئاً أمام الغزو الفكري الصهيوني . استطيع ان اقول انه بالرغم من كل هذه الموجة العارمة نستطيع ان نقول اشياء كثيرة لابد أن تترك أثراً لمصلحتنا . اضرب مثلاً على ذلك : الصهيونية تستطيع ان تغزو جامعات العالم والمنتديات الفكرية العالمية ، وان تترك آثارها في المثقفين . ولكن لو ذهب مفكر عربي وتكلم في محاضرة او حديث فلابد أن يجد أناساً يستطيعون ان يسمعوا له . فاذا ماسمع اولئك لصهيوني يتكلم ، أمكنهم أن يقولوا له : ولكننا سمعنا رأياً آخر يخالف ذلك . وبذلك نكون قد فتحنا الطريق كي يستمعوا الى رأيين .

الفكرة الاخيرة التي اريـــد ان أشير اليها هي قضية المكاتب الثقافية الملحقة بالسفارات والموجودة في البلدان الأجنبية .

أول ما يفعله الملحقون الثقافيون الأجانب عندما يأتون الى بلادنا هو أنهم يحتكون بالمثقفين . فيتصلون بالاساتذة المفكرين والفنانين ، ويتصلون بالوزارات المسؤولة ويحاولون ان يعطوا نموذجاً عالياً عن ثقافتهم وحضارتهم بشكل يحببنا بثقافة بلادهم وبرجال الفكر عندهم ، وبشكل يحببنا بعقد الصلات الودية معهم .

فهل حدث مثل ذلك بالنسبة لملحقينا الثقافيين ؟ هل ذهب مستشار ثقافي يمثل وجه بلاده ويستطيع أن يتحدث بعدة لغات ، وان يدعو الى محاضرات أو ندوات ، وان يتصل بالفكر الغربي وان يعرض قضايا بلاده ، وان يعقد الصلات الودية والفكرية بين البلد العربي الذي ينتمي اليه والبلد الاجنبي الذي ندب اليه؟!

أعتقد انه اذا صح ذلك فعلى نطاق ضيق جـــداً . المفروض في الملحق الثقـــافي انه انسان مثقف ، وانه يستطيع بما لديه من ثقافة ان يحل المشكلات الثقافية . وهو موجود في عاصمة فيها الجامعات وفيها المكتبات ، وفيها كل وسائل العمل الفكري . ولكنه لايحاول مع هذا حل هذه المشكلات ، وانما يرسلها الى وزارة الخارجية لتحولها بدورها الى الجامعة . فمثل هذا الشخص لايقدم صورة حية مباشرة للثقافة العربية .

الدكتور احمد سليمان الاحمد :

سمعنا جميعاً عن موقف عدم رضى ، بل ورفض احياناً لموقف الحكومات الاشتراكية من العرب ضد اسرائيل، قام في اوساط الكتاب والمثقفين في اكثر من بلد اشتراكي . وقد نعلل مثل هذا التصرف بالجهل وبالوقوع فريسة للدعاية الصهيونية . والواقع أننا بحاجة الى اقامة حوار واتصال مع المثقفين في البلدان الاشتراكية كذلك . ولعل النجاح الذي سيقابلنا في هذا الميدان سيكون بمثابة تشجيع ومراس .

وهناك الحوار ايضاً مع مثقفي امريكا اللاتينية ، ثم مع مثقفي الغرب . ولعل هذا الحوار الأخير كان المقصود في ندوتنا . وأعتقد ان أساليب الحوار تختلف في هـــذه الحالات الثلاث ، ولكن الغاية التي نطمح اليها واحدة ، وهي الاقناع والاكتساب الى جانبنا بطريقة فاعلة ومجدية .

أساليب هذا الحوار اشار اليها الزملاء اجمالاً وتفصيلاً . ولكنني سأنطلق نظرياً من الاقتراح الذي اقترحه الاستاذ احمد عباس صالح . إن التحليل العلمي للوضع الاسرائيلي ككيان دخيل غير شرعي خطوة نظرية نحو بطلان الكيان الاسرائيلي من جهة ، وسلاح ايديولوجي للفكر العربي ومنطلق نظري لكل حوار.

تلك هي القاعدة العامة النظرية ، ولكن الاساليب تبقى شيئاً ذاتياً. إن المثقفين لم يكونوا بالطبع المسؤولين مباشرة عن النكبة ، ولكنهم يشاركون في هذه المسؤولية وعلينا ان نعترف بذلك .

شارك في النكبة عدة عوامل من بينها السيطرة الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد ، وانعدام الديموقراطية الثورية، وانقسام القوى الثورية، والوضع المادي والسياسي المفروض على الجماهير، ووجود العناصر الرجعية وعملاء الامبريالية وغير ذلك . ولاشك ان واجب المثقفين العرب ان يكافحوا ضد هذه الأمراض وأن يقيموا حواراً مستمراً فيما بينهم . ومن واجبهم ازالة المفهوم الخاطىء ، الذي يرى في اليهود ضحايا النازية ورسل المدنية الى شرقنا المتأخر، وأن اسرائيل دولة صغيرة متقدمة ترغب في السلام . ومن واجبهم الاستفادة من المعاقل التي لم تفتحها الصهيونية . وقد ذكر الزملاء من هذه المعاقل الماركسية والكنيسة الكاثوليكية . ومن واجبهم توضيح علاقة الامبريالية بالعالم الثالث بمختلف أساليبها.

اديب اللجمي :

توخينا في مناقشات هذه الليلة أن تكون مركزة على تطلعات المستقبل وما ينشده المثقفون العرب من أمان يراد لها ان تتحقق سواء بالنسبة لموضوع فلسطين ، او الموضوع الأشمل وهو الوجود العربي . ان هذه التوقعات التي يحرص عليها المثقفون العرب تبدأ في تقديري بمراجعة نقدية لكل ما قدمه المثقفون العرب طوال السنوات الخمسين التي انصرمت . هذه المراجعة تبدأ بمراجعة النفس . وأنا لا أقول ان الانتاج الذي قام به المثقفون خلال هذه الفترة الطويلة كان عقيماً او فاسداً كله . ولكن هذه المراجعة او ما يسمى « بالنقد الذاتي »ضرورية« على ان تتم بروح جدية صادقة : بذلك نكتشف ان كثيرين من المثقفين العرب ضللوا انفسهم قبل ان يضللوا الجماهير ، ودغدغوا انفسهم في احلام واوهام .

كثيرون من اخواننا المثقفين العرب كانوا يصورون لنا اسرائيل على أنها مسخ . وهذا ، ان كان يصح في مجالات الدعاية في الصحف اليومية ، فهو لا يصح ابداً في الانتاج الفكري وفي معرض المواجهة الفكرية الحقيقية .

ان الفكر العربي لا ينقذه النفاق ، ولا أنصاف الحلول ، بل الرجولة والشهادة في سبيل حقيقته . نحن نعلم أن اسرائيل ليست وحدها في الميدان وأن قضية فلسطين ، اذا كانت قضية تهدد قوميتنا من وجهة النظر العربية ، فانها قضية امبريالية كذلك . ان العرب اذ يكافحون الصهيونية فانما يكافحون امبريالية ، ويكافحون استعماراً ، مازال يحن الى منطق فتوحات القرن التاسع عشر : وهم بهذا يلتقون في كفاحهم مع جميع الشعوب التي تتصدى للاستعمار الجديد .

من حقنا ومن واجبنا ان نعرف كيف تعرض اسرائيل نفسها ، اننا لانستطيع ان نعرض اسرائيل على انها مسخ ، وانما نستطيع ان نعرّيها بدراسات جدية علها تبين ابعادها وأخطارها وقوتها الحقيقية والقوى التي تسندها. يجب ان نهيء المواطن العربي لمعركة استرداد الحق العربي وهو يعرف قوى عدوه ، وحين يمضي ليعارك فكراً أوعملا أوقتالاً عسكرياً ، يعارك عندئذ وهو يعلم الهدف الذي ينشده .

اذا كان بعض المثقفين العرب يظنون ان الثقافة هي جمع الأموال والألقاب فالأمة العربية يجب أن تنبذ مثل هذا التفكير . فلا كرامة لمثقف عربي في وطن لا كرامة له ، نحن جزء من العالم . واذا كانت نظرة العالم الخارجي الى الأمة العربية نظرة فيها استخفاف ، فان هذه النظرة ستشمل المثقفين العرب كذلك . من هنا أطالب المثقفين العرب بأن يمارسوا ثورة على أنفسهم قبل أن يمارسوها على الآخرين . اذ لايجوز لغير ثوري أن يمارس الثورة على الآخرين والا كان متسلطاً .

فالمراجعة اذن شرط لكي نتمكن من تحقيق مانرجوه في تكوين الجماهير العربية التي تعي قضية فلسطين في نطاقها القومي أولاً وفي ملابساتها ومواصفاتها العالمية ثانياً .

العرب وحدهم هم القادرون على تحرير فلسطين وعلى الإبقاء على هويتهم العربية . اندعم وتأييد العالم الاشتراكي ، وتأييد الأصدقاء في العالم الخارجي لنا مرهون بمدى وعينا ومدى حرصنا على أن نحافظ على هويتنا وعلى حقوقنا ، وعلى أن نكون أقوياء فكراً وعملاً في الدفاع عن وجودنا وحضارتنا .

قلت ان قضية فلسطين قضية قومية أولاً . ومن واجب المثقفين ان

يدرسوها كذلك . ومن المؤسف ان تكون رواية «الطريق الى بئر السبع» قد كتبتها إثيل مانين ، ولم يكتبها كاتب عربي ، إن لهذا دلالته ، وهي أننا نحن المثقفين العرب لم نكن نعيش قبلاً قضية فلسطين ، بل كنا نتاجر بها – كمثقفين – عن طريق مقالات أو بحوث أو كتب نقدمها لنقبض عنها الأجر . إن موضوع فلسطين ليس موضوعاً للإثارة العاطفية . إنه موضوع يستحق أن ينال ولو جزءاً يسيراً من الجهد الجدي الصادق المتعمق من المثقفين العرب. لهذا يحسن أن يلتقي المثقفون العرب فيما بينهم ، بصورة دائمة ،وأن يتبادلوا الرأي في موضوع فلسطين وتطوراتها . ومن عوامل تيسير هذه اللقاءات بينهم ، انشاء اتحادات عربية للمثقفين العرب في مختلف أقطارهم .

ان المثقفين العرب مدعوون الى الاسهام في إقامة المجتمع العربي الحديث ، الذي لايمكن إلا أن يكون مجتمعاً عربياً وحدوياً اشتراكياً . ولكي تتمكن من إقامة هذا المجتمع لابد لنا من أن نعبىء لمعركة التحرر من الصهيونية والامبريالية كافة قوانا وجهودنا وعقولنا ، وأظن بأن الدور الذي يقع على عاتقنا ، نحن المثقفين ، كبير جداً .

لقد كانت هذه الندوة تمهيداً وفاتحة لندوات أخرى ، ولقاءات عديدة مقبلة . انها فتحت الحوار بين المثقفين العرب أنفسهم من جهة ، وبينهم وبين مثقفي العالم من جهة اخرى . اننا واثقون من أن أكثرية مثقفي العالم ، حين يعرفون الحقيقة كاملة عن الصهيونية واسرائيل ، سينتصرون لقضيتنا ويتركون الزيف الدعائي الصهيوني ، لهذا فانني مرة اخرى أؤكد على ضرورة الحوار بين مثقفي الوطن العربي ومثقفي العالم ؛ يجب ألا نترك مناسبة في المستقبل إلا ونفيد منها لعقد هذا الحوار .

برهان الدجاني :

نحن ندرس واجبات المثقف العربي إزاء قضية الغزو الصهيوني . وأعتقد ان هذه الدراسة يجب أن تحاول ، لكي تكون مجدية ، استقصاء المجالات المختلفة التي يمكن للفكر العربي أن يعمل فيها وان يقدم خدماته للأمة العربية .واستطيع أن أبين المجالات التالية :

أولا : دراسة الصهيونية . الفكر العربي لم يدرس الصهيونية . وهذا غريب أن لايستطيع شعب، تعرضت بلاده للغزو ، أن يدرس خصمه ويتفهمه . وأذكر أيضاً على سبيل المثال لا الحصر في هذا المجال بعض العناوين التي تصلح لدراسات لالدراسة واحدة : المؤتمرات الصهيونية . منذ عام ١٨٩٨ والصهيونية العالمية تعقد في كل عام مؤتمراً . وقد شارفت هذه المؤتمرات على السبعين مؤتمراً . وكل وقائع هذه المؤتمرات منشورة بمجلدات باللغات الاجنبية وليس بين هـــذه المجلدات مجلد واحد مترجم الى اللغة العربية ، أو اقتطف منه شيء باللغة العربية . عنوان ثان : المذكرات – هرتسل كتب مذكراته وهي موجودة بمجلدات باللغتين الالمانية والانكليزية ولايعرف العرب عنها شيئاً .وايزمن كتب مذكراته . بن غوريون كتب مذكراته . أين هـــذه الكتب في المكتبة العربية . نحن لانستطيع أن نفهم خصمنا بدونها . عنوان ثالث : التنظيم الصهيوني العالمي . الصهيونية العالمية لها تنظيم ، لها حكومة ذات شعب . وهذه الحكومة لها موارد هي عبارة عن ضرائب تفرضها على اليهود اينما وجدوا في العالم .ماهي هذه الضرائب؟

كيف تجبى ؟ كيف تستعمل ؟ ماهي هذه الحكومة و كيف تعمل ؟ وماهي الدوائر التي تتألف منها ؟

عنوان رابع : **مستودعات الكتل اليهودية في العالم** . اليهود موزعون في العالم : ومن المهم أن نعرف مراكز تجمعهم . فهناك علاقة عضوية بين الحركة الصهيونية وبين اليهود . والصهيونية العالمية تحاول ان تستغل اليهود وان تحرجهم في سبيل الاهداف الصهيونية . ويجب أن نعرف اوضاع هؤلاء اليهود وكيف يفكرون .

اسرائيل بالذات . . هـــذا العدو ماذا نعرف عنه ؟ إن مانعرفه عن اسرائيل هو قليل فعلاً ، ومتأثر الى حد كبير بنزواتنا وعقدنا الفكرية . ثمة اسئلة كثيرة حول اسرائيل لا نكاد نعرف جوابها . من هذه الاسئلة مثلاً : كيف تتشكل الحكومة اليهودية وما هي العناصر التي تدخل فيها ؟ ماهو دور الضباط الاسرائيليين في الحياة الاسرائيلية ؟ مالية اسرائيل مم تتكون وماهي اجهزتها؟

ان معرفة هذه الامور من واجبات المثقف العربي . بل واجبه تعريف الأمة العربية بها .

أود ان اسأل كم شخصاً عندنا يعرفون اللغة العبرية ؟ سأجيب على هذا السؤال من واقع تجربـــة شخصية : منذ سنتين ومؤسسة الدراسات الفلسطينية تبحث عن شاب يعرف العبرية جيداً ويستطيع ان يلخص الصحف اليومية التي تصدر بالعبرية . وللآن لم تعثر المؤسسة على من يعرف العبرية ويستطيع القيام بهذه المهمة . نحن لم نستطع حتى الآن – رغم المحاولات التي تبذل في المعاهد العلمية العربية – ان نخرج مختصين باللغة العبرية رغم حاجاتنا اليهم .

من واجبنا ان نعرف ايضاً الاستراتيجية الصهيونية وأساليب العمل

الصهيوني . ان أي مراجع لحركة الصهيونية يستطيع ان يتلمس خطوطاً ثابتة في العمل الصهيوني مثل : الوصول الى مراكز السلطة في دولة كبيرة ذات نفوذ حاسم في العالم – الوقوف في حراسة مداخل المجتمع . فالصهيونية العالمية هي حجاب المجتمعات الغربية ، فلا يستطيع انسان في مجتمع غربي ان ينفذ الى اي مجال من مجالات الحياة دون المرور على هذا الحاجب . والحجاب هم طريق الوصول الى الهدف .

ثمة أشياء ثابتة في هذه الاستراتيجية تخضع للدرس . فلو وجد من يتفرغ لها لخرج الينا بقوانين العمل الصهيوني الفعلية . على سبيل المثال حملة اسرائيل الأخيرة على سيناء . لو وجد من يدرس اسرائيل وتفكيرها العسكري المكشوف لاستطاع ان يتنبأ بدقة كاملة لكل تحرك من تحركاتها .

هذا قطاع كامل قصر فيه الفكر العربي تقصيراً فادحاً ، حتى لا أكاد ألمح الا بعض الكتب القليلة التي تناولت هذه المعضلة بصورة جدية . لقد كتب الكثير عن اسرائيل او الصهيونية ولكن معظمه للدعاية ومعظمه يسقط في فخ اللاسامية . هذا لا يعني بالطبع عدم وجود بعض الدراسات الجيدة عن اسرائيل .

المجال الكبير الثاني الذي قصر فيــــه الفكر العربي هو مجال : معركة فلسطين . واعني بمعركة فلسطين الفترة التي انقض فيها الغزو الصهيوني على فلسطين ، ونضال الشعب الفلسطيني في تلك الفترة ، وتفاعل هذا النضال مع المحيط العربي .

والواقع انه لا يكاد احد ان يعرف حقيقة ماجرى في فلسطين في فترة مابين الحربين الا بصورة عامة . أما المعرفة الدقيقة الصحيحة والدقيقة فغير متوفرة ولو توفرت المعرفة لأدرك العرب منذ ذلك الحين أن المعركة ليست معركة فلسطين وانما هي معركة الغزو الصهيوني للأرض العربية وأن دور عرب فلسطين كان دور الحراس الذين يتلقون الضربة الأولى .

مع الأسف لم يفهم العرب المعركة على هذا الشكل بل ظنوا أن المسألة تخص عرب فلسطين بالدرجة الأولى ، ولم يعرفوا أن عرب فلسطين إنما يدافعون عن مستقبل سورية والأردن ولبنان ومصر والعراق والحجاز .

المجال الثالث والأخير الذي أريد أن اتطرق اليه هو أن قضية فلسطين أو قضية الغزو الصهيوني للوطن العربي الآن أصبحت اكبر بكثير مما كانت عليه .

كانت معركة ثم أصبحت حرباً ، ثم اصبحت امتحاناً للوجود العربي كله ، وامتحاناً لجميع فضائل المجتمع . وهناك مجال للدرس والبحث ، ترى ماهي الفضائل الفردية والاجتماعية التي يجب أن تتوافر في الأمة العربية حتى تستطيع ان تقف في وجه هذا الغزو الصهيوني ؟ وهل هذه الفضائل متوافرة فعلاً ؟ واذا لم تكن متوافرة فكيف نستطيع أن نخلقها ؟ .

لقد قيل ان ماحصل في ٥ حزيران ومابعده كان من جملة ما كان ، امتحاناً لسوية الفرد العربي . وهذا صحيح ولكنه غير كاف . يجب أن نغوص وراء هذه الفكرة ، ونجري هذا الامتحان غير خائفين ، مسلحين بالرغبة في الوصول الى الحقيقة .

أيها الاخوة ! في مجال نقد الذات أريد أن أتساءل من الذي هزم في ٥ حزيران ؟ أقول لكم باخلاص وتجرد إن الذي هزم هو نحن الجالسون هنا . وسأشرح لكم هذا :

في عام ١٩٤٨ كان من السهل علينا أن نقول : هي الأسلحة الفاسدة .. البلاط الفاسد .. كلوب باشا .. الرجعية .. هي كل شيء ماعدانا نحن . وكنا نتساءل ، وكيف يصلح الحال ؟ وكان الجواب في قرارة نفوسنا : عندما نصل الى مراكز السلطة في المجتمع العربي . ولقد كنا قبل ٥ حزيران في مراكز

السلطة في المجتمع العربي . فنحن ادن الذين هزمنا ويجب ان نقر بمسؤوليــة الهزيمة . يجب ان نراجع اخطاءنا . يجب أن نسأل أنفسنا لماذا هزمنا ؟ ولماذا هزمت الأمة العربية بقيادتنا الفكرية ؟ هنا تحضرني بعض الأشياء التي لابد ان تقال .. لا في الجوهر .. سأترك هذا الجوهر الآن لأنه مسؤولية الجيل كله وليست مسؤولية الفرد . سأبحث فقط في بعض الأمور الاسلوبية .

إن العقل في كل مجتمع هو المسؤول عن تحديد الأسبقيات وعن اختيار الأهداف والموازنة بينها ، ومن ثم عن اختيار التسلسل الزمني للهدف . فهـــل استطعنا نحن فعلاً : أولاً أن نختار الأهداف الصحيحة . ثانياً : أن نرتب أهدافنا من حيث الأهمية ترتيباً صحيحاً . ثالثاً : أن نربط بين الأهداف ومجتمعنا ربطاً صحيحاً . رابعاً : ان نضعها في إطار من التسلسل الزمني المنطقي بحيث يقود تحقيق كل هدف منها ، منطقياً ، بل حتمياً ، الى تحقيق ما يجب ؟؟ أم كنا ننتقل قفزاً بين هدف وهدف لانكاد نستقر على هدف ولا نكاد نعطيه فرصة من فرص التحقق . سأطرح مثالاً على هذا التنقل السريع : مفهوم الوحدة العربية . ماهي الوحدة العربية ؟ سأجيب بعناوين طرحت خلال هذه السنين : الوحدة العربية دولة عربية واحدة .. وحدة الصف .. وحدة الهدف .. الحركة العربية الواحدة .. لقاء القوى الثورية .. لقاء القمة .. لقد احتار الفكر العربي فعلاً في ماهيـــة الوحدة العربية .

سأعطي مقابل ذلك مثلاً عن الكيفية التي يشتغل بها الصهاينة : الصهيونية ابتدأت من الحديث عن ملجأ امين لها في فلسطين .. **أي وطن قومي لها** . وحينما كانت تطالب بالوطن القومي كانت تؤكد على لسان زعمائها بأنها لاتريد **الدولة اليهودية** . وعندما تحقق الوطن القومي في فلسطين تحققت الدولة اليهودية . لم

يكونوا في حاجة الى الكلام ابداً . عندما قالوا نريد الدولة كانت الدولة قد تحققت فعلاً بكل اجهزتها .

مثال آخر : بعد الخامس من حزيران قالت اسرائيل نحن مستعدون لأن نعود ولكن بعد المفاوضات . هذه مرحلة لكسب الوقت . هي الآن تقول : نحن غير مستعدين للعودة ولكننا نريد المفاوضات . وبعد فترة ستقول : لا نريد ان نعود ولا تهمنا المفاوضات . لأنها في الواقع لاتهمهم .

هنالك فرق بين عقل يجري وراء الخيال ، وعقل يجري وراء التحقيق ، ويعرف ان كل خطوة ستتحقق ستقود حتماً الى تحقيق الخطوة التالية .

مثال آخر : اسرائيل فيها أحزاب يسار وأحزاب يمين . من الحزب الشيوعي الى حيروت . كيف استطاعت هذه الاحزاب أن تتوحد على الاهداف وأن تحدد لمطامعها حدوداً ، وان تجعل من الشعب اليهودي في فلسطين شعباً واحداً؟ كيف استطاعت الماركسية الاسرائيلية أن تغلب المصلحة القومية على الصراع الطبقي ؟

هذه امثلة موجهة الى الفكر العربي والى المثقف العربي ، ولي امل ان تؤخذ بما تستحقه من الجد .

الدكتور سعدون حمادي :

ان ما أريد أن أقوله الآن يعتمد على بعض الاستنتاجات التي ذكرت في المناقشات السابقة . من الأمور التي ذكرت هو ان ربح المعركة لا يعتمد على موقف الحق فقط بل يحتاج ايضاً الى القوة الضرورية للمجابهة . ان الحق حق بغض النظر عن أي شيء آخر . الا ان العقل البشري ميال احياناً الى المقاييس العملية فليس ما يجلب انتباه البشر ويهز ضميرهم أحسن من النضال المقرون بالتضحية من أجل الحق . ويعني ذلك ان كثيراً من مشكلات التعريف بقضية شعبنا في العالم ستحل تلقائياً عندما يتصاعد النضال في بلادنا .

ان قيام اسرائيل كان يتطلب أول ما يتطلب تكوين دولة عربية عصرية موحدة . ولكن ذلك لم يحدث . ان قيام الصراع داخل الحركة الثورية العربية ونتائجه السلبية على مسألة الاستعداد العسكري والاقتصادي والسياسي بات مسألة معروفة .

لا يفوتني في هذا المجال ان انوه الى ان نضال المثقفين من أجل قضية فلسطين من خلال البحث عن طريق للوحدة العربية يتطلب الاستقلال والاحتراس من أخطار التعصب العقائدي .

بقيت مسألة اساسية لا أظنها قد نوقشت بما يكفي ، بل جرى ذكرها بشكل استفهام من قبل احد الزملاء عن اسباب عدم حصول الوحدة الوطنية والوحدة القومية رغم ما حدث . انني أعير هذه المسألة الاهتمام الأول . ان حالة

الصراع داخل الثورة التي سبقت العدوان – ولازالت من حيث الجوهر – قد تكون أهم ظاهرة جديرة بانتباه المثقفين. فهي في نظري السبب الرئيسي الذي يكمن وراء حالة الضعف التي نجابه بها الاستعمار والصهيونية الآن.

ان التحليل البسيط يوصل الى ان قيام اسرائيل كان يتطلب تكوين دولة عربية عصرية موحدة. ولكن ذلك لم يحدث. ان قيام الصراع داخل الحركة الثورية العربية ونتائجه السلبيـــة على مسألة الاستعداد العسكري والاقتصادي والسياسي مسألة معروفة لاتحتاج الى شرح.

كان التفسير الدارج لمصاعب الوحدة العربية يقوم على اساس ان النظم الرجعية المرتبطة بالاستعمار لا يمكن ان تقود الى الوحدة، وهو تفسير لم يعد صالحاً بعد قيام انظمة ثورية في بعض الاقطار العربية. كما ان اللجوء الى التناقضات الموضوعية – أي البنى الاقتصادية والاجتماعية – لتفسير ظاهرة الصراع داخل الثورة العربية، لايبدو مقنعاً لقلة الأدلة العلمية. وقد يكون من اسباب انتشار هـــذا التفسير الأخير هو انه تفسير سهل يتجنب الخوض في عقد الحياة السياسية البدائية في بلادنا. كما أنه تفسير مريح نفسياً لأنه يرفع المسؤولية عن الانسان ويرفع المسؤولية الى عوامل موضوعية لا علاقة لها بالارادة والسلوك.

انني اعتقد ان عملاً واسعاً ينتظر المثقفين العرب في تحليل هذه الظاهرة. ولا يفوتني في هذا المجال أن أنوه الى ان نضال المثقفين من اجل قضية فلسطين من خلال البحث عن طريق للوحدة العربية يتطلب الاستقلال والاحتراس من أخطار التعصب العقائدي. انني اذ اعتقد ان التحـــام المثقفين بالانظمة الثورية العربية ضروري الا انني أرى ايضاً ضرورة الانتباه الى اهميـــة الاستقلال والموضوعية؛ لأن القضية موضوع البحث تتعلق بالوجود العربي. فالانظمة الثورية يمكن أن

تخطىءأو ان تحرف في قضية الوحدة العربية ، وواجب المثقفين ازاء ذلك ان يقولوا كلمة الحق .

ان الأدبيات الثورية في بلادنا ، والشعارات التي ترفع ، والتفسيرات التي تروج الآن فيما يتعلق بمسألة الخطر الصهيوني والوحدة والاشتراكية لا تخلو من أفكار خاطئة ومضرة يتوجب على المثقفين العرب ان يناضلوا ضدها .

وخلاصة ما أريد أن أقوله ما يلي : اذا كان صحيحاً أن نقطة البداية في جعل الحق العربي مدعماً بالقوة هو انهاء حالة الصراع داخل الحركة الثورية العربية ، واذا كان صحيحاً أن قيام نظم ثورية في بعض الاقطار العربية يهيء فرصة جيدة لهذه الوحدة ، فان عدم حصول ذلك يدل على أن الحياة السياسية العربية في نطاق النظم الثورية بحاجة الى تقويم يستطيع المثقفون العرب أن يساهموا فيه .

الدكتور محمد انيس :

أود أن أتكلم في إيجاز عن موضوع المثقفين العرب وعلاقتهم بالجماهير العربية . أود ابتداء أن أؤكد أن المثقفين في البلدان المتخلفة لابد من اعتبارهم ضمن القوى الاجتماعية الثورية . والتجربة الثورية في مصر مثلاً تضع المثقفين ضمن تحالف قوى الشعب العامل . ذلك التحالف الذي يقع عليه عبء البناء الجديد في مصر . والحقيقة ان التجربة المصرية ليست فريدة بموقفها هذا من المثقفين عن بقية التجارب في العالم الثالث . والسؤال الآن ماهي علاقـــة المثقفين بالقوى الاجتماعية الأخرى .

الحقيقة أن هذه العلاقة ذات شقين قد يبدو بعض التناقض بينهما . فالشق الأول : علاقة تناقضية بين المثقفين وبين غيرهم من القوى الاجتماعية الداخلة في التحالف . والشق الثاني علاقة تحالفية . والعلاقة الأولى ثانوية ، والعلاقة الثانية هي العلاقة الرئيسية ، وهي التي يجب أن تتغلب على التناقضات الثانوية لصالح الثورة العربية .

غير أن وضع المثقفين في إطار هذا التحالف لايحل المشكلة ، اذ تظل الحاجة دائماً الى مزيد من تحديد هذه العلاقة التحالفيـة . ذلك لأن المثقفين من أكثر القطاعات الاجتماعية صعوبة في بقائها كطبقة ضمن تحالف ، بمعنى أن المثقفين من أصعب القطاعات تنظيماً . وهذه الحقيقة تعانيها المجتمعات الاشتراكية في كافة انحاء العالم . ولعل من أهم أسباب الصعوبة هذه هو أن الثقافة بطبيعتها

تخلق نوعاً من الفردية وربما الانعزالية . وهناك سبب آخر وهو أن غالبية المثقفين العرب تلقوا ثقافتهم في جامعات أجنبية غربية وعلى أسس فكرية ليبرالية . بهذين العاملين أصبحت قضية تحالف المثقفين مع جماهير الشعب العربي من الأمور المعقدة . ولكن المشكلة تبقى مشكلة المثقفين لا مشكلة الجماهير العربية ، ولذلك فأنا حين اتقدم ببعض المقترحات انما استهدف حل مشكلة المثقفين لا مشكلة الجماهير .

ان تصوري لدور المثقفين بين الجماهير العربية انهم يستطيعون أن يقدموا شيئاً لهذه الجماهير ، وحتى يتمكنوا من هذا لابد من ان يتثقفوا ثقافة اشتراكية . وأقصد بذلك اخضاع ثقافتهم المتخصصة سواء كانت فنية أو ادبية أوغير ذلك للمفاهيم الاشتراكية . هذه الثقافة الاشتراكية تقربهم من الجماهير . وعلى المثقفين بعد ذلك أن يتخلصوا من نزعات الفردية والذاتية ، ولا علاج لذلك الا بنزولهم الى مواقع الجماهير ومعايشتها وتفهم مشاكلها . وهذه ليست مهمة سهلة بحال من الأحوال ، ولكنها تمثل تحدياً جاداً وخطيراً للمثقفين العرب . والسؤال : هل سينجح المثقفون العرب في مواجهة هذا التحدي أم لا ؟

الدكتور عبد السلام العجيلي :

أريد أن أتحدث حول موضوع مراجعة المثقفين النقدية لتفكيرهم في القضية الفلسطينية . إن هذه المراجعة في رأيي مراجعة في الأسس وفي الأساليب .

في الأسس : أصر دوماً على أن المثقف يجب أن يدرك أنه وقف موقفاً قاصراً مسيراً في أغلب الأحيان . وادراك المثقف لهذه الحقيقة هو الخطوة الأولى ليصبح نقده الذاتي مجدياً وبناءً .

إن المثقف يتولى مهمة توجيهية ، وهو يجب أن يتحمل مسؤوليته وأن يكون صادقاً مع نفسه وفكره .. شجاعاً فيما يقوله ويكتبه . الصدق والشجاعة شيئان نفتقدهما عند المثقفين ، وربما هم ليسوا الوحيدين في هذا .

أما في مراجعة الأساليب : فالخطوة الأولى إدراك المثقف انه لم يول القضية الفلسطينية حقها من الاهتمام ، ولم ينظر اليها بوصفها قضية العرب الأولى .

ومن مراجعة الأساليب في رأيي ألا يقصر المثقف جهده على الكتابة في أمور تنقل اليه وهو جالس وراء مكتبه . يجب أن يمارس القضية بنفسه حقيقة . انني اتساءل كم منا زار خيام اللاجئين ، ان لم يكن ملزماً بمرافقة زائر ؟ كم منا زار الحدود ؟ ولا اتساءل كم منا حمل السلاح . وقد يرى بعضكم انني اذا طالبت بهذا اكون مغالياً ، ولكن من لم يحمل السلاح بالأمس فسيحمله غداً مرغماً اذا كنا نؤمن بالفكر ، وبأن النتائج تتلو المقدمات .

إن معاناة القضية الفلسطينية بهذا الشكل يعطي الصيغة الصادقة والمؤثرة لكلام المثقف وفكره . ومن مراجعة الاساليب ، مراجعة الوسائل الخاطئة فكرياً التي اتبعت في عرض القضية .

الدكتور عوني الرفاعي :

سأحاول الاجابة بايجاز على السؤال الملح الذي هو موضوع ندوتنا اليوم: ما العمل بالنسبة للمستقبل ؟

ان دور المثقفين امر هام في نضالنا ضد هذا الغزو الاستعماري الجديد ، الذي ليست الصهيونية الا وجهاً من وجوهه الظالمة القبيحة . وأحب ان ابدي هذه الملاحظة وهي ان الصهيونية ليست فقط ـ كما يقال ـ أداة للامبريالية .. بل هي الامبريالية نفسها . فالصهيونية لا يمكن أن تحقق أغراضها الا في ظل الامبريالية . فالقول بأنها مخلب للامبريالية صحيح ، ولكنه مخلب يعرف كيف يخطط لنفسه ويستغل جميع الأحوال لأغراضه العدوانية . هذا ما يثبته تاريخ الصهيونية وغزوها للأرض العربية ، فقد كان غزواً مخططاً له ، عملت له الامبريالية والصهيونية حتى وصل الى ما وصل اليه من مكاسب ظالمة نرى أنه لا يمكن القضاء عليها الا بنضال عربي شامل ومدروس .. نضال يواكبه عمل فكري يساند العمل العسكري والعمل النضالي بشكل عام .

يمكن أن أشير الى أن النضال العربي يجب أن يشتمل على الأمور التالية :

أولاً : على الفكر العربي أن يدرك أن نضاله المجزأ لا يجدي . ولذا فهو مدعو الى العمل على تلاحم الأقطار العربية في وحدة تنبثق عنها قوة فعلية .

ثانياً : على الفكر العربي أن يعمل على تبني العلم والتخطيط سبيلاً لدولته الجديدة .

ثالثاً : على الفكر العربي أن يؤمن بدور الاعتماد على النفس ، اذ لا يمكن أن تأتي الحرية والتقدم من الخارج .

رابعاً : على الفكر العربي ان يثبت أصالته وأن يتمسك بمزاياه الخلقية والنضالية التي كانت له على مر العصور ، وان يعيد الثقة بتراثه .

خامساً : على الفكر العربي ان يبني جيلاً قوياً ليس غريباً على السلاح ، يتحمل المصاعب ويقبل على التضحية .

سادساً : على الفكر العربي ان يمارس الاشتراكية ممارسة خلاقة ، وأن يتفاعل مع طبقات الشعب الكادحة .

سابعاً : على الفكر العربي أن يدرك أن الثورة سبيل لكفاحه الظافر ، وانها ثورة طويلة وشاقة ، فعليه أن ينتمي اليها انتماء كلياً ويدرك انها معركته المتصلة حتى النصر .

من هنـــا ندرك ان دور المثقف العربي اليوم هو دور طليعي .. دور نضال وعمل دائب لجعل الشعب كله الى جانبه في الكفاح . ان العرب اليوم في قلب المعركة ولا مندوحة لمواجهة الخطر بكل أبعاده من ان نكون مستعدين له علماً ونضالاً وقتالاً .

احمد عباس صالح :

هذه الكلمة رد على الكلمة القيمة التي ألقاها الدكتور برهان الدجاني . في اعتقادي انها كلمة مؤثرة جداً ولكنها مظلمة الى حد كبير . وسبب إظلامها يرجع في الأساس الى شيء من النظرة الجزئية . الحقيقة ان العالم العربي لم يكن جامداً طوال الفترة الماضية . ان خريطة العالم العربي في عام ١٩٦٧ تختلف تماماً عما كانت عليه في عام ١٩٤٨ . لقد حدثت تحولات جذرية مختلفة في اكثر من بلد عربي . لقد ظهرت وتعمقت الفكرة القومية ، واصبحت الاشتراكية في متناول الايدي وتقدم العالم العربي من الناحية التقنية . هناك تقدم وهناك حركة مستمرة . إننا لسنا مهزومين الى هذا الحد . لقد خسرنا جولة ولكننا مازلنا نقاتل ، ويبدو اننا سنظل نقاتل فترة طويلة اخرى . والذي اريد ان اؤكد عليه ، رغم موافقتي على السلبيات الكثيرة التي قالها الدكتور برهان الدجاني ، ان هناك ثورة . وسواء دخل المثقفون في الثورة او لم يدخلوا فان الثورة ستكتشف مثقفيها . والثورة ستستمر لأن حركة التاريخ ليست حركة عفوية وليست خاضعة لمزاج احد . ان العالم العربي مهيأ منذ ما قبل بداية هذا القرن لتحول جذري شديد ، وهو ماض في هذا التحول . ولكن ليس معنى هذا ان المثقفين او غيرهم من المساهمين في الثورة عليهم ان يتركوا الامر لحركة التاريخ . ولكن لابد ان يدركوا ان الثورة ليست متوقفة على نشاطهم وحدهم وان الثورة جماهيرها وانها تخلق قياداتها . هناك افكار كثيرة مطروحة في العالم العربي . وان طبيعة هذا العالم العربي في هذه

الفترة هي التي تختار الفكرة الصالحة . وليس الوضع الذي نجتازه الآن وضعاً نهائياً . انما نحن في مرحلة من مراحل النكسة الجزئية . ولعلي لا أبالغ اذا قلت إن هذه النكسة من وجهة النظر التاريخية الكلية كانت ضرورية حتى نستطيع ان نعيد النظر في أمورنا اعادة شاملة . من واجبات المثقف أن يحاول القاء نظرة كلية على المجتمع ، لا من زاوية واحدة كزاوية قضية فلسطين على أهميتها .

كل ما أريد أن اقوله في هـذه الكلمة ان الصورة المظلمة المتشائمة التي صورها الدكتور الدجاني ليست صحيحة تماماً . واذا نظرنا نظرة موضوعية تقوم على اكتشاف الحقيقة لوجدنا ان الوطن العربي يتقدم ، وانه لا توجد اية قوة تستطيع ان تمنع هذا التقدم ، وما علينا الا ان نسهم حقيقة في هذا التقدم ، وان نخوض المعركة واثقين من النصر . اما اكتشاف الوسائل فامر ميسور . ويقيني أن الثورة تكتشف نفسها وتكتشف اساليبها .

الاستاذ جاك بيرك :

أود ان أتقدم في هذه الجلسة ببعض المقترحات العملية ، التي لاتستهدف الدعاية ، بل نشر العدالة والحقيقة ، وتلك هي مهمة المثقفين العرب .

إنني أقترح ثلاثة مشروعات عملية ، مترابطة ، لاتشمل إلا جزءاً يسيراً من الميدان الذي يجب ان يهتم به المثقفون : أقترح اولاً ، انشاء جائزة في الوطن العربي لأحسن كتاب علمي يؤلف عن تاريخ الشعب العربي في فلسطين خلال الخمسين سنة الماضية . وأقترح ثانياً ، ان يصار الى انتاج فيلم من مستوى عالمي يصور النضال العربي في سبيل فلسطين ، وذلك على غرار فيلم « معركة الجزائر » الذي لقي رواجاً في جميع انحاء العالم . وأقترح ثالثاً ، ان يصار الى انشاء فروع وواجهات في المكتبات ودور النشر العالمية الكبرى ، وفي العواصم العالمية ، تعرض فيها أحسن المؤلفات والكتب العربية التي تلفت إنتباه القارىء الغربي وتحفزه على مطالعتها .

لقد أشار كثير من الأصدقاء، أثناءمناقشاتهذه الندوة، الى ضرورة النقد الذاتي _ اعادة النظر _ اتباع المنهج العلمي الاشتراكي _ وسواها من التعابير التي أعتقد أن تعبير « التحليل » يتضمنها كلها ، إنني أكثر من استعمال كلمة«التحليل» فهو يتضمن استخدام وسائل عالمية تتيح إقامة حوار على مستوى عالمي . واسمحوا لي أن أقول لكم : إنني أومن بالعالمية ، بهذه العالمية التي تجتاحنا وتتحدانا . إن ثمة عالمية مزيفة تقابل عالمية حقيقية . انني أومن بانتصار العالمية الحقيقية لابصفتي واعظاً أخلاقياً ولابصفتي مشرعاً نظرياً ، ولا بصفتي مؤرخاً . ولكن رفضنا للعالمية الحقيقية ، سيؤدي الى انتصار العالمية المزيفة . اننا اذا رفضنا الشكل الحقيقي للعالمية ، فان

شكلها المزيف هو الذي سيطغى علينا كلنا ؛ وتستطيعون من خلال هذه التعابير العامة ان تتعرفوا على كثير من الملابسات التاريخية الخاصة .

لقد أعربت لكم عن تفاؤلي الى أمد. ويؤسفني ألا أكون مطمئناً الى حركة التاريخ، مثل الزميل الذي سبقني الى الكلام منذ حين. إذ ماهي حركة التاريخ هذه ؟ ومن يحققها ؟ واذا كانت الثورة وسيلة التعجيل باحداث الواقع، فان ذلك لا يمكن ان يتم بصورة آلية ، ولا يتم بالشكل المجرد الذي عرضه هيجل . ان مثل ذلك يستلزم ارادة الانسان ، ويستلزم أيضاً خطأ الانسان ، وكثيراً من الآلام . ان اجراء تحليل للعالم الحديث يمكن ان يجنبنا الى حد كبير هذا الخطأ وهذه الآلام. واذا طبق العالم العربي على نفسه هذا التحليل ، فانه سيعجل حتماً بتحقيق الانتصار الذي نتنبأ له به ، وسيجد حقيقته ، كما انه عن طريق تعميقه لواقعه الخاص سيتمكن من اقناع سائر العالم بحقيقته . فهل تمكن العرب من بذل مثل هذا الجهد بالشكل اللائق ؟

إنني أؤيد كل ماقيل في هذه الندوة ، حول ضرورة المراجعة ، واجراء تحليل صارم للذات . إن هذه فرصة خطيرة جداً امام العرب .

بعد الهزيمة التي اصابت فرنسة سنة ١٨٧٠ كتب المفكر رينان كتاباً عنوانه : « الاصلاح الفكري والخلقي » . وقد حلل في هذا الكتاب جميع ما اصاب المجتمع الفرنسي من تدمير ، ليبين بالنتيجة مافيه من حسن ومافيه من سيىء ، مايجب اصلاحه ، وما يجب تقويضه . انني اتمنى ان يبذل اصدقائي العرب جهداً مماثلاً . فالفرصة الآن متاحة أمامهم ، والنكسة التي إصابتهم جزئية ومؤقتة لأن الشعب هو المنتصر دوماً، وامامهم فرصة اعادة النظر ، واجراء نقد وتعميق لذواتهم والانفتاح على العالم الخارجي .

عبد الهادي هاشم :

سأتكلم كلمات قليلة في موضوع الليلة ، وأمهد لها بفكرة عامة ، وهي ان المعركة قائمة مع اسرائيل . هذه حقيقة بديهية . ولهذه المعركة ، ككل المعارك الاخرى ، اسلحة كثيرة . من هذه الأسلحة الفكر والثقافة . ونحن مسؤولون على الأخص بالنظر في سلاح الفكر والثقافة . ولكن لابد بالطبع من تنسيق بين أسلحة المعركة جميعاً حتى لايكون سلاح الفكر في واد ، وسلاح الدعاية مثلاً في واد آخر . ومن الخير ايضاً ان يعي قادة كل سلاح حدود أسلحتهم . وارجو الا أكون مغالياً اذا قلت ان سلاح الفكر في معركتنا القائمة هو أنجع هذه الأسلحة . وقديما قال المتنبي : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

ولكن يجب ان نعترف بأن سلاح الفكر هذا مفلول . إن المثقفين عندنا لم توضع بين ايديهم الأسلحة الناجعة . اسلحتهم في اكثرها عفنة . لاأزعم انهم وحدهم مسؤولون عن ضعف هـذا السلاح ، ولكنني لن اتعرض هنا الى المسؤول عن هذا التقصير .

أعتقد ان الثقافة يجب ان تقاتل على عدة جبهات ، وفي كل جبهة ينجح نوع من السلاح . قال الرسول العربي « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » . ونحن يجب ان نخاطب العالم الخارجي باللغة التي يفهمها ، لا باللغة التي ترضينا . طبعا يمكننا ان نقول : اننا اقوى قوة ضاربة في الشرق الاوسط ، أو نقول : ان اليهود ليست لهم ثقافتهم ، ان ثقافتنا هي الثقافة الاصلية الصحيحة . هذا يرضينا كثيراً

ولكن من يصدق هذا القول ؟ ! ارجو ان نكون صادقين مخلصين مع أنفسنا كما قال الكثيرون قبلي . نحن نكذب على الآخرين، ثم ننتهي فنصدق مانكذب به على الآخرين .

نحن العرب امة تحب الشعر . ولكن العاطفة لغة لم يعد يفهمها الغرب . واتمنى ان نستطيع اتقان لغة عالمية شاملة يتقنها الجميع وهي لغة العلم، لغة العقل لا لغة العاطفة، لغة مبادىء أخلاقية جديدة يمكننا ان نتخذها سبيلاً للتحدث مع الآخرين .

أعتقد أنه من الممكن — مادمنا نتساءل ماذا ينتظر من المثقفين العرب أن يقدموا الى العالم الخارجي — أن نقول لهم مثلاً : ان قضية اسرائيل ليست قضية فلسطين ، وليست قضية نزاع عربي اسرائيلي . إنها قضية عداوة للسلم ، عداوة للحق وللتقدم . إن قضية اسرائيل هي عداوة للسلم منذ أن نشأت في العصور السحيقة ، لامنذ سنة أوسنتين أوعشرين سنة . كم مرة جعلت اسرائيل السلام العالمي كله مهدداً ، وكادت تشعل نار حرب عالمية لاتبقي ولا تذر ؟ واسرائيل عدوة للتقدم . كيف كان يمكن أن نتصور الشرق الأدنى بدون اسرائيل ؟ ان ما أنفقه الشرق الأدنى لشراء المدفع بدل المطبعة ، وحفر الخندق بدلاً من بناء المدارس ، لوصرف فيما نريد أن يصرف فيه لكانت بلاد هذا الجزء من العالم في وضع مختلف تماماً .

اذا حدثنا الغرب بهذه اللغة وقلنا له : ان اسرائيل حجر عثرة يحول دون التقدم في العالم كله ، لوجدنا من يصدقنا ومن يفهم هذه اللغة . ولكن يجب أن نكون واعين وأن نتعمق دراسة المشكلة . فهذه المشكلة التي نعالجها اليوم لم تنشأ في العهد القريب، وانما هي مشكلة قديمة الجذور .

فكرة أخرى من هذه اللغة التي اقترح أن نحدث بها الغرب ، وهي أن نبسط للعالم الخارجي هذا التناقض اللا أخلاقي بين الفكرة التي يعتنقونها وبين الأساليب التي يستعملونها لتحقيق هذه الفكرة . الفكرة في حد ذاتها لاأخلاقية والأساليب التي يستخدمونها أبعد شططاً في اللاأخلاقية من الفكرة ذاتها .

الدكتور بديع الكسم :

أريد أن أشير الى جانب يتصل بعلاقة المثقفين مع الجماهير العربية في موضوعات اليوم. رغم ايماني ان على المثقف العربي ان يزداد احساساً بمسؤولياته، أريد أن أخفف بعض الشيء من احساسه بالذنب ، وبالتالي من احساسه بأنه خان رسالته الأساسية ، وذلك بالتركيز على دور المثقف من حيث هو مثقف ، وهذا ماتقصده ندوتنا بالمثقف . الأستاذ الدجاني مثلاً أشار الى تقصير المثقفين في توعية الجماهير بحقيقة اسرائيل من الجوانب المختلفة . هذا التقصير لايمكن ان يكون تقصير جميع المثقفين . فمثل هذه الدراسات تحتاج الى كثير من التعمق والبحث والجد . فلذلك أفرق بين التوعية التي يمكن أن تقوم بها أجهزة مختصة في الدولة والمجتمع ، وبين دور المثقف من حيث هو كذلك . المثقفون هم الكتاب والشعراء والقصاصون والمدرسون في المدارس المختلفة . وأعتقد ان دورهم فيما يتصل بالجماهير العربية هو تكوين المواطن العربي تكويناً صلباً . ولعلنا نحن المدرسين قد شعرنا بأن شخصية المواطن ليست من الصلابة الكافية ، ودور المثقف هو أن يحقق هذه الشخصية المتوازنة نفسياً ، وأن يحرر المواطن من الأفكار المبتسرة ومناهج التفكير المغلوطة ، وأن يحرره من عقد مرضية ، وأن يشعره بكرامته الفردية وأن يعمق روحه النضالية .

كل هذه المسؤوليات تقع على عاتق المثقفين في انتاجهم وتدريسهم . لذلك اعتقد أن علاقة المثقف مع الجماهير العربية هي من الناحية العملية تكوين النشء الجديد تكويناً سليماً متوازناً مفتوحاً ، وبهذا يكونون قد قدموا خدمة حقيقية لأنهم بهذا يكونون الانسان القادر على الانفتاح على الحقائق ، والانسان المناضل في سبيل القيم الكبرى .

علي محسن زيفا :

الحركة الصهيونية نشاط مركز واضح الهدف والوسيلة ، يتضمن فهما للرأي العام العالمي ولمشكلات العالم العربي ، والعالم الغربي ومطامع الاستعمار، وللتيارات السياسية الموجودة في العالم . في مقابل ذلك كانت ردود فعل الفكر العربي تحمل طابع المجتمع العربي والمشكلات التي يعانيها هذا المجتمع كمشكلة اللغة والأمية . كانت ردود الفعل العربية مترددة .. ماض يطاردنا وواقع لاهب يحرقنا . وبداية الثورة في رأيي هي التمرد على الافكار السابقة . لذا كان التحليل النقدي وسيلة الفكر التقدمي للوصول الى الحقيقة . والعقل الناضج المرن يستطيع دوماً أن يلج كل مكان ، وان يستمع اليه كل انسان . لاحاجز بين الفكر والفكر . والأمر الهام هو ان نفهم مجتمعنا . هذا المجتمع الذي لم يحظ حتى الآن بأية دراسة اجتماعية . وعلينا بالمقابل ان نفهم خصمنا . ان الصهيونية هي اضخم حركة عرفتها القرون الأخيرة . وضخامتها تتجلى في قدرتها على تسخير الفكر العالمي ، والرأي العام العالمي ، والقوى الاقتصادية والعسكرية لخدمة مصالحها وأهدافها .

يوجد في اسرائيل معهد يسمى « معهد الدفاع » . كل رجل سياسي يتولى منصباً هاماً — مدنياً أو عسكرياً — يجب ان يتخرج من هذا المعهد . هذا المعهد يدرس اللغة العربية ، ويدرس التاريخ العربي والحضارة العربية . وكبار سياسيي اسرائيل أمثال ليفي أشكول ، وديان ، ورابين متخرجون من هذا المعهد .

انتصرت الصهيونية لأنها تعرف ماتريد، وكيف تصل الى ماتريد. ولكنني مع ذلك أقول ان الدعاية الصهيونية بعد الحرب الأخيرة قد وقعت في أزمة. ومردهذه الأزمة ان قطاعاً كبيراً من الرأي العام قد حصلت لديه القناعة بعد حرب عام ١٩٥٦ وبعد حرب ١٩٦٧ على الأخص بأن اسرائيل متواطئة مع الامبريالية، وانها دولة عدوانية. وهذا ماحدا بديغول مثلا أن يقف ضد العدوان الأخير ونحن يجب ان ننطلق من ظرف هذه الأزمة الى العالم الخارجي. ولكن يجب ان تتبدل نظرتنا الى الاعلام .. من حيث نوعيته ومضمونه. فالاعلام سلاح من أسلحة الدفاع عن البلاد. انه كسلاح الطيران او سلاح الآليات. بل انمفعوله اكبر من هذه الاسلحة. لذا يجب ان ننظر الى الاعلام على أنه عمل ثقافي، وان نهيىء له الفنيين والخبراء في شؤون الاعلام.

أود ان اقدم اقتراحين :

أولاً : انشاءمعهد للدراسات العليا- بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية- يسمى معهد فلسطين، تدرس فيه اللغة العبرية، والديانة اليهودية، والحركة الصهيونية وتغلغلها في أرجاء العالم. وتكون مدة الدراسة في هذا المعهد سنتان أو ثلاث سنوات. ويخرج المعهد مختصين للعمل في الحقل الدبلوماسي والاعلامي وفروع الأمن.

ثانياً : ان تكون هذه الندوة ندوة تمهيدية، تعقبها ندوات اخرى على نطاق واسع، يدعى لها مفكرون من الشرق والغرب. وبصورة خاصة من المغرب العربي، اذ ربما كان مفكرو المغرب على احتكاك اكثر منا بالغرب وبالحضارة الأوروبية، وبالتالي اكثر قدرة منا على مخاطبة الرأي العام الغربي.

الاستاذ جاك بيرك :

أقترح ان تنظم مجلة الكاتب ندوة جديدة في القاهرة .

الدكتور محمد أنيس :

أشكر الاستاذ جاك بيرك على هذا الاقتراح . وبصفتي احد اعضاء اسرة مجلة «الكاتب» فانني أدعو الاستاذ أحمد عباس صالح الى الموافقة على هذا الاقتراح .

الجلسة الختامية

اختتمت ندوة المثقفين العرب اجتماعاتها صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٧/١١/٧ بتوجيه نداء الى مثقفي العالم، كتب باللغات العربية والفرنسية والانكليزية والاسبانية، وأرسل الى مختلف المنظمات واجهزة الاعلام والمؤسسات الثقافية في العالم، وهذا نصه :

نداء

من المثقفين العرب المشرقيين في العالم

مازالت ، بعد العدوان الصهيوني الذي وقع في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، جميع المشكلات مطروحة دون حل ، إلا أن طرحها اليوم قد اتخذ طابع المأساة أكثر من ذي قبل .

فالى المليون لاجىء فلسطيني أضيف اليوم مئات الألوف من اللاجئين الجدد الذين طردوا من ديارهم وأراضيهم وتركوا تحت رحمة محتل ثمل بعدوانه .

إن الضمير العالمي لا يمكن أن يظل في موقف اللامبالاة حين يهان الحق وتداس أبسط المبادىء الانسانية . وما من مثقف مخلص يستطيع أن يقبل بمثل هذا الواقع العدواني الذي يهدد أسس الحضارة ذاتها في هذه البقعة من العالم ، ويعيد إلى الذاكرة بصورة مؤثرة السنوات السوداء للمؤامرة الهتلرية في أوروبة .

إن الرأي العام الغربي الذي أوقعته في الضلال خطة مركزة من التسميم والكذب ، قد وصل إلى مرحلة أصبح يعتبر فيها المعتدي هو المعتدى عليه ، والضحية هو المذنب . إنه قد صدق أسطورة ماتزعمه إسرائيل من أنها تقدمية ، بينما هي في الواقع تمارس أشكال التمييز العنصري لا تجاه العرب الموجودين في الأرض المحتلة وحسب ، بل تجاه اليهود الشرقيين أيضاً .

وهكذا تورط فريق من المثقفين المعروفين بتمسكهم بالسلام والحرية والديمقراطية في تقبل حالة مفتعلة ، نشأت هي ذاتها من عدوان امبريالي في شكله ومضمونه .

وهكذا وقع ايضاً بعض المثقفين المعروفين بموضوعيتهم في نسيان أن إسرائيل هي منذ البدء موصومة بالاستعمار ، فقد قامت في أرض فلسطين العربية بالرغم من أهلها .

وهكذا أيضاً لم يتمكن بعض المثقفين الذين ارتبطت أسماؤهم بنصرة القضايا الكبرى في الحرية والعدالة أن يتبينوا أن الصراع القائم في الشرق الأوسط ، هو صراع بين الأمبريالية وبين الشعوب التي كانت من قبل تابعة لها والتي عزمت على أن تتحرر من تخلفها ؛ وسبب ذلك في تقديرنا أنهم لم يملكوا عن هذه القضية معلومات صحيحة وتحليلاً دقيقاً .

إننا لا نستطيع أن نفهم كيف يتبنى مثقف القضية الديمقراطية لفيتنام ، وكيف تبنى من قبل قضية الجزائر ، وكيف أيد الأماني التي انطلقت من بلاد العالم الثالث في مؤتمر باندونغ ، ولم يستطع ان يربط قضية العرب بقضية الشعوب التي تكافح في سبيل تحررها .

فمنذ ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ مازال العدوان ذاته مستمراً . إنه عدوان استعماري مكشوف ، وإن كفاح العرب هو جزء من نضال الشعوب الواسع العادل لتصفية الاستعمار . فاذا لم يوضع حد لهذا العدوان فانه سيؤدي الى نزاع عالمي لا يعرف أحد أبعاده ونتائجه .

ان المثقفين العرب المجتمعين في دمشق من ٤ - ٧ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٦٧ لدراسة أسباب ومضاعفات الأزمـة التي تهز الشرق الأوسط ، يناشدون جميع أولئك الذين يرفضون الامبريالية ، وأولئك الذين يأبون

أن يداس الحق ، وأولئك الذين يعرفون بان كل عدوان واغتصاب للأرض قد يؤدي الى نزاعات عالمية ، ويتوجهون بصورة خاصة الى جميع المثقفين الذين لم تضللهم الأهواء ولا الأوهام ، والذين يشعرون بأنهم يتنكرون لرسالتهم اذا ظلوا غير مبالين ولم يشجبوا الظلم الصارخ والتهديد الرهيب للسلام العالمي نتيجة للإحتلال الصهيوني الاستعماري للأرض العربية . أنهم يعرفون أنه لايكفي أن تكون القضية عادلة لكي تنتصر ، ولكنهم يعتقدون بأن تبادل الآراء والاتصالات بين المثقفين المخلصين لابد أن تكون مفيدة ومجدية ، في سبيل تفهم عاجل لهذه المأساة التي تنذر المبادىء الانسانية المقدسة بالخطر .

والمثقفون العرب يعتقدون بأن تضامن مثقفي العالم في شجب الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي هو واجب تليه عليهم مسؤوليتهم كمثقفين ملتزمين بالدفاع عن حقوق الانسان الأساسية وقهر الظلم والطغيان .

القسم الثالث

احداث ـ وثائق ـ معلومات أساسيّة

مراجع حديثة عن القضيّة الفلسطينيّة

بيان اجمالي
بالاعتداءات الاسرائيلية على الدول العربية
١٩٤٩ — ١٩٦٤ (١)

البلد	عدد حوادث خرق الهدنة من قبل اسرائيل
الاردن	١٤٩٠٣
سورية	٤٤٢١٠
لبنان	١٩٣٦
ج٠ع٠م	٢١١٢
المجموع	٦٣١٦١

(١) المصدر :
ابراهيم العابد — العنف والسلام — دراسة في الاستراتيجية الصهيونية : — منشورات مكتب الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — بيروت ١٩٦٧ .

معلومات أساسية

عن الثورات التي قام بها الشعب العربي في فلسطين ، ضد الوجود الصهيوني – البريطاني من عام ١٩٢٠ – ١٩٤٧ (١)

في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ – ١٩٤٧ خاض الشعب العربي في فلسطين عدة ثورات مسلحة لم يكن السلاح فيها بين الخصمين متكافئاً ، ومع ذلك فقد قدم هذا الشعب خيرة ابنائه في هذه الثورات ودخل المعركة متحدياً الجبهة الاستعمارية العالمية المتحالفة مع الانجليز واليهود ، والرجعية العربية ومؤامراتها على الوطن العربي ، والانتهازية والفئات العميلة في فلسطين . وقد كانت كل ثورة من هذه الثورات أعنف وأشمل من سابقتها الى ان أتت مسرحية ١٩٤٧ – ١٩٤٨ الدامية والتي قام بتمثيل أدوارها الامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية العربية وانتهت بتسليم أغلى قطعة في الوطن العربي الى العصابات الصهيونية .

وفيما يلي عرض موجز وسريع لأهم هذه الثورات ، تذكيراً للقارىء العربي بكفاح اخوته في السابق وبوجوب مواصلة الكفاح التحرري الآن .

---

(١) هذه المعلومات مستمدة من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية وبصورة خاصة من كتاب المقدم محمد الشاعر (من قيادة جيش التحرير الفلسطيني) – الحرب الفدائية في فلسطين – بيروت – ١٩٦٧ .

ثورة عام ١٩٢٠ :

اندلعت هـذه الثورة بعد صدور وعد بلفور ، وقد قامت بعض الاضطرابات بمناسبة موسم النبي موسى ، واسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى من العرب واليهود .

ثورة عام ١٩٢١ :

هاجم بعض العرب المستعمرات اليهودية بالقرب من يافا وقتلوا اكثر من (٥٠) يهودياً وجرحوا (١٥٠) ، وكانت الخسارة العربية (٥٠) قتيلاً و (٧٥) جريحاً . وقد عقد العرب عدة مؤتمرات كانت كل مطالبها تنحصر باستنكار وعد بلفور ، وشجب الانتداب البريطاني ، وايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ثم اعطاء الفلسطينين الحكم الذاتي ليتمكنوا من ايجاد وحدة بين سورية وفلسطين .

أما بريطانيا فقد أصدرت كتاباً في عام ١٩٢٢ أكدت فيه اصرارها على تنفيذ وعد بلفور مع اعطاء ضمانات شكلية للعرب :

« ان حكومة جلالته لاترمي الى جعل فلسطين يهودية ، كما ان انجلترا انجليزية . كما انها لاتفكر في افناء الشعب العربي ولغته وثقافته ، كما ان حكومة جلالته ستعطي قسماً من فلسطين الحكم الذاتي » .

ثورة عام ١٩٢٩ :

اندلعت هذه الثورة عندما تحدى اليهود العرب ، وأتوا الى حائط المبكى في ١٩٢٩/٩/٢٣ . فهاجمهم العرب عند الحائط ، وقتلوا عدداً كبيراً منهم ، كما هاجم

المناضلون الحي اليهودي في الخليل وقتلوا اكثر من ٦٠ شخصاً ، وانتقلت الثورة الى مدن يافا وحيفاوبيسانوصفد ، واسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين .

وبعد الأحداث أتت لجنة برئاسة الخبير جون هوب سمبسون ووضعت دراسة عادلة الى حد ما عن العرب ، وضرورة تحسين وضع الفلاح العربي . وفي عام ١٩٣٠ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثاني ، وهو لايختلف في جوهره عن الكتاب الأول ، ولكنه زاد أن الحكومة ستراقب الهجرة وستحول دون دخول اليهود غير المشروع الى فلسطين .

لم يرض العرب عن هذا الكتاب ، اذ أنه لايضمن حقوق العرب الاجتماعية والاقتصادية ، كما ان اليهود لم يرضوا عنه . وقدم وايزمان استقالته من الوكالة اليهودية احتجاجاً على الكتاب . وازاء هذا تراجعت بريطانيا عن الكتاب الذي أصدرته ، ووجهما كدونالد رئيس وزرائها رسالة الى وايزمان بتاريخ ١٩٣١/٢/١٧ سميت بالكتاب الأسود :

« تعترف الحكومة البريطانية بجهود الوكالة اليهودية ، وتقدر قيمة الأعمال التي قام بها اليهود لتحسين البلاد انشائياً وعمرانياً . كما تضع الحكومة البريطانية على مسؤوليتها قضية تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، واستملاك الأراضي الصالحة للزراعة . كما تعترف بالاجراءات التي تقوم بها المنظمات الصهيونية بعدم تشغيل العرب » .

ثورة عام ١٩٣٣

قامت هذه الثورة في اعقاب صدور الكتاب الأسود ، وخرج المتظاهرون في القدس ويافا واصطدموا بالقوات البريطانية وسقط من العرب (٣٠) قتيلا

واكثر من (٢٠٠) جريح . كما قرروا الاضراب لمدة سبعة ايام احتجاجاً على اعتقال بعض القادة والزعماء .

رأت بريطانيـــا أن الثورة ستلتهب في كل مكان ، لذا لم تجد بداً من التظاهر بالعطف على العرب ، مما تسبب في اجهاض الثورة وتأخير اندلاعها من جديد لمدة سنتين .

الثورة الكبرى عام ١٩٣٦

كانت الاسباب المباشرة لهذه الثورة ارتفاع نسبة اليهود المهاجرين سنوياً الى فلسطين ، اذ دخلها في عام ١٩٣٥ ٦٢,٠٠٠ مهاجر مقابل ٩٥٠٠ مهاجر في السنوات السابقة . اضافة الى ان السلطات البريطانية كانت تمهد لهؤلاء المهاجرين السبيل ، وتمنحهم الصلاحيات الواسعة ، وفي الوقت نفسه تمارس سياسة الضغط على العرب لبيع اراضيهم ومنعهم من حمل السلاح وتقرير عقوبة الاعدام لكل من يقبض عليه وبحوزته قطعة سلاح ، وقد عمدت الى تسليح المستعمرات اليهودية بالأسلحة والمعدات التالية (لكل مستعمرة) :

١٠٠ بندقية ، ٥٠ مدفع هاون ٢ انش ، ١٠,٠٠٠ قنبلة يدوية هجومية ودفاعية ، ٤٠,٠٠٠ طلقة بندقية ، تجهيزات عسكرية تكفي ١٥٠ — ٢٠٠ مقاتلاً ، ١,٥ طن متفجرات ، بالاضافة الى كميات من الصواعق ووسائل التفجير والاوتاد والأسلاك الشائكة .

بدأت الثورة بتشكيل مجموعات مقاتلة في حيفا وجنين ونابلس وطولكرم ،

وبدأت بوادر العصيان المدني بالامتناع عن دفع الضرائب ، كما أن وصول نجدات رمزية من سوريا ولبنان والاردن والعراق رفع من معنويات الثوار وكانت هي البذرة الاولى التي انبتت فكرة وحدة النضال العربي المشترك ضد الصهيونية والاستعمار .

وقد شمل البلاد اضراب استمر ١٧٤ يوماً اصاب بالجوع والبؤس عدداً من القرى والمدن، ولكن العرب ظلوا مصممين على ثورتهم بالرغم من قلة الامكانيات وندرة الأسلحة والذخائر .

ولم تلبث بعض الدول العربية ان وجهت نداء الى ثوار فلسطين ، وذلك بناء على رغبة الحكومة البريطانية ، وطالبتهم فيه بوقف القتال وحقن الدماء :

« حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

وفي ١٩٣٦/١١/١١ ارسلت بريطانيا لجنة ملكية الى فلسطين لبحث اسباب الثورة ، وقد أوصت هذه اللجنة بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ، والى منطقة دولية تشمل القدس وبيت لحم لا يسري عليها تصريح وعد بلفور .

ورفض العرب توصيات اللجنة وفكرة التقسيم شكلاً وموضوعاً ، فعقد مؤتمر بلودان في ١٩٣٧/٩/٨ واتخذت فيه المقررات التالية :

ان فلسطين جزء من الوطن العربي ؛ رفض قرار تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ؛ طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور ؛ عقد معاهدة بين بريطانيا والشعب العربي تضمن له استقلاله وسيادته ؛ وقف الهجرة الى فلسطين وانتقال ملكية الاراضي من العرب الى اليهود .

ثورة ١٩٣٧

انكشف مخطط الاستعمار البريطاني بشكله السافر، ولم يبق امام العرب إلا الانتظام تحت راية الثورة وبدأت جموع الثوار تهاجم الثكنات البريطانية للحصول على السلاح وقتال المعتدين.

احتل الثوار مدينة القدس القديمة وأقاموا فيها المتاريس، كما سيطروا على مدن الخليل وطبرية، ونسفوا عشرات المنشآت البريطانية وبيوت اليهود.

كانت هذه الثورة اكبر ثورة في فلسطين اذ استشهد فيها اكثر من ٢٠٠٠ عربي وقتل ٢٠٠ جندي بريطاني وخسر اليهود ٥٠ قتيلاً و ٣٠٠ جريح.

وبعد هذه الثورة أتت أيام سود في تاريخ القضية الفلسطينية، اذ ظلت نار الثورة تخبو وتشتعل حتى اعلنت الحرب العالمية الثانية، وكان التحول الواضح السافر في قضية فلسطين لصالح اليهود.

ووفقاً لخطة مدبرة اعلنت بريطانيا عزمها على الجلاء عن فلسطين وانتقلت قضية فلسطين الى أروقة هيئة الأمم، التي عقدت دورة خاصة للاستماع الى اقوال الوكالة اليهودية وآراء ووجهات نظر بعض الفئات العربية، ثم قررت الأمم المتحدة ارسال لجنة تحقيق الى فلسطين. وقد عادت هذه اللجنة تحمل مشروع التقسيم وإنشاء دولتين عربية ويهودية.

في ١٩٤٧/١١/٢٩ عرض مشروع التقسيم على هيئة الأمم وتم التصويت عليه وأقراره.

في ١٩٤٧/١٢/٢٨ عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعاً اكدت فيه وقوف الدول العربية كلها الى جانب عرب فلسطين والنضال معهم لتحقيق استقلال بلادهم، كما قررت اللجنة اتخاذ كل الاجراءات والوسائل الكفيلة بشراء الاسلحة وتوزيعها على عرب فلسطين.

وقد جاءت مقررات اللجنة السياسية متأخرة، ولذا باءت كلها بالفشل وأدت الى ضياع فلسطين . اذ في الوقت الذي أصبح فيه لدى اليهود اكثر من ٦٠٠٠٠ مقاتل مزودين بأحدث الاسلحة ، صحت الدول العربية من سباتهـــا ، وقررت تشكيل جيش انقاذ قوامه ١٠٠٠٠ رجل، ثم انخفض هذا العدد ليصبح ٣٦٣٠ متطوعاً بأسلحة هزيلة وذخيرة قليلة لا تكفي اسابيع معدودة .

وقد كان من المقرر ان يكون لدى جيش الانقاذ الأسلحة الآتية :

أسلحة خفيفة	أسلحة مساندة	مواد ومعدات تفجير
٣٣٤٠ مسدس	١٤ مدفع متوسط	٦ طن ديناميت
٧٩٣٠ بندقية	٤٥ مدفع هاون ٢ انش	٣ طن بارود أسود
٤ ملايين طلق ناري	٣٠٠٠ قنبلة مدفعية	٥٠٠٠ صاعق عادي
٦٠ رشاش	متنوعة	١٠٠٠ صاعق كهربائي
١٢ الف قنبلة يدوية		٣٠ مفجر قديم
		٦٠ لفة فتيل بطيء

ولكن المتوفر منه عند صدور قرار التقسيم كان (٧٠٠) بندقية قدمت سورية منها (٥٠٠) بندقية ، وقدم لبنان (٢٠٠) بندقية مع قليل من العتاد . لقد كانت هـــذه الكمية هي كل الموجود من اصل ١٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠ رشاش و ٣٠٠٠ مسدس .

ولننظر الآن الى التقرير الذي أعده الخبراء العسكريون ولنعرف السبب في ضياع فلسطين .

١ – ان لدى اليهود ٦٠ الف مقاتل مجهزين بأسلحة حديثة ، كما ان اليهود يملكون معامل للذخيرة واصلاح السلاح ، اضافة الى عدد كبير من المدربين والضباط المجربين .

٢ — ان سلاح العرب ضئيل وغير صالح وقديم ، مما يجعل العرب المقيمين في مناطق مكتظة باليهود معرضين لخطر كبير بعد انسحاب القوات البريطانية .

٣ — توصي اللجنة العسكرية بالاعتماد على عرب فلسطين وجعلهم الأساس في الدفاع عن بلادهم وتسليحهم تسليحاً فنياً وعسكرياً ليتمكنوا من مجابهة العدو .

٤ — عدم دخول الجيوش العربية النظامية فلسطين ، بل الوقوف على الحدود فقط وامداد الفلسطينيين بما يحتاجونه من عتاد وأسلحة حربية ومتطوعين يساعدونهم عند الحاجة .

صدر

الظلّ الأخضر

مجموعة من الشعر الحديث الفولكلوري

لممدوح عدوان

منشورات وزارة الثقافة - دمشق

نص قرار الجمعية العمومية رقم ١٩٤ المؤرخ ١٩٤٨/١٢/١١

(جلسة رقم ١٨٦)

القاضي بحق اللاجئين العرب في العودة الى ديارهم — وانشاء لجنة التوفيق

— ان الجمعية العمومية :

بعد ان بحثت الحالة في فلسطين من جديد :

١ — تعرب عن عميق ارتياحها للتقدم الذي تم بفضل المساعي الحميدة المبذولة من وسيط الأمم المتحدة في سبيل تسوية سامية للحالة المستقبلة في فلسطين ، تلك التسوية التي ضحى من أجلها بحياته . وتشكر للوسيط بالوكالة ولموظفيه جهودهم غير المتقطعة وروح الشعور بالواجب التي دللوا عليها في فلسطين .

٢ — تنشيء لجنة توفيق مكونة من ثلاث دول أعضاء في الامم المتحدة مكلفة بالوظائف التالية :

(آ) القيام بقدر ماترى ان الظروف تستلزمه بالوظائف التي يكلها الى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين قرار الجمعية العمومية رقم ١٨٦ (د . غير عادية ٢) الصادرة ١٩٤٨/٥/١٤ .

(ب) والقيام بالمهام وتنفيذ التوجيهات المحددة التي يصدرها اليها القرار الحالي والقيام بالمهام وتنفيذ التوجيهات التكميلية التي قد تصدرها اليها الجمعية العمومية أو مجلس الأمن .

(ج) القيام — بناء على طلب مجلس الأمن — بكل مهمة تكلها حالياً

قرارات مجلس الأمن الى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين أو الى لجنة الأمم المتحدة للهدنة . وينتهي دور الوسيط اذا ماطلب مجلس الأمن الى لجنة التوفيق القيام بجميع المهام التي ماتزال قرارات مجلس الأمن تكلها الى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين .

٣ — تقرر أن تقوم لجنة من الجمعية العمومية مكونة من الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الاميركية بأن تعرض على الجمعية لموافقتها قبل نهاية القسم الأول من الدورة الحالية للجمعية العمومية اقتراحاً خاصاً بأسمـــاء الدول الثلاث التي ستكون منها لجنة التوفيق .

٤ — تدعو اللجنة الى استلام مهامها فوراً حتى تقيم في أقرب مايمكن علاقات بين الأطراف ذاتها وبين هذه الأطراف واللجنة .

٥ — تدعو الحكومات والسلطات المعنية الى توسيع نطاق المفاوضات المنصوص عليها في قرار مجلس الامن الصادر في ١٩٤٨/١١/١٦ والى البحث عن اتفاق بطريق المفاوضات اما مباشرة أو مع لجنة التوفيق بغية اجراء تسوية نهائية لجميع المسائل التي لم تتفق عليها بعد .

٦ — تصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق لاتخاذ التدابير بغية معاونة الحكومات والسلطات المعنيـــة على أن تسوي بصورة نهائية جميع المسائل التي لم تتفق عليها بعد .

٧ — تقرر وجوب حماية الأماكن المقدسة — خصوصاً الناصرة — والمواقع والأبنية الدينية في فلسطين وتأمين حرية الوصول اليها وفقاً للحقوق القائمة والعرف التاريخي ووجوب اخضاع الترتيبات المعمولة لهذه الغاية لرقابة الامم المتحدة الفعلية

ووجوب ابتداء لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة لدى تقديها الى الجمعية العمومية في دورتها العادية الرابعة اقتراحات مفصلة بشأن نظام دولي دائم لأراضي القدس توصيات بشأن الاماكن المقدسة الموجودة في هذه الاراضي ووجوب طلب اللجنة الى السلطات السياسية في المناطق المعنة تقديم ضمانات صريحة رسمية مرضية فيما يتعلق بحماية الاماكن المقدسة والوصول الى هذه الأماكن وعرض هذه التعهدات على الجمعية العامة للموافقة .

٨ – تقرر أنه نظراً للعلاقات التي لمنطقة القدس مع ديانات عالمية ثلاث فان هـذه المنطقة – بما في ذلك بلدية القدس الحالية يضاف اليها القرى والمراكز المجاورة التي يكون ابعدها شرقا ابو ديس وابعدها جنوبا بيت لحم وابعدها غربا عين كارم (بما فيها تجمع موسى) وابعدها شمالا الشوفات يجب ان تتمتع بمعاملة خاصة ومتميزة عن معاملة مناطق فلسطين الاخرى . ويجب ان توضع تحت اشراف الأمم المتحدة الفعلي . وتدعو مجلس الأمن الى اتخاذ تدابير جديدة بغية تأمين نزع سلاح مدينة القدس في أقصر مدة ممكنة ، وتصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق لتقدم الى الجمعية العمومية في دورتها العادية الرابعة اقتراحات مفصلة بشأن نظـام دولي دائم لمنطقة القدس ويؤمن لكل من الفئتين المتميزتين الحد الاقصى من السيادة المحلية المتوافق مع النظام الدولي الخاص لمنطقة القدس . ولجنة التوفيق مأذونة بتعيين ممثل الأمم المتحدة يتعاون مع السلطات المحلية فيما يتعلق بالادارة المؤقتة لمنطقة القدس .

٩ – تقرر وجوب منح سكان فلسطين جميعهم أقصى حرية ممكنة للوصول الى مدينة القدس بطريق البر والسكك الحديدية وبطريق الجو وذلك الى أن تتفق الحكومات والسلطات المعنية على ترتيبات وتدابير اكثر تفصيلا .

تصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق بأن تعلم مجلس الأمن فورا بكل تقييد للوصول الى المدينة يمكن أن يحاول فرضه من الأطراف، وذلك كي يتخذ المجلس التدابير اللازمة.

١٠ - تصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق بالعمل على عقد اتفاقات بين الحكومات والسلطات المعنية ، من شأنها تسهيل نمو المنطقة الاقتصادي وعلى وجه الخصوص عقد اتفاقات بشأن الوصول الى المرافىء والمطارات واستعمال وسائل النقل والمواصلات .

١١ - تقرر ضرورة السماح لمن يرغب في ذلك من اللاجئين في العودة الى بيوتهم في أقرب ما يمكن والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب وضع تعويضات عن أموال الذين يقررون عدم العودة الى بيوتهم وعن كل مفقود او مصاب بضرر عندما يكون من الواجب وفقاً لمبادىء القانون الدولي أن يعوض ذلك الفقدان او الضرر من قبل الحكومات او السلطات المسؤولة .

وتصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق بتسهيل اعادة اللاجئين الى وطنهم واسكانهم من جديد وتسهيل نهوضهم الاقتصادي والاجتماعي وكذلك دفع التعويضات وبالمحافظة على الاتصال لوثيق مع مدير اغاثة الأمم المتحدة للاجئي فلسطين وبواسطة هذا مع الهيئات والوكالات المختصة في منظمة الأمم المتحدة.

١٢ - يأذن للجنة التوفيق بأن تعين من الهيئات الفرعية وتستخدم من الخبراء العاملين تحت امرتها ما ترى أنها بحاجة اليه لتؤدي بصورة مجدية وظائفها والتزاماتها الواقعة على عاتقها بموجب نص القرار الحالي . ويكون مقر لجنة التوفيق الرسمي في القدس ويكون على السلطات المسؤولة عن حفظ الأمن في القدس اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتأمين سلامة اللجنة . ويقدم الأمين العام عدداً محدداً من الحراس لحماية موظفي اللجنة ودورها .

١٣ – تصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق بأن تقدم الى الأمين العام بصورة دورية تقارير عن تطور الحالة كي يقدمها الى مجلس الأمن والى أعضاء منظمة الأمم المتحدة .

١٤ – تدعو الحكومات والسلطات المعنية جميعاً الى التعاون مع لجنة التوفيق والى اتخاذ جميع التدابير الممكنة للمساعدة على تنفيذ القرار الحالي .

١٥ – ترجو الأمين العام تقديم ما يلزم من موظفين وتسهيلات واتخاذ الترتيبات المطلوبة لتوفير الأموال اللازمة لتنفيذ احكام القرار الحالي .

اوضحت الهيئة العامة في دورتها العادية الخامسة ١٩٥٠ قصدها مضيفة ضمانات هامة ضد اي احتمال للتمييز قانونياً او واقعياً ضد اللاجئين عند عودتهم الى اوطانهم فقالت :

« تدعو الحكومات المعنية لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بأن يعامل اللاجئون سواء عادوا الى أوطانهم او أعيد اسكانهم ، دونما تمييز في الواقع امام القانون »

(القرار رقم ٣٩٤ (٧) ١٤ كانون الاول ١٩٥٠
الفقرة الثالثة)

أكدت الهيئة العامة في دورات عادية عقدتها منذ عام ١٩٤٨ – وعددها ١٥ دورة عادية – الاعتراف بحق اللاجئين بالعودة الى ديارهم وفق رغبتهم الحرة . وقد بدا هـذا التأكيد اوضح مايكون في الفقرة الاولى من كل من القرارات الآتية :

آ – قرار رقم ٣٠٢ (IV) المؤرخ في ٨ كانون الاول ١٩٤٩
ب – « « ٣٩٤ (V) « « ١٤ كانون الاول ١٩٥٠
ج – « « ٥١٢ (VI) « « ٢٦ كانون ثاني ١٩٥٢
د – « « ٦١٤ (VII) « « ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢
هـ – « « ٧٢٠ (VIII) « « ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣
و – « « ٨١٨ (IX) « « ٤ كانون الاول ١٩٥٤
ز – « « ٩١٦ (X) « « ٣ كانون الاول ١٩٥٥
ح – « « ١٠١٨ (XI) « « ٢٨ شباط ١٩٥٧
ط – « « ١١٩١ (XII) « « ١٢ كانون الاول ١٩٥٨
ي – « « ١٣١٥ (XIII) « « ١٢ « « ١٩٥٨
ك – « « ١٤٥٦ (XIV) « « ٩ كانون الأول ١٩٥٩
ل – « « ١٦٠٤ (XV) « « ٢١ نيسان ١٩٦١
م – « « ١٧٢٥ (XVI) « « ٢٠ كانون الاول ١٩٦١
ن – « « ١٨٥٦ (XVII) « « ٢٠ « « ١٩٦٢
س – « « ١٩١٢ (XVIII) « « ٣ « « ١٩٦٣

المرجع : مجلة المعرفة العدد ٤٩ ص ١٤١ – ١٤٢

ربطت الهيئة العامة ربطاً مباشراً بين قبول اسرائيل في عضوية الأمم المتحدة ١١ أيار ١٩٤٩ وبين تنفيذ القرار رقم ١٩٤ (IST) الصادر قبل ذلك بخمسة أشهر. وكانت اسرائيل بذلك من بين مايزيد على ٦٠ عضواً قبلوا في عضوية الأمم المتحدة منذ قيامها، الدولة الوحيدة التي ربط قبولها بتنفيذ قرارات معنية أصدرتها الهيئة العامة.

ورغم ذلك بقيت هذه القرارات حبراً على ورق، ولم تنفذ اسرائيل شيئاً منها.

تواريخ هامة

١٨٩٦ – ١٤ شباط (فبراير) – نشر هرتزل في فينا (النمسا) كتابه «الدولة اليهودية» الذي يعتبر دستوراً للصهيونية العالمية.

١٨٩٧ – انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال (سويسرا). أقرّ المؤتمر برنامج هرتزل.

١٩١٦ – ١٦ أيار (مايو) – توقيع اتفاقية سايكس–بيكو في لندن. بموجبها تم اقتسام البلاد العربية التي كانت داخلة في الامبراطورية العثمانية، بين بريطانيا، وفرنسا، وروسيا. وكان مفروضاً أن توضع فلسطين تحت اشراف دولي.

١٩١٧ – ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) – صدور وعد بلفور الذي تعهدت بريطانيا بموجبه بالسماح لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

١٩٢٠ – ٢٤ نيسان (ابريل) – انعقاد مؤتمر السلام في سان ريمو، الذي منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين.
– انتخاب حاييم وايزمان رئيساً للمنظمة الصهيونية.

١٩٢٢	– أقرت عصبة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين .
١٩٣٩ – ١٧ أيار (مايو)	– نشرت بريطانيا كتاباً أبيض حددت فيه حداً أعلى للهجرة اليهودية ، كما حددت فيه حق اليهود بتملك الأراضي .
١٩٤٤ – ١٠ أيلول (سبتمبر)	– قررت بريطانيا انشاء حرس مسلح من اليهود ، يتولون الدفاع عن المستعمرات اليهودية في فلسطين .
١٩٤٥	– انشاء جامعة الدول العربية .
١٩٤٦ – ١٠ أيلول (سبتمبر)	– مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ، رفضت البلاد العربية إقامة دولة يهودية في فلسطين .
١٩٤٧ – ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر)	– أقرت هيئة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية . أما منطقتا القدس وبيت لحم فتكونان تحت اشراف دولي .
١٩٤٨ – ١٤ أيار (مايو)	– بريطانيا تعلن انهاء انتدابها على فلسطين ، وتسحب منها آخر جنودها ، بعد أن تترك لليهود معدات حربية وأسلحة هائلة .
١٥ أيار (مايو)	– دافيد بن غوريون يعلن قيام دولة اسرائيل – الجيوش العربية تدخل الى فلسطين – الولايات المتحدة الامريكية تعترف باسرائيل

١٧ أيار (مايو) — الاتحاد السوفيتي يعترف باسرائيل .

٢٠ أيار (مايو) — مجلس الأمن يعين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً ليسهر على وقف اطلاق النار بين الجانبين .

١٧ ايلول (سبتمبر) — العصابات الصهيونية تغتال الكونت برنادوت

١١ كانون الأول (ديسمبر) — الأمم المتحدة تصدر قراراً بحق اللاجئين العرب في العودة الى بيوتهم او التعويض عليهم حسب رغبتهم (قرار رقم ١٩٤) .

١٩٤٩ — كانون الثاني (يناير) — بريطانيا وفرنسا تعترفان باسرائيل .

— شباط (فبراير) — عقد الهدنة في جزيرة رودس بين مصر ثم الأردن ولبنان وسوريا وبين اسرائيل .

— أيار (مايو) — أقر مجلس الأمن قبول اسرائيل عضواً في هيئة الأمم المتحدة .

— كانون الأول (ديسمبر) — الأمم المتحدة توافق على تدويل القدس .

١٩٥٢ — ٢٣ تموز (يوليو) — خلع الملك فاروق وزوال الملكية واعلان الجمهورية في مصر ، وقيام حكومة الثورة .

١٩٥٣ — تشرين الأول (اكتوبر) — ظهور مشروع جونستون الخاص باستثمار مياه نهر الاردن بين البلاد العربية واسرائيل .

١٤ تشرين الأول (اكتوبر) — مذابح قبية . العصابات الصهيونية تهاجم قرية قبية العربية في الأردن وتذبح اكثر من خمسين شخصاً من ابنائها .

١٩٥٥ – ايلول (سبتمبر) – الجمهورية المصرية توقع عقداً لشراء كميات من الاسلحة الحديثة من تشيكوسلوفاكيا .

١٩٥٦ – ٢٦ تموز (يوليو) – الرئيس جمال عبد الناصر يصدر قراراً بتأميم شركة قناة السويس .

٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) – العدوان الثلاثي على مصر : اسرائيل تهاجم القوات المصرية في سيناء ، تدعمها القوات الفرنسية والبريطانية .

٢ تشرين الثاني (نوفمبر) – هيئة الامم المتحدة تصدر قراراً بوقف اطلاق النار فوراً وانسحاب القوات المعتدية من الاراضي المصرية .

١٩٥٧ – ٧ آذار (مارس) – انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء ومن قطاع غزة .

١٩٥٨ – ٢٢ شباط (فبراير) – اعلان الوحدة بين سورية ومصر ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

١٤ تموز (يوليو) – سقوط الحكم الملكي في العراق ، واعلان النظام الجمهوري .

١٩٦١ – ٢٨ ايلول (سبتمبر) – انفصال الوحدة بين سورية ومصر .

١٩٦٢ – ٢٦ ايلول (سبتمبر) – قيام الثورة في اليمن واعلان النظام الجمهوري فيها .

١٩٦٣ – ٨ شباط (فبراير) – سقوط الحكم الديكتاتوري في العراق الذي كان يرأسه عبد الكريم قاسم .

١٩٦٣ – ٨ اذار (مارس) – اسقاط حكم الانفصال في سورية ، وقيام حكم ثوري اشتراكي فيها.

١٩٦٤ – كانون الثاني (يناير) – انعقاد مؤتمر القمة العربي الاول في القاهرة لبحث تحويل اسرائيل لمياه نهر الاردن. المؤتمر يقرر : انشاء القيادة العربية الموحدة - انشاء منظمة التحرير الفلسطينية - الهيئة العربية لتحويل روافد مياه نهر الأردن.

١٩٦٤ – ايلول (سبتمبر) – انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني في الاسكندرية.

١٩٦٥ – ايلول (سبتمبر) – انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء بالمغرب.

قبيل العدوان الاسرائيلي الأخير

١٩٦٧ – ٧ نيسان (ابريل) – الطائرات الاسرائيلية تقوم بغارة على الجمهورية العربية السورية.

١٢ أيار (مايو) – الجنرال رابين رئيس اركان الجيش الإسرائيلي يصرح بأن اسرائيل لايمكن ان تكون في امان مادام الحكم الثوري قائماً في دمشق.

١٣ أيار (مايو) — اسرائيل تحشد قواتها استعداداً للعدوان على القطر العربي السوري .

١٤ أيار (مايو) — قوات الجمهورية العربية المتحدة تتجه الى الجبهة .

١٦ أيار (مايو) — رئيس اركان القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة يطلب الى قوات الامم المتحدة التجمع في غزة .

١٨ أيار (مايو) — استنفار القوات المسلحة في كل من الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة لمواجهة الحشود الاسرائيلية .

— السيد اوثانت الامين العام للأمم المتحدة يعلن في مجلس الأمن بأنه اصدر اوامره الى قوات الأمم المتحدة بالانسحاب من سيناء ، وبأن الحالة في الشرق الاوسط خطيرة جداً .

٢١ أيار (مايو) — قوات الجمهورية العربية المتحدة تحل محل القوات الدولية في منطقة شرم الشيخ .

٢٢ أيار (مايو) — الجمهورية العربية المتحدة تمنع البواخر التي تحمل علماً اسرائيلياً والبواخر التي تحمل مواد استراتيجية الى اسرائيل من عبور مضائق تيران .

— الولايات المتحدة تعتبر اغلاق مضائق تيران وخليج العقبة عملاً غير شرعي .

٢٣ أيار (مايو) — السيد اوثانت يتباحث في القاهرة مع المسؤولين حول الازمة .

— الاتحاد السوفياتي يصدر بياناً يحذر فيه اسرائيل والأمبرياليين من مهاجمة البلاد العربية ، وينذرهم بأن الاتحاد السوفييتي والبلاد العربية ستحبط مثل هذا الهجوم في حال وقوعه .

— فرنسا تقترح اجتماعاً للدول الأربع الكبرى لمعالجة الموقف .

— بريطانيا تتخذ موقفاً مماثلاً لموقف الولايات المتحدة وتساند اسرائيل .

٣٠ أيار (مايو) — الجزائر والمغرب تقرران ارسال قوات مسلحة للشرق الأوسط لدعم الحق العربي .

— الملك حسين يوقع في القاهرة مع الرئيس جمال عبد الناصر على اتفاقية دفاع مشترك ، اصبحت بموجبها القوات الاردنية تابعة لقيادة عربية مشتركة .

١ حزيران (يونيو) — تشكيل حكومة حرب جديدة في اسرائيل تمثل فيها جميع الأحزاب ويتسلم فيها

موشي دايان وزارة الدفاع ومناحيم بيجن وزارة الدولة .

٢ حزيران (يونيو) — الحكومة الفرنسية تعلن بأن البادىء في استعمال السلاح في الشرق الاوسط لن يحصل على تأييدها ولا على دعم منها .

٥ حزيران (يونيو) — الساعة السادسة بتوقيت غرينتش (التاسعة بتوقيت القاهرة) بدأ العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية . هاجم الطيران الاسرائيلي مطارات الجمهورية العربية المتحدة . بدأت المعارك البرية على الحدود المصرية والحدود الأردنية ، ثم على الحدود السورية .

معركتنا العربية

في مواجهة الاستعمار والصهيونية

تأليف : عبد الكريم غلاب
محمد العربي المساري
عبد الجبار السحيمي

عرض : ظافر عبد الواحد

يبدأ هذا الكتاب باستعراض العدوان الإسرائيلي منذ صباح ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ موضحاً ذلك بخريطة للمواقع العربية التي هوجمت بالطائرات ، وموقع العريش الذي هوجم بالمدرعات . ويحاول الكتاب تقدير مدى الوعي بالمعركة . كما يتحدث عن اتفاقيات الدفاع المشترك بين بعض الدول العربيـــة ، وتحضير اسرائيل لغزو سورية ، وابتداء المعركة من العقبة .

ويشرح الكتاب أهمية إقفال خليج العقبة ، ويقدم خريطة توضح القناة التي تحاول اسرائيل حفرها في صحراء النقب وبين ايلات على خليج العقبة وأسدود على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ثم يوضح الكتاب كيف واجهت

الدول إقفال الخليج ، ويشرح سير المعركة ، ويقدم مخططاً للمعارك البرية في جبهة سيناء وخليج العقبة — أعدته الهيئة العربية العليا لفلسطين — وخريطة تبين اتجاه الهجوم الاسرائيلي على الضفة الغربية من الأردن ، ومخططاً للمعارك البرية في الجبهة السورية .

ثم يشرح الكتاب التوسع الحاصل بعد العدوان. ويلاحظ أن المعركة اتخذت طابع الحرب القصيرة التي يفرضها الوجود الاسرائيلي في المنطقة . ويحلل بعد ذلك موقف الأمم المتحدة من المعركة ويعرض بعض المشاريع التي قدمها الى الجمعية العامة ومجلس الأمن كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ودول عدم الانحياز ونيجيريا ودول أمريكا اللاتينية وإسبانيا وباكستان .

ويبين الكتاب أثر العدوان في العالم وفي البلاد العربية والمغرب العربي خاصة ، ويفضح مطامع اسرائيل التوسعية .

وفي الكتاب فصل خاص بتاريخ الحركة الصهيونية وتطورها ، وتفنيد للمزاعم الاسرائيلية بحق اليهود في فلسطين .

إسرائيل واقع استعماري (١)

تأليف : مكسيم رودنسون
ترجمة : إحسان الحصني

عرض : ظافر عبد الواحد

مكسيم رودنسون عالم اجتماعي بارز يشغل حالياً منصب مدير الدراسات في معهد الدراسات العليا بباريس . وهو من اليهود الأحرار الذين ساءهم أن يسخر الدين اليهودي لمآرب سياسية ملتوية ، وراعهم ماتضمنته الدعوة الصهيونية من زيف ومغالطة وتضليل، وما لحق بالعرب بسببها من ظلم وأذى وتقتيل وتشريد . فتعالت صرخاته تدين وتستنكر وتفضح.

وهو في هذه الدراسة يتناول حقوق اليهود التاريخية المزعومة في فلسطين ، ويفندها بأسلوب علمي رصين فتتهاوى . ثم ينتقل الى طبيعة الصهيونية الاستعمارية وارتباطها بالحركة الامبريالية الأوربية ــ الأمريكية ، فيأتي بما يثبت ذلك بشكل قاطع ، وينتهي الى تبرير ثورة العرب وكفاحهم لاسترجاع بلادهم السليب وحقهم الهضيم .

(١) منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ــ دمشق ١٩٦٧

عوامل تكوين اسرائيل

السياسية والعسكرية والاقتصادية (١)

تأليف : أنجلينا الحلو

عرض : ظافر عبد الواحد

قدمت المؤلفة هذا البحث في الأصل ، باللغة الانكليزية ، كرسالة للحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية باشراف الاستاذ فائز صائغ . وقام بترجمة الدراسة الى اللغة العربية الدكتور أسعد رزق .

تبحث هذه الدراسات في اسرائيل كقوة لا كدولة . وتلفت النظر الى أن اسرائيل تمثل ، في نظر زعماء الاسرائيليين والصهيونيين ، في شكلها الحالي كدولة ، مرحلة تطور في سياق الحركة القومية الصهيونية . كما تسترعي الانتباه الى ان العقائدية الصهيونية هي التي تقرر حركة المشروع القومي الذي يخطط له الصهيونيون ويعملون .

وقد اهتمت الدراسة بالعناصر التالية في بحث التفاعل بين العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية في تكوين اسرائيل :

١ – كتاب هرتزل (الدولة اليهودية) وهو بمثابة الوثيقة القومية والنقطة التي تعين اتجاه الصهيونية .

---

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية (رقم ١٦) بيروت ١٩٦٧ .

٢ ـ « اعلان الاستقلال » ، وهو نقطة اخرى ، حاسمة في سير الحركة .

٣ ـ الانجازات العينية المادية التي تسد الثغرة بين النقطتين الحاسمتين في تاريخ حياة الحركة الصهيونية .

٤ ـ العوامل التي تفعل في تكوين اسرائيل كدولة وتؤثر في الوقت نفسه بتطورها كحركة :

أ ـ تطور دور العسكريين

ب ـ بروز الهستدوت كطبقة

حـ ـ الأملاك العربية المتروكة

د ـ المصادر الخارجية للأموال التي تساهم في القدرة على الصمود الاقتصادي.

وتستشهد المؤلفة في الدلالة على أهمية الربح الذي جناه الاقتصاد الاسرائيلي من نزوح العرب عن اراضيهم بالفقرة التالية من كتاب دون بيرتيز (اسرائيل وعرب فلسطين) :

« ان الاملاك المهجورة شكلت واحدة من اهم الاسهامات لجعل اسرائيل قادرة على العيش . فمدى مساحة الدولة ، وكون معظم المناطق المتاخمة للحدود فارغة بنزوح سكانها كان امراً ذا مدلول استراتيجي خطير . ومن بين ٣٧٠ مستعمرة جديدة اقيمت بين ١٩٤٨ ومطلع ١٩٥٣ ، كان ٣٥٠ في اراض متروكة (أملاك الغائبين) . وفي ١٩٥٤ كان أكثر من ثلث السكان اليهود يقيمون في أملاك مهجورة وحوالي ثلث المهاجرين الجدد (٢٥٠٫٠٠٠) كانوا يقيمون في أملاك المدن التي أخلاها العرب . فانهم كانوا قد أخلوا مدناً بأكملها مثل يافا وعكا واللد والرملة وبيسان والمجدل وكذلك ٣٨٨ حاضرة وقرية بأكملها وأجزاء كبيرة من ٩٤ مدينة وحاضرة تشمل نحو ربع مجموع المباني في اسرائيل كلها » .

اخطار التقدم العلمي في اسرائيل (١)

تأليف : يوسف عروة

عرض : هشام الدجاني

الكتاب كما يبدو من عنوانه كشف للجوانب العلمية التي تقدمت فيها اسرائيل، والفروع العلمية التي تهتم بها اكثر من غيرها، وخطورة هذا التقدم على سلامة وأمن الشعوب العربية المجاورة . والكتاب من جهة اخرى فيه تحذير للحكومات والشعوب العربية . فتقدم العدو العلمي يجب أن يكون حافزاً للمجابهة والسبق ، فلا ندعه يصول ويجول في ميدان من اخطر الميادين، ونسير نحن بسرعة السلحفاة في عصر هو عصر التقدم العلمي والكفاءة التقنية .

يضم الكتاب بين صفحاته المسائة والاربعين خمسة فصول وملحقاً . ويتناول الفصل الأول المعاهد التقنية العالية في اسرائيل ونشاطاتها العلمية . ومن ابرز هذه المعاهد والمؤسسات العلمية : الجامعة العبرية في القدس التي افتتحت رسمياً فوق جبل المكبر (سكوبس) في القدس

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية – بيروت – ١٩٦٧ .

عام ١٩٢٥ . يعمل أساتذة هذه الجامعة وخبراؤها في أكثر من ١٦٠٠ بحث . وقد نشرت المجلات العلمية العالمية بين عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ حوالي الفي مقال علمي حول نتائج الأبحاث والدراسات العلمية الجارية في هذه الجامعة . وتبلغ المساعدات التي تتلقاها الجامعة من المؤسسات والحكومات الاجنبية سنوياً مقدار ٧ ملايين ليرة اسرائيلية . وتهتم الجامعة العبرية بالابحاث الأساسية في ميادين الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم الطبيعية . وهذه الابحاث موزعة على عدد من المعاهد والدوائر في الجامعة. من هذه المعاهد والدوائر: معهد الرياضيات، ودائرة الفيزياء النظرية والتجريبية . ويرأس الدائرة الأولى البروفسور راقه الذي الذي اصبحت اسرائيل بفضل دراساته في الذرة تعتبر من المراكز الدولية لأبحاث التركيب النووي. كما تضم الجامعة كذلك دائرة الكيمياء التحليلية ، ودائرة الكيمياء الفيزيائية والكيمياء العضوية والكيمياء الحيوية . وتعتبر اسرائيل من البلدان المتقدمة في الدراسات الكيماوية وتطبيقاتها العديدة .

بالاضافة الى الجامعة العبرية هناك معهدان علميان عاليان يعتبران من المعاهد العلمية المرموقة في العالم . وتجري في هذين المعهدين ابحاث على درجة خطيرة من الأهمية وهما :

معهد اسرائيل التكنولوجي (تكنيون)

وهو مؤسسة هامة للتدريس والابحاث في العلوم والتكنولوجيا . افتتح سنة ١٩٢٤ وبلغ عدد طلابه ١٩٦٤ — ١٩٦٥ اكثر من ٣٥٠٠ طالب . وبلغ عدد مشاريعه عام ١٩٦٤ حوالي ٧٠٠ مشروع من شأنها أن تقدم خدمات فنية هامة للصناعة والزراعة .

يعمل في « التكنيون » مجموعة من كبار العلماء في شتى الفروع . وفي بداية عام ١٩٥٩ انشئت دائرة جديدة في هذا المعهد هي دائرة الهندسة والعلوم النووية. والغاية من هذه الدائرة تأمين الخبراء اللازمين للعمل في المفاعلات الذرية.

معهد وايزمان للعلوم :

تأسس هذا المعهد في رحفوت عام ١٩٣٤ ، وقد تولى حاييم وايزمان - رئيس دولة اسرائيل السابق - ادارته فترة طويلة . وهو أكبر مركز للأبحاث العامية والتقنية في اسرائيل ، وفيه احدث دماغ الكتروني واحدث مسرّع نووي لقذف النوى الذرية . بلغ عدد طلاب المعهد عام ٦٦-١٩٦٧ حوالي ٣٢٠ طالباً .

ويتحدث الكاتب في الفصل الثاني من هذا الكتاب عن النشاط العلمي الدولي لاسرائيل .

أما الفصل الثالث - وهو من أهم فصول الكتاب - فيتحدث عن الذرة في اسرائيل ، والمفاعلات الذرية ، والتطبيقات العملية للطاقة الذرية ، واخيراً انتاج القنبلة الذرية !

مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية :

قامت هذه المؤسسة في ١٥ آب ١٩٤٨ وبدأت تباشر نشاطها تحت اشراف وزارة الدفاع . ثم استقلت واقيمت منشآتها ومختبراتها في مدينة تل حال سوريك .

وعندما اعلن الرئيس الامريكي ايزنهاور عن برنامج « الذرة من اجل السلام » ، وأعلنت الامم المتحدة عن انشاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية استفادت اسرائيل كثيراً من المساعدات العلمية والفنية لهاتين المؤسستين ، وحظيت بحصة الأسد من النظائر المشعة والأورانيوم . والجدير بالذكر ان اسرائيل كانت من اولى الدول التي وقعت الاتفاقية الثنائية الخاصة بمشروع « الذرة من اجل السلام » مع الحكومة الامريكية ، وكذلك وقعت الاتفاقية الخاصة بالانتساب الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية . ولم يمض ستة أعوام على افتتاح قسم الفيزياء النووية في معهد وايزمان حتى ارتفع عدد الباحثين فيه من ٦ الى ٦٠ عالماً وباحثاً .

التجهيزات الذرية :

تملك اسرائيل تجهيزات ذرية تفتقر اليها عدة دول اوروبية . وتحتوي هذه التجهيزات على اربعة مفاعلات ذرية وأربعة مسرعات نووية (Nucleor

accelertors)، وعدد من أجهزة فصل النظائر (Isotope Separators) والمفاعلات الذرية في اسرائيل هي:

١ـ مفاعل ريشون ليزيون: وضعت تصاميم هذا المفاعل شركة (AMF- Atomics) الأميركية. وهو من النوع الحراري غير المتجانس (Thermal Heterogeneous)، وتبلغ طاقته الكاملة ٨ ملايين واط حراري. والهدف من تشغيله هو البحث العلمي وانتاج النظائر المشعة. وقد بلغت تكاليف بنائه حوالي ٤٢ مليون دولار.

٢ ــ مفاعل ناحال سوريك: بوشر العمل ببنائه سنة ١٩٥٧ في قرية ناحال سوريك، ودشن رسمياً في ١٨/١/١٩٥٩. وتبلغ طاقته الاجمالية ٥ ملايين واط حراري والهدف من تشغيله هو انتاج النظائر المشعة. وقد تكلف انشاؤه ٣٠ مليون دولار.

٣ ــ مفاعل ديمونا: احاطت اسرائيل اعمال بناء هذا المفاعل الذري الكبير بجدار من السرية والكتمان. وينهض هذا المفاعل الذري الضخم الذي بوشر ببنائه عام ١٩٥٨ في الصحراء شمالي غربي مدينة ديمونا على طريق بئر السبع ــ ديمونا. وقد جرى بناؤه حسب تصاميم فرنسية وضعتها لجنة الطاقة الذرية الفرنسية: وهي تشبه تصاميم مفاعل (G 3) الفرنسي في ماركول. وتبلغ طاقته ٢٤ مليون واط حراري، ويمكنه ان ينتج ٨٧٦٠ غراماً من البلوتونيوم سنوياً. وهذا يعني ان اسرائيل اصبح لديها الآن حوالي ٦١،٣٦ كغ من البلوتونيوم. وهذه الكمية تكفي لصنع ٦ قنابل ذرية من طراز قنبلة ناغازاكي التي بلغت قوتها التدميرية ١٧ كيلو طن من مادة الـ (ت.ن.ت.) وهناك مصادر علمية تقول ان كمية البلوتونيوم التي ينتجها هذا المفاعل سنوياً تكفي لصنع قنبلتين ذريتين.

والجدير بالذكر ان بناء هذا المفاعل قد جرى بموجب اتفاقية سرية بين فرنسا واسرائيل. ويعتقد ان العلماء الفرنسيين حصلوا، مقابل هذه المساعدة الفرنسية، على بعض اسرار تفاعلات الاندماج النووي من العلماء اليهود في الولايات المتحدة.

وقد اسهم عدد من علماء الذرة الفرنسيين بالاشراف على بناء هـذا المفاعل وتقديم الخبرة والمشورة الفنية .

٤ – مفاعل نبي روبين : بوشر العمل ببناء هذا المفاعل في ١٩٦٦/١/٢٧ في منطقة نبي روبين . وتشير التصاميم التي وضعتها شـركة (Atomics International) الامريكية الى أن طاقة المفاعل ستكون في حدود ٢٠٠ مليون واط حراري .
والهدف منه هو تحلية مياه البحر ، وانتاج الطاقة الكهربائية . والمفاعل ، عندما يتم بناؤه ، قادر على انتاج ٤١٧ مليون ليتر من الماء العذب يومياً ، ويمكن زيادة انتاجه حتى يبلغ ٦٧٥ مليون ليتر يومياً . وتقدر تكاليف بنائه وتشغيله بحوالي ٢٠٠ مليون دولار .

انتاج القنبلة الذرية

اشارت بعض التقارير العلمية الى أن القنبلة الذرية الاسرائيلية ستكون جاهزة في آخر أيلول ١٩٦٦ . وظن معظم الناس ان الخبر لا يعدو كونه اشاعة ، الا أن المعلومات العامة المتوافرة تشير الى امكان حدوث تجربة نووية باطنية في مكان ما من صحراء النقب على عمق لا يقل عن ٨٠٠ متر تحت الأرض . والكاتب في كتابه لا يؤكد انتاج اسرائيل للقنبلة الذرية ولا ينفي ذلك ، ولكنه يضع بين يدي القارىء معلومات ذات دلالة بالغة الأهمية .

ويكفي ان نسجل بعض الارقام ذكرها الكتاب حول الأموال التي صرفتها اسرائيل على الابحـاث والدراسات والتجهيزات من أجل صنع القنبلة الذرية :

١ – تجهيز وادارة مركز التجارب في الصحراء	٤٢ مليون دولار
٢ – دراسات وصنع القنبلة	٤٤ » »
٣ – مصاريف مؤسسة الطاقة الذرية التي تولت العمل	٤٠ » »
٤ – ادارة المفاعلات الذرية	٢٨ » »
٥ – بناء مفاعل ديمونا الذي انتج البلوتونيوم	٩٠ » »
المجموع	٢٤٤

وينتقل الكاتب في الفصل الرابع الى الحديث عن الثروة المعدنية في اسرائيل وانواع المعادن الموجودة وكمياتها المستخرجة سنوياً، وعن الصناعات التعدينية في اسرائيل. على ان اهم بحث في هذا الفصل هو بحث مصادر الطاقة. ذلك ان معظم الابحاث العلمية التطبيقية في اسرائيل تتجه نحو ايجاد بديل للطاقة الكهربائية مثل الطاقة الهوائية والشمسية والذرية. وقد نجح الجيولوجيون في تفجير المياه الباطنية في صحراء النقب والمناطق الجافة في فلسطين المحتلة، وفي استغلال بعض الاراضي الصحراوية وتشجيرها.

ومن المفيد أن نذكر في ختام عرضنا لهذا الكتاب أنه يضم الى جانب فصوله الخمسة القيمة ملحقاً بالأهداف العسكرية والعلمية الهامة في فلسطين المحتلة، يشتمل على معلومات دقيقة عن مواقع هذه الاهداف الجغرافية بالاضافة الى كافة المعلومات الفنية المتعلقة بها. وكذلك المناطق الصناعية والاستراتيجية ذات الأهمية الحيوية لاسرائيل.

التخطيط في اسرائيل (١)

ترجمة : بسام أبو غزالة

عرض : هشام دجاني

التخطيط في اسرائيل دراسة وضعها يهوديان اسرائيليان باللغة الانكليزية بشكل واف ودقيق . والكتاب يعالج قضايا التخطيط في اسرائيل من حيث طبيعتها ومشكلاتها ونتائجها في الماضي وتوقعاتها في المستقبل وقد جاء في مقدمة المترجم أن الضرورة كانت ملحة امام دولة اسرائيل لتبني سنة التخطيط المنهجي للتصدي للأزمة الكبرى التي ولدت بولد دولة اسرائيل تلك الولادة غير الطبيعية .

وطريق اسرائيل الى تحقيق مطامعها الكثيرة المتشعبة طريق وعر لا يذلله غير التخطيط . ويكفي اسرائيل مطمعاً يحفزها الى التخطيط الجاد تطلعها الى اعمار النقب بحيث يستوعب اربعة ملايين يهودي .

ومن المفيد ان نذكر ان التخطيط في الجيش الاسرائيلي قد سبق جميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية ، حتى أن كبار ضباط الجيش كانوا يتولون مناصب مدنية ليسيروا بها على أسس تخطيطية

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية – بيروت ١٩٦٧

منهجية كما كان الحال عندما انيطت وزارة الزراعة بموشى ديان. وهذا التقدم التخطيطي في الجيش مثل واضح على حافزي الأزمة والمطمح. فالجيش من جهة هو الدعامة الأولى للدفاع عن اسرائيل، ومن جهة ثانية هو وسيلة لتحقيق المطامع التوسعية التي تضمرها الحركة الصهيونية.

وهناك مشكلات كبرى يصطدم بها التخطيط في اسرائيل منها:

١ — شح موارد البلاد: فالزراعة لا تكفي لسد حاجة السكان، وكذلك الصناعة لا تستطيع أن تفي بالحاجة بسبب المقاطعة العربية لها وبسبب المنافسة الأجنبية.

٢ — توزع السكان غير المتناسب: إذ يتجمع معظم سكان اسرائيل في المنطقة الوسطى، ويرفض معظمهم السكنى في النقب بالرغم من أن التخطيط لهذه المنطقة يقتضي تعبئتها باليد العاملة.

٣ — عدم الاستقرار: فبالرغم من مضي عقدين من الزمن على مرور دولة اسرائيل فقد فشلت في تهيئة الاستقرار لنفسها.

٤ — نقص الخبرة الفنية: وهذه مشكلة تواجهها معظم الدول الناشئة أو المتخلفة اقتصادياً. فالتخطيط يقتضي وجود خبراء محترفين للاضطلاع به، وهؤلاء غير متوفرين — نسبياً — في اسرائيل.

يقسم مؤلفا الكتاب التخطيط في اسرائيل الى ثلاثة أقسام من التخطيط. ثم يتناولان بعد ذلك كل قسم على حدة ويوضحان مدى نجاح اسرائيل في تخطيطها في كل قسم من هذه الأقسام. وهذه الأقسام هي:

التخطيط الجزئي — التخطيط الطبيعي القومي — التخطيط الاقتصادي القومي.

التخطيط الجزئي

بالرغم من أن التخطيط القومي في اسرائيل مازال في بدايته فان بعض جوانب المجتمع الاسرائيلي قد وصلت الى مستوى تخطيطي عال في الجيش، والادارة، والمواصلات، والزراعة، ورؤوس الأموال المستوردة.

التخطيط الطبيعي القومي

اقتضى العبء الذي جثم على اسرائيل بسبب تدفق السكان الكبير تخطيطاً طبيعاً متطوراً في أجزاء كثيرة من البلاد ، يستهدف :

١ – توزيعاً معقولاً للسكان في مناطق البلاد المختلفة مع اعطاء الأفضلية للمناطق القليلة السكان في الجنوب والمرتفعات .

٢ – انشاء مستعمرات زراعية جديدة ، وتوسيع المستعمرات الموجودة .

٣ – تعيين المناطق الصناعية على اساس التوزع السكاني المطلوب واستغلال الطاقة البشرية .

ويقرر المؤلفان في ختام دراستهما انه ليس هناك سوى القليل جداً من التخطيط القومي الشامل بالرغم من ان هناك بعض التقدم في الناحية الاقتصادية من التخطيط. وكذلك مازال التخطيط الطبيعي محدود الاثر . ولكن التخطيط الجزئي يمكن أن يكون اساساً لتخطيط قومي شامل.

ليست درجة التخطيط القومي هي وحدها العامل الحاسم في تقرير سرعة التطور في اسرائيل . فاكثر من ذلك مدى العداء العربي ، ومقدار المعونة الاقتصادية التي تأتي لاسرائيل من الخارج . .

* * *

اسرائيل قبيل العدوان (١)

تأليف : رفيق حبيب مطلق

عرض : هشام الدجاني

يضم الكتاب أربعة فصول . الفصلان الأولان تمهيديان . يتناول الأول منها نشاطات اسرائيل الاقتصادية في الأرض المحتلة وخارجها ، وعلاقات اسرائيل التجارية الدولية ، واخيراً جهودها الرامية الى الدخول في السوق الاوروبية المشتركة .

أما الفصل الثاني فيتحدث عن العرب في اسرائيل . وقد سبق « للمعرفة » أن قدمت عرضاً وتلخيصاً لكتاب يحمل عنوان « العرب في اسرائيل » للأستاذ صبري جريس . وهو من كتب منظمة التحرير الفلسطينية كذلك .

في الفصل الثالث يتحدث الكاتب عن ظروف الأزمة واستعدادات اسرائيل الحربية .

فقد كان لتدهور الحالة الاقتصادية وانتشار البطالة وانعكاس حالة الهجرة ، أي تحولها من الداخل الى الخارج من جهة ، وتزايد نشاط منظمة الفتح الفعال من جهة اخرى ، اثر كبير فيما اقدمت عليه اسرائيل

---

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية – بيروت ١٩٦٧ .

صبيحة الخامس من حزيران . وقد جاءت الاعتداءات المتكررة التي سبقت العدوان انعكاساً لوضعها الداخلي وتعبيراً عن نواياها العدوانية . فكان عدوان السموع في تشرين الثاني ١٩٦٦ ثم العدوان على القرى السورية الأمامية في نيسان ١٩٦٧ . ثم جاء اخيراً عدوان الخامس من حزيران ، وهو العدوان الذي حضرت له اسرائيل طويلاً واستغلت الظرف الدولي والدعم الاستعماري للقيام به .

استعدادات اسرائيل الحربية

– ذكر ليفي اشكول في تصريح لصحيفة « لانفورماسيون » بتاريخ ١٩٦٧/٥/٩ « ان لدى اسرائيل اسلحة حديثة جداً قد كلفت الدولة تكاليف باهظة ، ولكن سوف لانعرضها جميعها على الناس كي نفاجيء العدو بها عند الضرورة » .

– ذكرت « مجلة دير شبيغل » الالمانية الغربية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٩ بأنه تقدم خلال يوم واحد الى سفارة اسرائيل في بون ٨٠ متطوعاً للحرب ، وان ٥٠٠ متطوع آخر تقدموا في يوم واحد الى سفارة اسرائيل في باريس .

– ذكرت صحيفة « جويش كرونيكل » البريطانية بعددها الصادر بتاريخ ٦٧/٤/٢٨ ان اسرائيل ستضاعف من قوة غواصاتها في الشهر القادم عندما تضم لبحريتها وحدتان اخريان ابتيعتا سابقاً من بريطانيا .

– ذكرت صحيفة « ها آرتس » الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ٦٧/٥/٣ بان الجيش الاسرائيلي سيطلب من المصانع الاسرائيلية صنع قطع ومعدات عسكرية بمبلغ ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية . وقالت مصادر وزارة الدفاع بأن هناك مبالغ اضافية اخرى ستصرف على مشروعات قديمة كانت تتعثر في سيرها وقد تقرر الآن استعجالها .

– قال محرر الشؤون العسكرية لصحيفة « الصنداي تلغراف » البريطانية في عدد الصحيفة الصادر بتاريخ ٦٧/٦/٢٧ ان عدداً من طائرات النقل الاسرائيلية

قد وصل خلال الأيام الثلاثة الاخيرة الى قاعدة سلاح الطيران البريطاني قرب لينكولن لنقل الأسلحة التي قدمتها بريطانيا مؤخراً لاسرائيل ، وأن من بين هذه الاسلحة عدداً من الدبابات البريطانية .

— أعلن متحدث بوزارة الخارجية الامريكية بتاريخ ٦٧/٥/٣٠ ان شحنة من الذخائر تحوي ٩١٠٠ رطل غادرت ترسانة الجيش الامريكي بولاية ميسوري وارسلت الى اسرائيل . وقد قامت الطائرات الاسرائيلية بنقل الذخائر من نيويورك الى اسرائيل بتاريخ ٦٧/٥/٢٩ .

— وصل صباح أول حزيران الى قاعدة «فيسبادن» الجوية في المانيا الغربية بعض القادة العسكريين الاسرائيليين وعقدوا اجتماعاً مع العسكريين الأمريكيين حضره قائد قوات الأطلسي ومديرو المخابرات العسكرية الأمريكية والبريطانية في أوروبة .

— ذكرت صحيفة «المنار» البغدادية الصادرة بتاريخ ٦٧/٥/٢٢ نقلاً عن وكالة «نوفوستي» السوفيتية ان الولايات المتحدة زودت اسرائيل مؤخراً بكميات ضخمة من الأسلحة الأمريكية من بينها الدبابات الثقيلة .

وفي الفصل الرابع يتناول الكاتب مواقف الدول الأربع الكبرى بشكل عام من اسرائيل ومواقفها ازاء الأزمة الأخيرة التي نشبت اثر سحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق خليج العقبة في وجه اسرائيل . ثم ينتقل بعد ذلك الى تفصيل بعض المساعدات التي قدمتها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا سواء عن طريق الدعم المباشر أو غير المباشر . ومن الجدير بالذكر أن صحيفة «الأهرام» كانت قد نشرت بتاريخ ٢٠ و٦٧/٦/٢١ تقريراً يتضمن معظم هذه المساعدات .

* * *

المنظمة الصهيونية العالمية [1]

تنظيمها وأعمالها (١٨٩٧ – ١٩٤٨)

تأليف : أسعد عبد الرحمن
عرض وتحليل : عدنان بن ذريل

تقترن الحركة الصهيونية العالمية باسم تيودور هيرتسل (١٨٦٠-١٩٠٤)، والذي تم على يديه عقد (المؤتمر الصهيوني العالمي) الأول عام ١٨٩٧، وبالتالي تأسيس (المنظمة الصهيونية العالمية) وعملها السافر لاستيطان فلسطين ..

ولكن كانت توجد قبل هيرتسل جمعيات يهودية، تفكر وتعمل في نفس الاتجاه الصهيوني، أي استيطان فلسطين، أبرزها (جمعيات أحباء صهيون) التي انتشرت في جميع انحاء اوروبة، خاصة الشرقية، وعملت على تشجيع الهجرة الى فلسطين، وجمع الأموال لشراء الاراضي في فلسطين ..

وكانت حصيلة مجهودات هذه الجمعيات السابقة للمنظمة الصهيونية العالمية اقامة المستعمرات اليهودية الاولى في فلسطين، في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر المنصرم وهي : بتاح تكفا، ريشون لزيون، روش بيناه، زخرون يا كوف، ويجديره ..

(١) منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية – بيروت ١٩٦٧.

وقد دعا المفكرون والزعماء اليهود وقتها، أمثال زفي كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤) وموزيس هيس (١٨١٢-١٨٧٥)، وليوبنسكر (١٨٢١-١٨٩١) دعوات في نفس الاتجاه الصهيوني، أي جمع الاموال وشراء الاراضي في فلسطين، وايجاد منظمة للعمل على الاستيطان .. الخ. إلا أن تيودور هيرتسل "حمّل" القضية اليهودية الصهيونية الى مجال سياسي دبلوماسي، معتقداً ان الخلاص القومي لليهود لا يمكن تحقيقه عبر عملية متقطعة من اقامة المستعمرات، وانما عبر استقلال سياسي كامل لهذه العملية، بحيث يكون هذا العمل محمياً على الصعيد العالمي.

حضر (المؤتمر الصهيوني الأول) الذي دعا اليه هيرتسل (وعقد في ٢٩ آب (أغسطس) ١٨٩٧ في بال في سويسرة (٢٠٤) مشتركاً، من جميع انحاء العالم، غير منتخبين انتخاباً. وكان قرار المؤتمر الرئيسي: ان هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، يضمنه القانون العام . .

والعملان الرئيسيان اللذان أسفر عنهما المؤتمر، هما:

١ — وضع البرنامج الصهيوني، الذي عرف باسم برنامج بال

٢ — اقامة المنظمة الصهيوني العالمية لتنفيذ البرنامج الموضوع ..

والجدير بالملاحظة ان المنظمة الصهيونية العالمية، التي أعلن قيامها في المؤتمر، انتخب لها في نفس جلسة المؤتمر مجلس عام، مؤلف من ٢٣ عضواً .. وبذلك صار المؤتمر هو نفسه جزءاً من جهاز المنظمة التشريعي ..

وقد توالت بعدها اجتماعات المؤتمر الصهيوني العام السنوية، عاماً بعد عام؛ وتعتبر السنوات السبع الاولى، أي حتى وفاة هيرتسل، عام ١٩٠٤، سنوات نمو تنظيمي، شهدت نمو الحركة الصهيونية، بحيث ازداد عدد الأعضاء المؤيدين والعاملين فيها، وزادت الجمعيات الصهيونية في شتى أقطار العالم؛ كما شهدت نمو التنظيم المالي، اذ أعلن في المؤتمر الخامس قيام (صندوق

قومي يهودي) يهدف الى استملاك اراضي فلسطين . كما شهدت ايضاً نمو المعارضة ، اذ ظهر حزب معـــارض ، هو الجناح الديمقراطي الصهيوني ، ومن اعضائه : ليوموتزكين ، وحاييم وايزمن، وفيكتور جاكوبسن ، ومارتن بوبر وغيرهم .. وقد وقفوا في وجه ما أسموه : ديكتاتورية هيرتسل ؛ خاصة والقضية الصهيونية آخذة بالاتساع على الصعيد الدبلوماسي العالمي، والحلول والمقترحات تتالى على المؤتمرين ، ومنها حلول بتوطين اليهود في الأرجنتين ، أو في افريقية الشرقية أو أوغندة ، او في قبرص ، وغيرها ..

وتعتبر الفترة من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩١٤ ، أي حتى الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي أعقبت وفاة هيرتسل ، وصارت الأداة التنفيذية في المنظمة الى حكومة ائتلافية من صهيونيين سياسيين أي هيرتسليين ، وعمليين أي دعاة الهجرة والتوطين ، هي فترة ماسمي : بالبناء في فلسطين . وقد قامت هذه السياسة على جهود (مكتب فلسطين) في يافا الذي تأسس عام ١٩٠٨ ، ومساعدة (الصندوق القومي اليهودي) الآنف الذكر ..

وقد قام (مكتب فلسطين) في يافا ببناء منطقة سكنية ، هي نواة تل أبيب التي تعرف اليوم بهذا الاسم . كما أنشأ شركة اقتناء الأراضي في فلسطين، وسجلت رسمياً في لنـــدن عام ١٩٠٩ ، وقامت الشركة بشراء أراض لأفراد ، ومجموعات ومؤسسات قومية يهودية ، بحيث أن ٧٠٪ من الأرض التي استطـــاع اليهود امتلاكها جاءت عن طريق الشركة ..

وقد شلت نشاطات المنظمة الصهيونية العالمية ، خلال سنوات الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤ حتى ١٩٢١ تقريباً ، وظهرت بديلا عنها نشاطات لزعامات فردية في عواصم الغرب ..

وقد تزعم حاييم وايزمن الحركة الصهيونية وقتها في لندن ، واعتبر بريطانيا أفضل حليف للصهيونية ، كما كون مع رفاقه (لجنة سياسية) ، صارت تساند الحلفاء

وخاصة بريطانيا وتروج للانتداب البريطاني على فلسطين ، وتدعو الى ادخال مليون يهودي في ظل الانتداب البريطاني ، او اكثر ، بحيث لاينتهي الانتداب البريطاني الا وتكون مقـــدرات فلسطين بأيدي اليهود . .

وقد ساعد حاييم وايزمن الذي قطن لندن ، براندايس الذي قطن نيويورك ، ولعب في الولايات المتحدة الاميركية نفس دور وايزمن في بريطانيا . وبتوحيد جهود هـــذين المركزين في بريطانيا والولايات المتحدة استطاع الصهيونيون التأثير على الحكومتين البريطانيـــة ، والاميركية ، وتقريب وجهات النظر عندهما ، والحصول على (وعد بلفور) الذي صدر في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، والذي نفذه ، مع الأسف، حكم الانتداب البريطـاني في فلسطين بعد الحرب مباشرة . .

وأبرز حدث تنظيمي تسلسل ، في ظل الانتداب البريطاني ، بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية ، وليهود العالم ، ويهود فلسطين ، هو انشاء : الوكالة اليهودية . فقد نصت (المادة الرابعـــة) من صك الانتداب على مايلي :

« تنظم وكالة يهودية على أسس مناسبة لتكون هيئة عامة تقدم النصح وتتعاون مع حكومة فلسطين في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التي يمكن ان تؤثر على اقامة الوطن القومي اليهودي ، او الامور التي لها علاقة بصالح الشعب اليهودي في فلسطين ، بحيث تكون هذه الهيئة بشكل دائم تحت سلطة الحكومة لتساعد وتشارك في تطوير البلاد » .

« وطالما ان دستور المنظمة الصهيونية مناسب في رأي حكومة الانتداب، فان المنظمة الصهيونية سيعترف بها على انها الوكالة اليهودية . وعلى المنظمة بالتشاور مع حكومة صاحب الجلالة ان تتخذ خطوات لضمان تعاون جميع اليهود الراغبين في المساعدة في اقـــامة الوطن القومي اليهودي » .

وهكذا اعترف (الانتداب البريطاني) بالمنظمة الصهيونية ، كوكالة يهودية .

والكتاب دراسة تاريخية وحقوقية رصينة ودقيقة ، وضعها صاحبها الاستاذ أسعد عبد الرحمن كرسالة لنيل شهادة الماجستير في دائرة العلوم السياسية والادارة العامة ، باشراف الدكتور فايز صايغ ، ومساعدة مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ... ولكن جاءت المراجع المختلفة من كتب ودوريات ، وتقارير كلها غربية . وبالرغم من وجود مصادر عربية مختلفة في البحث ، الا أن ذلك دليل على خلو (المكتبة العربية) من دراسات علمية موسعة في الموضوع .

وفي الكتاب ، الى جانب ذلك ، ملاحق بوثائق تنظيمية هامة ، هي : الملحق ١ : نظام عمل المؤتمر الصهيوني ؛ الملحق ٢ : الجمعيات الصهيونية زمن انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني عام ١٨٩٨ ، وهي احصائية . الملحق ٣ : القانون الاساسي للمنظمة الصهيونية كما تبنّاه المؤتمر الصهيوني الثاني عشر عام ١٩٢١ . والملحق ٤ : الاتفاق المتضمن دستور الوكالة اليهودية لفلسطين كما تم توقيعه في زوريخ في ١٤ آب ١٩٢٩ .

مجلة المجلات

في اروقة العدوان الاسرائيلي[1]

للكاتب السوفييتي س. أ ستاخوف
S. Astakhov
ترجمة دلال حاتم

بدأ العدوان الاسرائيلي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ بهجوم مفاجىء قامت به قوات الجيش الاسرائيلي ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بالرغم من ان قوات المعتدين الرئيسية كانت قد حشدت منذ النصف الاول من شهر ايار على طول الجبهة السورية تمهيداً للاعتداء عليها حسب المعلومات التي توفرت منذ الثامن عشر من ايار ١٩٦٧ .

(١) من مجلة « الحياة الدولية » السوفييتية - عدد تشرين الاول ١٩٦٧ .
Revue Le Vie Internationale № 10 — 1967 — Moscou .

ان هذه المخططات الأولية ، والتي عدلت فيما بعد من قبل القيادة في تل أبيب ، قد وضعت انطلاقاً من ان الجمهورية العربية المتحدة لاتريد ولا تستطيع أن تهب لمساعدة سورية ،فيما اذا تعرضت هذه لغزو من قبل القوات الاسرائيلية . وقد قدر عسكريو تل ابيب بأن معاهدة الدفاع المشترك الموقعة في شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٦ بين الجمهورية العربية المتحدة وسورية ليست الا وثيقة دعائية ، وان الجمهورية العربية المتحدة لن تقوم بالتزاماتها وستترك السوريين وحدهم في المعركة امام المعتدين الاسرائيليين . ولكن حسابات اسرائيل كانت خاطئة تماماً .

فقد اتخذت الجمهورية العربية المتحدة احتياطها لدفع الخطر الذي يهدد بلداً شقيقاً فيما اذا حاولت اسرائيل ان تسلك من جديد طريق العدوان . واعتبرت ان هذا العمل لن يكون عدواناً على سورية وحدها، بل عدواناً على كل البلاد العربية . وهنا يجب ان نلاحظ بأن الاحتياطات التي اتخذت من قبل الجمهورية العربية المتحدة في النصف الثاني من شهر ايار كانت تتخذ طابعاً دفاعياً وليس لها من هدف الا ايقاف المعتدي ، ولا تعني مطلقاً ، بالرغم من ابواق الدعاية في تل أبيب ، ان البلاد العربية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة تهيء نفسها لدخول معركة حربية ضد اسرائيل .

وتصديقاًلهذا الكلام عزمت الجمهورية العربية المتحدة على ارسال بعثة حكومية الى واشنطن برئاسة زكريا محي الدين نائب رئيس الجمهورية ، كما اعلنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة في نفس الوقت انها مستعدة لاستقبال همفري نائب رئيس الولايات المتحدة الامريكية في القاهرة . وقد اتى قرار الرئيس جمال عبد

الناصر هذا كرد على رسالة خاصة تلقاها من الرئيس جونسون يرجوه فيها اللجوء الى الحلول السلمية لحل النزاع القائم بسبب الوضع في مضائق تيران .

كما ان الهدوء كان الصفة المميزة للمحادثات التي دارت بين الرئيس جمال عبد الناصر واوثانت السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة . وقد تعهد اوثانت ان يبذل جهده لاقناع اسرائيل بعدم مرور سفنها في مضائق تيران ابان معالجة هذه المشكلة ، كما ان الجمهورية العربية المتحدة لاتمانع بأن تمر سفن الدول الاخرى والمتجهة الى اسرائيل في مضائق تيران على ان تعترف بانهــــا لاتحمل معدات استراتيجية لاسرائيل . كما ان حسنين هيكل المعلق السياسي لجريدة الاهرام ذكر اثناء زيارة اوثانت للقاهرة بأن الرئيس عبد الناصر اكد له ان الجمهورية العربية المتحدة ليست لديها أية نية للهجوم على اسرائيل ، واعلنت انها مستعدة لتسوية المشاكل المعلقة بشكل سلمي .

ومن جهة أخرى ، يجب ألا ننسى أن حكومة اسرائيل رفضت أن تناقش مع اوثانت موضوع رجال الهدنة ووضعهم على الجبهة المصرية الاسرائيلية وقد ذكر اوثانت هذا في تقريره الذي قدمه اثناء انعقاد الدورة الاستثنائية للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة جواباً على الاتهامات التي وجهها اليه أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل . لذا كان الرئيس عبد الناصر يملك كل الحق في أن يعلن يوم ٢٣ تموز واثناء الخطاب الذي ألقاه في جامعة القاهرة بأن الجمهورية العربية المتحدة ليست مسؤولة عن الأزمة الحالية في الشرق الأوسط ، وأن قواته المسلحة لم تكن تملك إلا أن تدفع خطر العدوان على سورية .

كل هذه الوقائع ، ووقائع أخرى غيرها تدين المعتدين الاسرائيليين .

لقد أصبح واضحاً أن العدوان الاسرائيلي على سورية والجمهورية العربية المتحدة ، البلدين العربيين التقدميين ، كان مبيتاً منذ مدة طويلة ، وأن الجمل الرنانة لحكام تل أبيب حول رغبتهم في السلام واقامة علاقات طيبة مع البلاد العربية ليست إلا كذباً مختلقاً لخداع الرأي العام العالمي .

ان العدوان المفاجيء الذي قامت به القوات المسلحة الاسرائيلية ضد الجمهورية العربية المتحدة ، بدأ في فجر الخامس من حزيران ١٩٦٧ عندما تأكد حكام تل أبيب أن الجمهورية العربية المتحدة قررت أن تنفذ معاهدة الدفاع التي وقعتها مع سورية . ولم يكن هذا العدوان إلا نتيجة عملية لسياسة العدوان ضد العرب ، والتي تهيؤها الأوساط الحاكمــة في اسرائيل منذ تأسيس دولة اسرائيل .

قليل من التاريخ ..

يمكننا أن نتساءل ، كيف استطاعت دولة صغيرة لايزيد عدد سكانها عن ٢,٧٠٠,٠٠٠ نسمة ولا تزيد مساحتها عن ٢١,٠٠٠ كم٢ ، أن تقف وجهاً لوجه أمام جيرانها العرب خلال عشرين سنة ، وان تحاربهم غدراً مرتين دون اعلان الحرب ؟ ان الجواب على هذا السؤال يمكن أن نجده في العلاقات القائمة بين اسرائيل ودل الغرب الامبريالية : الولايات المتحدة الاميركية ، وانجلترا ، والمانيا الغربية بصورة خاصة .

ان الاعوام التسعة عشر من وجود دولة اسرائيل تظهر بوضوح أن الاوساط الحاكمة فيها قد حولت هذا البلد شيئاً فشيئاً الى قوة ضاربة للقوى

الامبريالية في الشرق الأوسط ، ضاربة بعرض الحائط مصالح الشعب الاسرائيلي ورغبته العيش بسلام مع جيرانه ، وهذا ماأوضحه عبد الناصر بقوله :

ان اسرائيل كانت وما تزال تعتمد على القوات الامبريالية ، يدفعها الى ذلك الخوف من قيام حركات التحرر في الوطن العربي .

وليست هنالك أية وثيقة دعائية يمكنها أن تكذب الأعمال وان لاتفضح الدور المعيب الذي لعبته وما تزال في الأزمة الحالية كل من الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا والمانيا الاتحادية . ويكفي أن نذكر تاريخ دولة اسرائيل لنكتشف هذا الواقع .

اننا نعرف ان احدى النظريات المفضلة للامبريالية في صراعها ضد حركات التحرر الوطني ، هي أن تضع شعباً ضد شعب آخر ، مستغلة في ذلك الحقد الوطني والعرقي والديني . وعندما لاتجد الامبريالية هذا الحقد فانها تعمد الى خلقه وتأجيجه . وهذا يفسر لنا موقف الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا من خلق دولة لليهود في فلسطين .

ان فكرة انشاء دولة تحمل اسم الصهيونية ، تعود الى صحفي نمسوي من أصل يهودي يدعى تيودور هرتزل ، اطلقها في نهاية القرن التـاسع عشر . وقد وجدت دعوته منذ البداية تأييداً بسبب وجود بورجوازية يهودية كبيرة في بلاد مختلفة . ولكن وحتى الحرب العالمية الأولى ، ظلت المناقشات تدور في اوساط الأقلية المعارضة للأوساط الرأسمالية الاسرائيلية حول مشكلة معرفة وضع الدولة الجديدة .

وقد وجد الحل لهذه المشكلة اثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ . فقد أرادت الامبريالية الانجليزية ان تستولي على فلسطين (والتي كانت تابعـة

لتركيا) ولذلك أرسل وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور رسالة الى روتشيلد في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ يقول له فيها : بان حكومته تنظر بعين العطف الى فكرة اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وبعد اقتسام أملاك الدولة التركية في الشرق الأوسط وصل الى بريطانيا في عام ١٩٢٠ طلب من عصبة الأمم يتضمن المطالبة بتحقيق فكرة هرتزل .

وهكذا وبمساعدة الحكومة الانجليزية وبفضل المساعدات المالية من المنظمات الصهيونية العالمية ، بدأت الهجرات اليهودية المنظمة الى فلسطين .

ففي عام ١٩٢٠ كان يوجد في فلسطين ٥٠ الف يهودي فقط مقابل ٦٥٠ الف مواطن عربي . وقد قفز عدد اليهود في عام ١٩٣٧ **فأصبح ٤٦٠ ألفاً وارتفع في** عام ١٩٤٧ **إلى ٦٠٨ آلاف** مقابل **١,٣٢٧,٠٠٠ عربي .**

وقد اعتبر الاستعماريون الانجليز هؤلاء اليهود عملاءهم في الشرق الاوسط ، فمنحوهم صفة المواطن الفلسطيني بسهولة ، كما منحت المنظمات الصهيونية العالمية امتيازات كثيرة استطاعت بموجبها شراء الاراضي العربية ، ثم عمدت الى طرد الفلاحين العرب الفقراء من الاراضي التي اشترتها .

وكان من الطبيعي ان يثير هذا العمل الحقد بين العرب واليهود وبدأت النزاعات تنطلق في كل مكان ، وتحولت الى اشتباكات مسلحة .

وقد ازداد نشاط المقاومة العربية في هذه الفترة ضد الاحتلال البريطاني . وفي الوقت الذي طالب فيه العرب باقامة دولة فلسطينية مستقلة يتمتع في ظلها العرب واليهود بالحقوق المدنية والسياسية ، كانت الصهيونية العالمية التي انشبت مخالبها في فلسطين بفضل المساعدات الامبريالية والانجليزية تعلن بأنه يجب أن تقوم في

فلسطين دولة يهودية تماماً . وعوضاً عن البحث عن حلول لتنظيم التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي مع الشعب الأصلي ، اعتبر الصهيونيون انفسهم من عرق أرقى وأنقى من الشعب الاصلي واصبحوا استعماريين غربيين حقيقيين .

وقد كانت هذه السياسة العرقية الصريحة من قبل حكام المنظمات الصهيونية استجابة لمصالح واشنطن التي كانت تريد اضعاف مراكز الامبرياليين البريطانيين بعد الحرب العالمية الثانية واخراج الانجليز من منطقة الشرق الأوسط . كما أن واشنطن كانت تأمل أن تفيد من عدم الاتفاق بين العرب واليهود في فلسطين وذلك للقضاء على الحركات المناهضة للامبريالية في الشرقين الأدنى والأوسط .وقد ظهر مخطط الاستعماريين الجدد واضحاً وسهلاً ، اذ بذلوا جهدهم لتوجيه حركات التحرر الوطني للشعب العربي في طريق النزاع الديني والوطني مع اليهود .

هكذا كان الوضع في خريف عام ١٩٤٧ ، عندما عرضت المشكلة الفلسطينية على الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة .

وقد اعلنت الحكومة السوفياتية أنها توافق على أن تقوم على ارض فلسطين دولة اسرائيلية عربية مستقلة ديموقراطية تقوم على اساس المساواة في الحقوق ، ولكن المنظمات الصهيونية ومن ورائها الامبريالية الاميركية والانجليزية رفضت هذا المشروع الذي تقدمت به الحكومة السوفياتية . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قررت الجمعية العمومية ان تقوم على ارض فلسطين دولتان مستقلتان ، دولة عربية وتبلغ مساحتها ١١ ألف كم٢ ودولة اسرائيلية وتبلغ مساحتها ١٤ ألف كم٢ وترتبطان مع بعضها بتحالف اقتصادي .

ولكن حتى هذا القرار توقف فجأة ، اذ أن حل المشكلة الفلسطينية

لا يخدم مطلقاً مصالح الامبرياليين الاميركيين والانجليز ، كما ان تقسيم فلسطين يمكن ان يؤدي الى خلق جبهة موحدة في الشرق الاوسط ضد الامبريالية، وملوك البترول الاميركيون والانجليز يريدون دفع هذه الفكرة مهما كان الثمن، ولهذا السبب نجد الفئات الحاكمة في الولايات المتحدة الأميركية تقف الى جانب اسرائيل بينما تحاول الدبلوماسية الانجليزية ان تعتمد على الكتلة العربية التي شكلت في عام ١٩٤٥ بمعرفة لندن والتي كانت تجمع في ذلك الوقت الحكام الاقطاعيين والرجعيين في البلاد .

وانطلاقاً من مبدأ « فرق تسد » أشعل الامبرياليون في عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ نار حرب عربية — اسرائيلية انتهت بأن وضعت الفئات الحاكمة في اسرائيل يدها على اكثر من نصف (٦٧٠٠ كم٢) الأراضي المخصصة حسب قرار الجمعية العامة لاقامة دولة عربية في فلسطين . وقام الاسرائيليون بطرد العرب من الاراضي التي عاش فيها اجدادهم منذ مئات السنين . وكانت النتيجة ان نزح مليون عربي من أراضيهم وتفرقوا في الجمهورية العربية المتحدة (قطاع غزة) وفي الاردن وسورية ولبنان .

لقد قام الغزاة الاسرائيليون بتهديم بيوت العرب ومساكنهم ونهب ممتلكات السكان الاصليين . وما تزال آثار هذه الاعمال ماثلة حتى اليوم في الرملة ويافا ومدن اخرى ، حيث تشاهد المنازل المهدمة ، واكوام من الانقاض وبقايا الجدران تذكر بالاعمال البربرية التي قام بها الاسرائيليون . ولم تكتف اسرائيل بالاراضي التي استولت عليها ، بل انها ما تزال حتى اليوم ترفض قرار هيئة الامم الصادر في ١٢ كانون الاول ١٩٤٨ والذي يقضي بعودة اللاجئين الى أراضيهم وبيوتهم .

وقد ضاعفت مشكلة اللاجئين من توتر العلاقات بين العرب والاسرائيليين .

وواضح جداً ان المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية لم يحاولوا بذل أي جهد لحل هذه المشكلة ، بل كانوا يعلنون بوقاحة ان اللاجئين العرب قد فقدوا الحق بالعودة الى اراضيهم ، بالاضافة الى انهم أباحوا الهجرات الحرة الى اسرائيل من قبل اليهود القادمين من جميع انحاء العالم ، هذه الهجرات التي كلفت وما تزال تكلف المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا مئات الملايين من الدولارات سنوياً . كما أعلنت اسرائيل في المنظمات والهيئات التابعة للأمم المتحدة بأن لجميع يهود العالم الحق في اللحاق بأقاربهم وذويهم الذين سبقوهم الى اسرائيل ....

من يسلح القوات الاسرائيلية ؟

ان تاريخ السنوات العشرين الماضية يشير الى ان الاوساط الرجعية والامبريالية في الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا وألمانيا الاتحادية لم تتوقف جهودها مطلقاً لدعم وتسليح ربيبتها اسرائيل . ففي كانون الثاني ١٩٤٩ منح بنك الاستيراد والتصدير في الولايات المتحدة الاميركية اسرائيل اعتماداً قدره ١٠٠ مليون دولار . وفي كانون الثاني ١٩٥٠ منح البنك نفسه اسرائيل قرضاً قدره ٣٥مليون جنيه استرليني . وفي شباط ١٩٥١ وقعت اسرائيل مع الولايات المتحدة الاميركية اتفاقية للمساعدات الفنية ، وقد فتحت هذه الاتفاقية الطريق أمام الرأسمال الاميركي للتغلغل في الاقتصاد الاسرائيلي ، كما منحت امريكا حق الرقابة على طريقة صرف هذه الأموال في اسرائيل .

ويجب ان نضيف هنا ان الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية لم تبد تذمراً من نشاط المنظمات الصهيونية العالمية ولم تمنعها من تحويل مئات الملايين من الدولارات سنوياً الى اسرائيل . ففي أيار عام ١٩٥١ وتحت سمع الحكومة الاميركية وبصرها أرسلت هذه المنظمات مبلغاً قدره (٥٠٠) مليون

دولار لأعمال التنمية في اسرائيل . وفي ٢٣ آب من العام نفسه وقعت اسرائيل مع حكومة الولايات المتحدة الاميركية اتفاقية للتجارة والملاحة ، وقد اوجدت هذه الاتفاقية قاعدة حقوقية للتغلغل اللامحدود للرأسمال الاميركي في اسرائيل .

وحسب المعلومات المأخوذة من الصحافة الامريكية يتبين ان اسرائيل قد نالت بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٥ من اسيادها الاميركان مبلغ ٢٢٦ مليون دولار بشكل قرض مـــالي و ٢٧٨ مليون دولار بشكل مساعدات و ٣٢٠ مليون دولار مواد أولية (تحت اسم مساعدات) و ٢٢١ مليون دولار بشكل اعتمادات مفتوحة في بنك الاستيراد والتصدير . كما يجب ان نسجل نشاط الاوساط الامبريالية في الولايات المتحدة الاميركية والمنظمات الصهيونية العالمية ودورها الذي لعبته بعد النداء الموجه اليها من قبل الاوساط الحاكمة في تل أبيب لارسال معونات مادية ونقدية للمتضررين من الحرب التي شنتها القوات الاسرائيلية ضد البلاد العربية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

كما قدمت المانيا الغربية ومازالت تقدم حتى الآن مساعدات ضخمة لاسرائيل باسم (تعويضات الحرب) لليهود الذين اضطهدهم الهتلريون . اذ بلغ ما أرسله حكام بون لاسرائيل مايعادل مليار دولار من البضائع وآلة الحرب !

ويجب ان نسجل هنا : ان العلاقات الرسمية بين المانيا الغربية واسرائيل لايعود تاريخها الى بدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين اي الثاني عشر من ايار ١٩٦٥ ، بل يعود تاريخها في الواقع الى العاشر من كانون الاول ١٩٥٢ ، عندما وقع وزير خارجية اسرائيل مع حكام بون اتفاقيـة للدفع والتعويض عن اضرار الحرب ، هذه الاتفاقية التي أصبحت فيما بعد أساساً للعلاقات المتينة بين البلدين .

وفي ١٤ ايار ١٩٦٠ . حدث لقاء في فندق والدورف استوريا في نيويورك

بين اديناور مستشار المانيا الغربية ورئيس وزراء اسرائيل بن غوريون ، وتوصل الطرفان اثناء هذا اللقاء الى الاتفاق التالي :

« ان جمهورية المانيا الغربية تدفع خلال السنوات العشر المقبلة مبلغاً قدره (٥٠٠) مليون دولار . وبالمقابل حصل اديناور على وعد رسمي بان المحكمة الاسرائيلية لن تتعرض لغلوبكة صديق مستشار المانيا الغربية والمتهم مع ايخمان في عمليات اضطهاد اليهود وإبادتهم » .

وفي عام ١٩٦٦ منح عسكريو بون حكومة اسرائيل اعتماداً قدره ١٦٠ مليون مارك ومثله لعام ١٩٦٧ كما وعد كيسنجر اسرائيل باعتمادات اخرى تعادل نصف مليار مارك يمكن الاستفادة منها وتجديد الاعتماد سنوياً، مما يدل على ان المانيا الغربية تحمل نفسها فوق استطاعتها لخدمة اسرائيل .

وقد ظلت المساعدات بين بون وتل أبيب ولعدة سنوات متينة في المجال العسكري . وقد زار شمعون بيريس والذي ظل يشغل منصب نائب وزير الدفاع الاسرائيلي في عام ١٩٦٥ المانيا الغربية عدة مرات، كما استقبل بعض جواسيس وزارة الدفاع في المانيا الغربية وزير الدفاع نفسه . وبعد توقيع اتفاقية « دفع التعويضات » كتبت صحف المانيا الغربية :

« ان المانيا الغربية سوف تغطي حاجات اسرائيل خلال السنوات العشر القادمة وذلك لتنفيذ برنامجها المقترح ، وستعطي المانيا ٨٩ ٪ من حاجات اسرائيل للأجهزة والمواد البنائية و ٨٧ ٪ من المواد التحويلية وخطوط السكك الحديدية و ٧٩ ٪ من الآليات وأدوات الأبحاث المائية وأكثر من ٤٠ ٪ من تجهيزات المراكز الكهربائية . . » بالاضافة الى تخصيص مبلغ أكثر من ٦٠٠ مليون مارك لتسليح الجيش الاسرائيلي .

وقد ذكرت بعض المصادر العربية ان هذا الرقم اكثر بكثير ويبلغ مليار و ٨٠٠ مليون مارك خصصت بشكل مباشر أو غير مباشر لتسليح اسرائيل.
وحسب المعلومات المأخوذة من صحف اسرائيل البورجوازية يتبين ان لقاء قد تم بين كيسنجر واشكول في شهر أيار ١٩٦٧ (أي قبل العدوان باسابيع قليلة) وتم في هذا اللقاء بحث موضوع تقديم مساعدات اقتصادية لاسرائيل لمدة طويلة وخلال السنوات العشر المقبلة وارتفع المبلغ الى مليارى مارك الماني .

كل هذه الوقائع تشير الى العلاقات الوطيدة بين حكام المانيا الغربية والاوساط الحاكمة في اسرائيل، بالاضافة الى الدور الذي تلعبه المنظمات الصهيونية العالمية بين بون وتل أبيب . ولا يمكننا أن نمر مرور الكرام على الدور الذي لعبه الصهيوني ناحوم غولدمان بين الاوساط الصهيونية الحاكمة والمنظمات الصهيونية العالمية من جهة ، وخلفاء هتلر في بون من جهة أخرى .

فمنذ سنوات عديدة قام هذا العسكري الصهيوني الذي لم يترك بعد جنسيته الاميركية برئاسة منظمة صهيونية عالمية ، وقد أطلق على هذا المتغطرس بحق لقب « وزير خارجية اسرائيل الرسمي » وذلك لنشاطه الملحوظ في عواصم الدول الرأسمالية خدمة لاسرائيل وبناء على طلبها ، وأصبح صلة الوصل الرئيسية بين بون وتل أبيب .

وقد أصبح مؤكداً اليوم ان بون قد سلحت اسرائيل وقدمت لها أسلحة حديثة بالاتفاق مع واشنطن . حتى أن ش . بيريس أعلن بكل جرأة « ان المانيا الغربية قدمت لاسرائيل أفضل انواع الدبابات » أما بيلد زيتونغ Bild Zeitung التي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأجهزة الحاكمة الاسرائيلية فقد كتبت بكل وقاحة في ١٠ حزيران ١٩٦٧ :

« ان الأسلحة التي حملت النصر العسكري لاسرائيل كانت قد قدمت اليها من حكومة المانيا الغربية » وقد تأكدت علاقة الصداقة بين بون وتل أبيب عندما أرسل اشكول وفداً رسمياً لتشييع جنازة مستشار المانيا الغربية، اذ كان على رأس الوفد دافيد بن غوريون ووزير الخارجية ابا ايبان .»

ولم تخف الاوساط الحاكمة في اسرائيل انها خلال تسع سنوات من وجودها تلقت من البلاد الغربية وخاصة الولايات المتحدة الاميركية وانجلترا والمانيا الغربية حوالي ٨ مليار دولار بشكل مساعدات واعتمادات مصرفية ! كما أن البلاد الغربية تدفع مايعادل ٤٠٠٠ دولار لكل رجل في اسرائيل بينما لاتتجاوز المساعدات التي تقدم لكل مواطن في الهند ١٢ دولاراً ... بالاضافة الى أن الغرب يتبجح بهذه المساعدات البسيطة التي يمنحها لهذا البلد (الهند) !. وليس من قبيل المصادفة ان يقول دافيد هوروفيتش مدير البنك الوطني الاسرائيلي « ان ازدياد رؤوس الأموال السائلة وغير المحدودة لدينا ، يمكننا أن نفعل كل شيء ، حتى أن نبنت القهوة على سقوف القدس » .

وهكذا ، وبواسطة المساعدات الممنوحة من قبل انشط المنظمات الصهيونية العالمية ، تستطيع القوى الامبريالية العالمية ان تجد فرصة سانحة لايجاد الاضطراب في منطقة متطورة اقتصادياً ، فأوجدت دولة حديثة ذات نظام رأسمالي وهي في الواقع أداة لتنفيذ سياستها في الشرق الأوسط . لقد اوجدت اسرائيل وبمساعدة الغرب صناعة حربية لديها ، وانشأت بفضل تحالفها مع القوى الغربية مصانع للأسلحة الحديثة . وخاصة رشاشات « IZU » كما انها حصلت على صواريخ امريكية من نوع « هوك » وغواصات انجليزية ودبابات « باتون » ومدافع من نماذج مختلفة ، وقاذفات قنابل وطائرات مهاجمة حديثة .

وحسب المعلومات المأخوذة عن الصحف اللبنانية ، كان سلاح اسرائيل

في بداية احداث حزيران ١٩٦٧ على النحو التالي : ١٠٠٠ دبابة منها ٢٠٠ دبابة ثقيلة من نوع (باتون م . ٤٨) واكثر من ٢٠٠ دبابة ثقيلة نموذج (سانتوريون) وحوالي ٤٠٠ دبابة متوسطة نموذج (شيرمان م ٤٠) .

أما القوة الجوية لاسرائيل فتبلغ حسب المعلومات الاخيرة ٨٠٠ - ٩٠٠ طائرة من مختلف النماذج بينها قاذفات قنابل خفيفة من نوع (فوتور) وقاذفات قنابل من طراز (سكاي هوك آ ٤٠) وطائرات (ميراج) و (سوبرميستير) . كما تملك مدفعية ضخمة من عيار ١٠٧ و ١٥٥ مم .

وقد ذكرت بعض الصحف المصرية وخاصة صحيفة الأهرام القاهرية بأن قوة اسرائيل العسكرية لم تقتصر على ما كانت تملكه قبل سنوات من العدوان، بل انها حصلت ايضاً على السلاح اثناء وبعد العدوان في حزيران ١٩٦٧ ، فخلال اشهر آذار ونيسان وايار قدمت واشنطن لاسرائيـــل ٤٠٠ دبابة جديدة وحوالي ٢٥٠ طائرة .

كما ان التعاون كان واضحاً بين المخابرات الاميركية والاسرائيلية لمعرفة قوة البلاد العربية العسكرية . ومع ان زوارق الطوربيد الاسرائيلية قصفت بطريق الخطأ قطعة بحرية اميركية الا ان رد الفعل الاميركي كان متسامحاً بالرغم من سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى نتيجة هذا القصف .

كما كتبت صحيفة ساندي تلغراف اللندنية تلميحاً عن وجود مخطط للتعاون بين اسرائيل وانجلترا :

« ان بريطانيا العظمى قد احتفظت في منطقة الصراع بما يعادل ربــع قواتها البحرية في حالة استعداد »

كانت تعبئة الجيش الاسرائيلي لاتزيد عن ١٠٠ ألف رجل تقريباً ولكن اسرائيل استطاعت خلال يومين أن ترفع تعبئتها الى ٣٠٠ ألف رجل . كما ان

وضع اسرائيل وعلاقاتهامع حكومات حلف شمال الاطلسي قد سمح لها بأن ترسل الى هذه البلاد وخاصة المانيـــا الغربية مئات من الضباط ليتبعوا هناك دورات عسكرية . أي أن حوالي ٥٠٠ ضابط من الجيش الاسرائيلي قد قاموا بحضور دورات تدريبية في الخارج .

منبع البترول وعقدة المواصلات العالمية

ولكن كيف نفسر هذا الحب الذي تكنه الحكومات الغربية لاسرائيل؟

ان الحكومات الغربية تنظر الى اسرائيل كأداة للضغط على حركات التحرر الوطني لدى الشعوب العربية ، هذه الحركات التي تتطور في الشرق الاوسط وتقف حائلا امام اطماع محتكري البترول الاميركين والانجليز واطماع حكام المانيا الغربية المرتبطين بهذه الاحتكارات. وبمساعدة اسرائيل تأمل هذه السلطات الاستعمارية ان تطيل أمد بقائها في البلاد المنتجة للبترول في الشرقـــين الأدنى والأوسط وقلب انظمة الحكم التقدمية في الجمهورية العربية المتحدة وسورية واليمن والعراق ، والاستعاضة عنها بانظمة رجعية تكون أداة طيعة في يـــد الامبريالية العالمية وتسمح بانشاء قواعد عسكرية اميركية وانجليزية في البلاد العربية .

ان منطقة الشرق الاوسط تملك احتياطياً كبيراً من المعادن والثروات وبالدرجة الاولى البترول . فقبل الحرب العالمية الثانية كانت البلاد المنتجة للبترول في الشرق الاوسط هي : المملكة العربية السعودية ، العراق ، البحرين ، مصر وفي عام ١٩٤٦ ظهرت آبار الذهب الاسود في الكويت ، وفي قطر عام ١٩٤٩ و الجزائر عام ١٩٥٨ ، وفي ليبيا عام ١٩٦١ . وقد تطور استخراج البترول في البلاد العربية بسرعة تفوق المعدل العالمي لاستخراجه في المناطق الأخرى . كما ان الشرق الأوسط يملك حالياً ٦٠٪ من احتياطي العالم من البترول ويقدم ٣٠٪ من انتاج العالم الرأسمالي .

وهذا جدول صغير بانتاج البترول في عام ١٩٦٦

الولايات المتحدة الاميركية	٤١٠ مليون طن
فنزويلا	٢٠٠ مليون طن
منطقة الشرق الأوسط	٤٦٨ مليون طن

وقد انتجت الكويت وهي بلد لايزيد عـــدد سكانه عن نصف مليون نسمة ولاتتجاوز مساحته ٢٠٧٠٠ كم في نفس العام ١١٤ مليون طن .

ونسجل هنا ملاحظة اخرى هامة وهي ان كلفة استخراج البترول في البلاد العربية اقل بكثير من كلفته في البلاد الرأسمالية ، فآبار البترول في البلاد العربية تمتد على مساحات واسعة وهي غزيرة وعلى عمق يسير واستخراج ١٥٨ ليتراً من البترول في العالم يكلف النسب التالية :

الكمية	البلد	الامثال
١٥٨ ل	البلاد العربية	١
١٥٨ ل	فنزويلا	٣
١٥٨ ل	كندا	١٤
١٥٨ ل	الولايات المتحدة	١٩

يضاف الى ذلك أن آبار البترول في الشرق الاوسط تتوضع جغرافياً بصورة جيدة ، وهذا هو السبب الذي يجعل البلاد العربية تنتج مايعادل ٥٠٪ من انتاج البترول في العالم تقريباً . ان الشرق الاوسط يقدم كل يوم مايعادل مليون طن من البترول لأوربا الغربية وخاصة انجلترا . فبلدان الشرق الاوسط هي المنتج الأول لبترول آلة الحرب في حلف شمال الاطلسي .

ولكن البلاد العربية ليست للأسف مالكة هذه الكنوز وصاحبتها .

فاستخراج البترول في البلاد العربية يعود الى ٨ شركات احتكارية اجنبية ، هي جزء من الكارتل العالمي لانتاج البترول . فشركة نفط الكويت مثلاً يعود نصف رأسمالها الى شركات اميركية والجليزية وتسيطر على ٣٨٪ من احتياطي البترول ، وشركة ارامكو ٣٢٪ وشركة نفط العراق ١٩و١٪ .

أي ان رأسمال هذه الشركات موزع على الشكل التالي: ٪٤٧و٥ انجلترا، ٪٢٣و٧ امريكا، ٪٢٣،٧ فرنسا . ونظراً لرخص اليد العاملة في البلاد العربية ، والشروط الجيولوجية والجغرافية للآبار ، بالاضافة الى الشروط القاسية لقبول الاستثمار ، واسعار البيع المرتفعة التي تحددها الشركات الاحتكارية ، فان هذه الشركات تنال امتيازات ومنافع مادية لا مثيل لها . والأرقام التالية تبين مردود انتاج البترول في العالم العربي :

العام	رأس المال مقدراً بملايين الدلارات	العائدات الصافية مقدرة بملايين الدلارات	نسبة الربح المئوية
١٩٦٣	١٢٠٧	٨٢٥	٪٦٨،٣
١٩٦٤	١٢٤٠	٨٩٣	٪٧٢
١٩٦٥	١٤٩١	٨١٣	٪٥٤و٥

ان هذه الأرقام ليست الا أرقاماً وسطية للمنطقة كلها ، ففيما يخص الكويت مثلاً يرتفع مردود الربح للشركات الاحتكارية الى ٥٠٠٪ من قيمة رأس المال المطروح . وحسب المعلومات المأخوذة من الصحافة الغربية ، يقدر ربح الشركات الاميركية من البترول العربي يبلغ مليار و ٢٠٠ مليون دولار سنوياً ، والشركات الانجليزية تربح ٦٠٠ مليون دولار .

في هذه الارقام يجب أن نبحث عن السبب الرئيسي والهام الذي يدفع امبريالي الولايات المتحدة وانكلترا والدول الأخرى لتسليح اسرائيل ،

ومحاولة القضاء على حركات التحرر الوطني في العالم العربي .

ان السبب في موقف الامبريالية لا يعود الى البترول وحده . ان الشرق الاوسط هو العقدة الرئيسية للمواصلات البحرية والجوية بين الغرب وافريقيا الشرقية وآسيا واستراليا. كما أن قناة السويس والتي يبلغ طولها ١٧٣ كم ممر مائي ذو أهمية عالمية . ففي عام ١٩٦٦ اجتازت قناة السويس ٢١٢٥٠ سفينة . وهذا مما يدعو القوى الامبريالية الى تأكيد اهتمامها بالشرقين الادنى والاوسط .

إن الولايات المتحدة وانجلترا ترغبـــان دائماً في ان تكون لهما قواعد بحرية وجوية في المنطقة . ففي قبرص مثلا تملك انجلترا قاعـــدة لطيرانها الاستراتيجي ، كما أن موانىء اسرائيل تقف دائماً على اهبة الاستعداد لخدمة قطع الحرب البحرية الاميركية والانجليزية. وقد بنت اسرائيل خلال السنوات الثلاث الفائتة ميناء ضخماً الى الجنوب من تل ابيب ، وعلى بعد ٥٠ كم (ميناء أسدود) دون ان يكون لهذا الميناء أية اهمية او ضرورة اقتصادية . ويمكن ان يستقبل عابرات المحيطات والتي تبلغ حمولتها عدة اطنان، كما جهز بأحدث التجهيزات الآلية والفنية . وتوجد قاعدة بريطانية في منطقة البحرين . اما قاعدة الظهران الموجودة في المملكة العربية السعودية فمـــا هي الا قاعدة جوية تستعملها الولايات المتحدة الاميركية .

إضافة الى وجهة النظر العسكرية ، هناك وجهة النظر الاقتصادية ، واهمية الشرق الاوسط التي لا تقدر بثمن هي «ان هذه البلاد قبل كل شيء مستودعات ضخمة للبترول ، تسد حاجة القسم الاكبر من اوروبا ، وان فقد هـذه المنطقة يعتبر كارثة بالنسبة لأوروبا ، بالاضافة الى الدور الرئيسي الذي يمكن ان تلعبه هذه

المنطقة بسبب وضعها الجغرافي حيث تقع على نقطة تقاطع عدة خطوط المواصلات بين الشرق والغرب »[1]

هذه هي الاسباب المحركة لسياسة القوى الأمبريالية في الشرق الاوسط. فبعد ان فشلت جميع وسائلها في ايقاف الكفاح ضد الحركات المناهضة للامبريالية في الشرق الاوسط كما فشلت ضد الانظمة التقدمية في مصر وسورية واليمن والعراق، وبعد ان فشلت في افساد العلاقات بين البلاد العربية والاتحاد السوفياتي، لجأت الى الاداة الموجودة بين يديها : دولة اسرائيل . وكما حدث في عام ١٩٥٦ في ازمة السويس، وضعت اسرائيل نفسها عام ١٩٦٧ لتقوم بدور أداة القوى الامبريالية .

اسرائيل لم تحصل على أي هدف سياسي هام :

وهكذا وبالرغم من الاضرار الكبيرة التي لحقت بالبلاد العربية نتيجة للعدوان الاسرائيلي ، فان التآمر الامبريالي ضد الانظمة التقدمية في الشرق الاوسط قد أصيب بهزيمة تامة . وقد كتبت صحيفة هيرالد تريبيون الاميركية: «ان اسرائيل لم تحصل على اي هدف سياسي هام، اذ انها لم تستطع ان تقلب انظمة الحكم في القاهرة ودمشق » .

ومن جهة اخرى فان عدوان العسكريين الاسرائيليين ضد العربية المتحدة وسورية والاردن قد برهن على ان امريكا وانكلترا والمانيا الغربية هي دول أمبريالية عدوة للشعوب العربية . وقد أظهر هذا العدوان الضرورة القصوى لقيام عمل موحد لجميع الدول العربية في صراعها ضد المؤامرات الامبريالية .

---

(١) Revue : United States News and World Report— 19 Juin 1967

وقد اظهرت الأحداث الأخيرة في الشرق الاوسط أن الاتحاد السوفياتي والبلاد الاشتراكية الاخرى كانت وستظل دائماً صديقة مخلصة للعرب . فقد اتخذت منذ بداية العدوان موقفاً صارماً من المعتدي وطلبت ازالة آثار العدوان بأقصى سرعة ممكنة . وقد كتبت صحيفة الاهرام القاهرية في الايام العصيبة « لقد اكتشف العرب أن الاتحاد السوفياتي صديق حميم ، وقد فعل من أجلنا كل ما كان بامكانه أن يفعله » .

ولكي تستثير اسرائيل الرأي العام العالمي وتثير الشكوك حول اهداف سياسة الاتحاد السوفياتي ضد اسرائيل ، عمدت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا والمانيا الغربية وفي بلاد اخرى الى اتهام الاتحاد السوفياتي بأنه يقود حملة ضد اليهود بشكل عام، والشعب الاسرائيلي بشكل خاص. وهذا في الواقع محض افتراء و كذب واضح ...

ان عدداً من خصومنا يعرفون جيداً بأن موقف الاتحـــاد السوفياتي يتلخص في أن تجبر القوات الاسرائيلية المعتدية على قبول قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار في حزيران ١٩٦٧ . وقد ارسل الاتحاد السوفياتي الى ضحايا العدوان الاسرائيلي مساعدات عاجلة سمحت لاصدقائنا العرب ان يستمروا في المقاومة وتقوية الجبهة الداخلية وتجميع قواهم لازالة آثار العدوان .

وقد أعلن ليونيد بريجنيف سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في حفل استقبال اقيم في الخامس من تموز في قصر الكرملين على شرف خريجي الكليات العسكرية مايلي :

« ان الصداقة والتحالف مع القوى التقدمية لحركات التحرر الوطني ،

هي خط السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي كما رسمها لينين . وسنعمل في المستقبل على الاستمرار في هذا الخط بكل صراحة ودقة » . . .

ان اسرائيل تحلم دون شك بدولة تتسع رقعتها من الفرات الى النيل ، كما أنها تأمل بأن تحتفظ بالاراضي العربية التي استولت عليها بعد العدوان الغادر ، ولكن هذا يعني أن اسرائيل تنسى دروس تاريخ بلادها ، وانها تسير في طريق خطرة على وجود اسرائيل ذاتها كدولة .

ولا شك بأن الحرب العدوانية التي شنتها اسرائيل في الخامس من حزيران ١٩٦٧ قد أساءت كثيراً للمصالح الوطنية في دولة اسرائيل ولوضعها الدولي . ان الهجوم المفاجيء للقوات الاسرائيلية ضد البلدان العربية المسالمة ، وتقتيل الشعوب الآمنة ، وسرقة ونهب أموال الناس من قبل قوات الاحتلال الصهيونية في الأراضي العربية ، إن كل هذه الأعمال زادت من كره الشعوب العربية وجميع شرفاء العالم لأعمال الصهيونية الغادرة .

ان العدوان الاسرائيلي قد وضع البلاد العربية في موقف صعب ، ولكن هذا الموقف لا يعطي اسرائيل أي أمل في تحطيم مقاومة الشعوب العربية ، ومنع توحيد جبهاتها لقتال المعتدين . ان هذا يذكرنا بالمقررات الاخيرة التي اتخذت في مؤتمر الخرطوم . وستقوم البلاد العربيه التقدمية بمساعدة الدول الاشتراكية بالتغلب على صعوباتها والخروج منتصرة من هذه الأزمة الحالية . ان المشكلة الرئيسية التي تهم العالم العربي اليوم هي ازالة آثار العدوان الصهيوني والانسحاب النهائي دون قيد أو شرط لقوات الاحتلال الاسرائيلية من الاراضي العربية التي احتلتها .

لقد قال ليونيد بريجنيف : « اننا نريد ان نؤكد مرة اخرى ، بأن على المعتدي

ان ينسحب من الاراضي التي احتلها وان يعوض على شعوب العربية المتحدة و الاردن وسورية التي تضررت بسبب العدوان .

ان العـــدالة تطالب بذلك ؛ كما يطالب بها الشعب السوفياتي وجميع شرفاء العالم .»

ومهما يكن وضع عسكريي اسرائيل وحماتهم الغربيين فان عليهم أن يدفعوا ثمن عدوانهم الآثم على الشعوب العربية .

مراجع حديثة باللغة العربية

عن القضية الفلسطينية

أبو الروس (إيليا) ـ اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية ـ دار الاتحاد للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٤

أبوغزالة (بسام) ـ الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي ـ دراسات فلسطينية ٥ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦

البشبيشي (محمد) ـ التغلغل الصهيوني في إفريقيا ـ كتب قومية ١٣١ ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦١

بهاء الدين (أحمد) ـ إسرائيليات ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٦٥

تويني (أرنولد) ـ حقائق عن إسرائيل ـ دار التعاون للطبع والنشر ـ القاهرة

جاد الحق (يوسف) ـ أضواء على المؤامرة الكبرى ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ دمشق

جريس (صبري) ـ العرب في اسرائيل (١) ـ دراسات فلسطينية ١٤ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ـ حزيران ١٩٦٧

الحلو (أنجلينا) ـ عوامل تكوين اسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية ـ دراسات فلسطينية ١٦ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ـ آب (أغسطس) ١٩٦٧

الحوت (شفيق) - حقائق على طريق التحرير - سلسلة « أبحاث فلسطينية » ٤ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٦ .

الخالدي (محمود) فلسطين بين تقسيم الأمس واليوم - منظمة التحرير الفلسطينية - قسم الإعلام والتوجيه - دمشق ١٩٦٦ .

الخالدي (وليد) - سقوط فلسطين - منظمة التحرير الفلسطينية - قسم الإعلام والتوجيه - دمشق .

الدجاني (برهان) - معنى إسرائيل - منظمة التحرير الفلسطينية - قسم الإعلام والتوجيه - دمشق - أيار ١٩٦٥ .

دجاني - عنبتاوي - أبومرشد - غنطوس - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ (إعداد) منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٦ - بيروت

دروزة (الحكم) - عرض موجز للقضية الفلسطينية - سلسلة حقائق وأرقام - رقم ٧ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٦ .

دروزة (محمد عزة) - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - مكتبة النهضة - مصر ١٩٥٨ .

دروزة (محمد عزة) - القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٥٩ .

دروزة (محمد عزة) - مأساة فلسطين - دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٥٩

رودنسون (مكسيم) - اسرائيل ، واقع استعماري - ترجمة احسان الحصني - من أدب المعركة ١ - وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ١٩٦٧

رزوق (اسعد) - نظرة في احزاب اسرائيل - دراسات فلسطينية

منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٦ .

السقاف (إبكار) - اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة - دار عالم الكتب - القاهرة ١٩٦٧ .

الشاعر (محمد) - الحرب الفدائية في فلسطين - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٧ .

شرارة (عبد اللطيف) - الصهيونية جريمة العصر الكبرى - دار المكشوف - بيروت ١٩٦٤ .

شكوي (صلاح الدين) - فلسطين ومؤتمر القمة العربي - مكتب الصحافة للشرق العربي - دمشق ١٩٦٤ .

صايغ (أنيس) - ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية واسرائيل - دراسات فلسطينية ١٢ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت أيار (مايو) ١٩٦٧ .

صايغ (فايز) - الاستعمار الصهيوني في فلسطين - ترجمة عبد الوهاب كيالي - دراسات فلسطينية ١ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٥ .

صايغ (فايز) - الدبلوماسية الصهيونية - دراسات فلسطينية ١٣ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت أيار (مايو) ١٩٦٧

العابد (ابراهيم) - « الماباي » الحزب الحاكم في اسرائيل - دراسات فلسطينية ٧ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٦ .

العابد (ابراهيم) - العنف والسلام ، دراسة الاستراتيجية الصهيونية

ـ دراسات فلسطينية ١٠ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٦٧ .

عبد الرحمن (اسعد) ـ المساعدات الاميركية والالمانية الغربية لاسرائيل ـ سلسلة حقائق وارقام ـ رقم ٦ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦

عبد الرحمن (اسعد) ـ التسلل الاسرائيلي في آسيا (الهندواسرائيل) دراسات فلسطينية ١١ ـ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ـ بيروت ـ نيسان (أبريل) ١٩٦٧ .

عبدالرحمن (اسعد) ـ المنظمة الصهيونية العالمية ـ دراسات فلسطينية ١٥ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت ـ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

علوش (ناجي) ـ المقاومة العربية في فلسطين ـ سلسلة كتب فلسطينية ـ ٦ ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ـ أيار (مايو) ١٩٦٧ .

عنباوي (منذر فائق) ـ الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ (جمع وتحرير) منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ٥ ـ بيروت

غلاب ـ المساري ـ السحيمي ـ معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية ـ سلسلة كتاب العلم ـ ٤ ـ مطبعة الرسالة ـ المغرب ١٩٦٧ .

الغوري (أميل) ـ فلسطين ـ سلسلة الثقافة الشعبية ٤٤ ـ وزارة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٢ .

القاسم (أنيس) ـ الإعداد الثوري لمعركة التحرير ـ سلسلة كتب فلسطينية ٥ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت شباط (فبراير) ١٩٦٧ .

القاسم (انيس) - نحن والفاتيكان واسرائيل - كتب فلسطينية ٢ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث - بيروت - حزيران (يونيو) ١٩٦٦ .

القاضي (ليلى) - الهستدروت - دراسات فلسطينية ٩ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٧ .

القاضي (ليلى) - اسرائيل في الميدان الدولي - سلسلة « حقائق وارقام » - رقم ٤ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث بيروت .

كارانجيا (ر . ك) - خنجر اسرائيل - داردمشق ١٩٦٧ .

الكيلاني (هيثم) - الموقع الاستراتيجي العربي - السلسلة القومية - وزارة الثقافة والسياحة والاشاد القومي - دمشق ١٩٦٥ .

الكيلاني (هيثم) - متى تحارب إسرائيل .

مروة (يوسف) - أخطار التقدم العلمي في اسرائيل - دراسات فلسطينية ١٧ - منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث - بيروت آب (أغسطس) ١٩٦٧ .

مطلق (رفيق حبيب) - اسرائيل قبل العدوان - دراسات فلسطينية ١٩ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث بيروت - أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧

القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية - مجلة المعرفة - العدد ٤٩ - آذار ١٩٦٦ .

مجلة (فلسطين) الاسبوعية - نشر جريدة المحرر - بيروت .

نشرة حول المشروع الصهيوني لغزو العالم - نشر جامعة الدول العربية ١٩٦٥ .